موقف الخلافة العباسية من الدول المستقلة في المغرب

(بين القرنين الثاني والرابع الهجريين)

(١٢٣-٣٦٢هـ / ٧٤٠-٩٧٣م)

إعداد

ياسر طالب راجي الخزاعلة

المشرف

الأستاذ الدكتور محمد عبده الحتاملة

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في التاريخ

كلية الدراسات العليا
الجامعة الأردنية

تشرين الثاني، ٢٠٠٨

موقف الخلافة العباسية من الدول المستقلة في المغرب

بين القرنين الثاني والرابع الهجريين

(123-362هـ / 740-973م)

إعداد

ياسر طالب راجي الخزاعلة

المشرف

الأستاذ الدكتور محمد عبده الحتاملة

ملخص

تتناول الدراسة موقف الخلافة العباسية من الدول المستقلة في المغرب(بين القرنين الثاني والرابع الهجريين)، وتوضح نشوء تلك الدول، وهي دولة بني صالح، ودولة (برغواطة) وإمامة بني واسول في (سجلماسة)، وتبعتها الدولة الرستمية والدولة الإدريسية، ودولة الأغالبة، والدولة الفاطمية والمبادئ التي نادت بها.

وسنتعرف على قدرة هذه الدول في التنظيم والدعوة لمبادئها وموقف السكان المحليين من هذه الدول؛ وبالتالي موقف الدولة العباسية من تلك الدول.

تحدثت المقدمة عن هدف الدارسة والأسباب التي جعلت تلك الدول تستقل عن الدولة العباسية.

وتحدث التمهيد عن جغرافية المنطقة التي قامت عليها تلك الدول المستقلة وحدود بلاد المغرب وأقسام المغرب وسكانه.

وتناول الفصل الأول: قيام دولة بني صالح في (نكور) من 91-471هـ/ 709-1080م، ودولة البرغواطيين من 123-451هـ/740-1060م، على يد صالح بن طريف، وإمامة بني واسول (الدولة المدرارية 140-297هـ/ 757-909م)، والدولة الرستمية الخارجية (37-297هـ/654-909م)، وأسباب نشوء تلك الدول، ومبادئها، وموقف السكان المحليين منهم، وموقف الدولة العباسية من تلك الدول.

وفي الفصل الثاني: تناول الباحث قيام دولة الأدارسة من 172- 313هـ/788-925م، والأسباب التي أدت إلى قيام هذه الدولة، ومبادئها التي نادت بها وموقف السكان المحليين منها، وموقف الخلافة العباسية في النهاية من قيام هذه الدولة بالاستقلال عنها.

وفي الفصل الثالث: فقد تناول قيام دولة الأغالبة من افريقية (تونس) 184-296هـ/800-909م، وأسباب قيام هذه الدولة المستقلة، والمبادئ التي نادت بها وموقف السكان المحليين منها، وموقف الخلافة العباسية منها.

وفي الفصل الأخير: تناولت الدراسة قيام الدولة الفاطمية من 296-362هـ/909-972م، والأسباب التي أدت قيامها، ومبادئها التي نادت بها، وموقف السكان المحليين من الدولة الفاطمية، وبالتالي موقف الخلافة العباسية من قيام الدولة الفاطمية باعتبارها دولة مستقلة.

أما الخاتمة، فتضمَّنت الرأي والنتائج التي وصل إليها الباحث.

THE ATTITUDE OF THE ABBASSIDE CALIPHATE TOWARDS THE INDEPENDENT STATES IN MORACCO (MAQHREB) BETWEEN THE 2ND-4TH CENTURY.
123-362 A.H : (740-973 A.D)

By

Yaser Talib Raji Al – KHAZALEH

Supervisor

Dr. Mohammad Abdo Hatameleh, Prof.

ABSTRECT

This Study Discusses The Attitude Of The Abbasside Caliphate From The Independent States In Moracco Between The 2nd – 4th A.H. (And To Clarify The Growth Of These States Which Called Bani Salah, Barqwateh State, Bani Wasool In Sejlemash, Then Restemeh State, Al Adareseh State, Al Aghalebeh State, Finally The Fatimeh State With It's Principles Then The Influence Of These Principles On The Growth Of Those States.

The Study Contains These Aspects An Introduction, Introductory An Four Chapters And Conlusion.

The Introduction Is About The Aim At This Study And Reasons Of This Independence States.

The Introductory Talked About The Geographical Features Of Morocco (Maghreb) And The Concept Of Morocco And Its Borders And The Parts Of Morocco And The Population.

The First Chapter Talks About The Growth Of Bani Saleh State In (Nicoor) 91-371 A.H (709-1080 A.D), Barqwteen State 123-451 A.H (740-1060 A.D), Imamah Bin Wasoul (Medresah State) 140-297 A.H (707-909 A.D), External, Restemeh State 137-297 A.H (754-909 A.D).

In The Seconds Chapter The Researcher Talked About The Adarasseh State 172-305 A.H / 788-917 A.D A.D.

In The Third Chapter, The Researcher Discussed The Growth Of The Al-Aghalbeh State In Africa (Tunsia) 184-296 A.H 800-909 A.D.

The Last Chapter Of This Study Discussed The Growth Of The Separated Fatemyeh State On 296-365 A.H 909-975 A.D.

In Every Chabter The Resercher Talked About The Resones Of The Growth Of These State With There Principles, And The Attitude Of The Natives Form Them, Then The Attiude Of The Abbaseed State From Those State.

In The Coclusion The Study Cantaions The Opinions And The Results That The Researeher Advocated To.

فهرس المحتويات

موقف الخلافة العباسية من الدول المستقلة في المغرب

(بين القرنين الثاني والرابع الهجريين)

(١٢٣-٣٦٢هـ / ٧٤٠-٩٧٣م)

إعداد

ياسر طالب راجي الخزاعلة

المشرف

الأستاذ الدكتور محمد عبده الحتاملة

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في التاريخ

كلية الدراسات العليا
الجامعة الأردنية

تشرين الثاني، ٢٠٠٨

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الأطروحة (موقف الخلافة العباسية من الدول المستقلة في المغرب/ بين القـــرنين الثاني والرابع الهجريين/١٢٣-٣٦٢هـــ /٧٤٠-٩٧٣م) وأجيزت بتاريخ ١٠/١١/٢٠٠٨.

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
- الدكتور محمد عبد الحتامله، مشرف أستاذ - تاريخ أندلسي.	....
- الدكتور محمد عبد القادر خريسات، عضوا أستاذ - تاريخ إسلامي.	....
- الدكتور يوسف بني ياسين، عضوا أستاذ مشترك - تاريخ أندلسي.	....
- الدكتور زريف المعايطه، عضوا (جامعة مؤتة) أستاذ - تاريخ إسلامي.	....

الإهــداء

إلى كل شهيد سقط في سبيل إعلاء كلمة ...

لا إله إلا الله

على أرض المغرب والأندلس...

إلى والديّ وأجدادي الكرام رحمهم الله جميعاً..

إلى إخواني وأخواتي ..

إلى رفيقة دربي ومهجة فؤادي ... لينا ..

وكذلك إلى ثمار ذاك الدرب ... أولادنا ...

حسام والواثق بالله وشكران وفرات ...

أهدي هذا الجهد المتواضع ..

الباحث

شكر وتقدير

يسعدني، اعترافاً مني بالفضل، أن أتقدم بعظيم الشكر وخالص الامتنان لأستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور محمد عبده الطالب الحتامله ، إذ تعهدني بالرعاية التامة والدائمة والتوجيه المستمر، فكانت إرشاداته وتوجيهاته النور الذي أضاء أمامي سبل البحث العلمي، وجنبني أخطاء ما كنت لأتخلص منها بغير عنايته وتوجيهه.

ولا حدود لشكري وعرفاني وامتناني لجميع أساتذة قسم التاريخ في الجامعة الأردنية الذين على أيديهم تعلمت ومن معين علمهم نهلت، وأخص بالذكر الأستاذ الدكتور محمد خريسات، والأستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري، والأستاذ الدكتور صالح الدرادكة، وكذلك الدكتور يوسف بني ياسين، والدكتورة غيداء كاتبي، والأستاذ الدكتور عبد المجيد الشناق، والأستاذ الدكتور فالح حسين، والأستاذ الدكتور علي محافظة، والأستاذ الدكتور زريف المعايطة، الذين لم يتوانوا لحظة في تقديم المساعدة لي.

كما وأتقدم بالشكر وعظيم الامتنان للأستاذ عيسى أبو قرطومة لطباعته هذه الأطروحه لما أبداه من حرص واهتمام وتشجيع ومؤازرة.

ويسرني أن أشكر العقيد طاهر الصمادي، والرائد حسن قوقزه، والرائد جميل السمكي والأستاذ يونس طبيشات الذين كان لهم الدور الكبير في تشجيعي، ومؤازرتي، وتسهيل الطريق أمامي نحو آفاق العلم وربوع المعرفة.

كما وأشكر العاملين في المكتبة الظاهرية، ومكتبة جامعة دمشق في الجمهورية العربية السورية ومكتبة الجامعة الأردنية، وجامعة اليرموك، وجامعة آل البيت، ومكتبة بلدية المفرق، وبلدية الزرقاء وأمانة العاصمة لما أبدوه من مساعدة، وتعاون لي، عبر مسيرة بحثي وإعدادي لهذه الأطروحة.

جزاهم الله جميعاً خير الجزاء ...

والله الموفق ...،،

الباحث

فهرس المحتويات

الرموز والمختصرات

استخدمت في هذه الرسالة الرموز والمختصرات التالية:

ت	توفي
ج	جزء
د	دكتور
د.ت	دون تاريخ
د.ع	دون عدد
ص	صفحة
ط	طبعة
ع	عدد
تح	تحقيق
تر	ترجمة
ق	قسم
م/م	ميلادي/مجلد
هـ	هجري

Ibid	Ibidem
N.D	No Date
No	Number
Op.Cit	Opera Citato
P.	Page
P.P	Pages
Vol.	Volume
A.D	Afterchrist
A.H	After Hegira

موقف الخلافة العباسية من الدول المستقلة في المغرب

بين القرنين الثاني والرابع الهجريين

(123-362هـ / 740-973م)

إعداد
ياسر طالب راجي الخزاعلة

المشرف
الأستاذ الدكتور محمد عبده الحتاملة

ملخص

تتناول الدراسة موقف الخلافة العباسية من الدول المستقلة في المغرب(بين القرنين الثاني والرابع الهجريين)، وتوضح نشوء تلك الدول، وهي دولة بني صالح، ودولة (برغواطة) وإمامة بني واسول في (سجلماسة)، وتبعتها الدولة الرستمية والدولة الإدريسية، ودولة الأغالبة، والدولة الفاطمية والمبادئ التي نادت بها.

وسنتعرف على قدرة هذه الدول في التنظيم والدعوة لمبادئها وموقف السكان المحليين من هذه الدول؛ وبالتالي موقف الدولة العباسية من تلك الدول.

تحدثت المقدمة عن هدف الدارسة والأسباب التي جعلت تلك الدول تستقل عن الدولة العباسية.

وتحدث التمهيد عن جغرافية المنطقة التي قامت عليها تلك الدول المستقلة وحدود بلاد المغرب وأقسام المغرب وسكانه.

وتناول الفصل الأول: قيام دولة بني صالح في (نكور) من 91-471هـ/ 709-1080م، ودولة البرغواطيين من 123-451هـ/740-1060م، على يد صالح بن طريف، وإمامة بني واسول (الدولة المدرارية 140-297هـ/ 757-909م)، والدولة الرستمية الخارجية (37-297هـ/654-909م)، وأسباب نشوء تلك الدول، ومبادئها، وموقف السكان المحليين منهم، وموقف الدولة العباسية من تلك الدول.

وفي الفصل الثاني: تناول الباحث قيام دولة الأدارسة من 172- 313هـ/788-925م، والأسباب التي أدت إلى قيام هذه الدولة، ومبادئها التي نادت بها وموقف السكان المحليين منها، وموقف الخلافة العباسية في النهاية من قيام هذه الدولة بالاستقلال عنها.

وفي الفصل الثالث: فقد تناول قيام دولة الأغالبة من افريقية (تونس) 184-296هـ/800-909م، وأسباب قيام هذه الدولة المستقلة، والمبادئ التي نادت بها وموقف السكان المحليين منها، وموقف الخلافة العباسية منها.

وفي الفصل الأخير: تناولت الدراسة قيام الدولة الفاطمية من 296-362هـ/909-972م، والأسباب التي أدت قيامها، ومبادئها التي نادت بها، وموقف السكان المحليين من الدولة الفاطمية، وبالتالي موقف الخلافة العباسية من قيام الدولة الفاطمية باعتبارها دولة مستقلة.

أما الخاتمة، فتضمَّنت الرأي والنتائج التي وصل إليها الباحث.

المقدمة

شهدت الدولة الإسلامية ممثلة بالخلافة العباسية منذ القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي تمزقاً سياسياً أدى إلى ظهور دول مستقلة، لا تدين للخلافة إلا بالولاء الروحي، فقد بدأ أول استقلال خطير في جسم الدولة الإسلامية منذ دولة بني صالح في (نكور) 91-471هـ/709-1080م، ثم تبعتها دولة (برغواطة)، من 123-451هـ/740-1060م، ثم بدأت إمامة بني واسول الصفرية في (سجلماسة) سنة 140هـ/ 757م، وتبعتها الدولة الرستمية سنة 161هـ/777م، والدولة الإدريسية سنة 172هـ/788م، ودولة الأغالبة سنة 184هـ/799م، إلى أن جاءت الدولة الفاطمية التي استقلت عن الدولة العباسية سنة 296هـ/908م، علماً بأن دولة الأغالبة قد قامت باختيار الخليفة العباسي، إلا أن مجرد ظهورها يعدّ ثورة على العصبية، واستقلالاً سياسياً عن الخلافة العباسية، وتصميماً على الاستقلال، الأمر الذي يدعونا للبحث في تلك الدول المستقلة، وظروف استقلالها، وعلاقتها بالدولة العباسية.

وتبحث هذه الدراسة في موقف الدولة العباسية من الدول المستقلة في المغرب بين القرنين الثاني والرابع الهجريين/ الثامن والعاشر الميلاديين، في الفترة ما بين 140-362هـ/757-973م، وهو جانب من تاريخ أمَّة تمكنت من نشر مبادئ العدل على وجه الأرض. وتنبعُ أهمّيتها من حيث إبرازها جانباً فعَّالاً من عناصر الدولة العربية الإسلامية في المغرب، وهو الاستقلال عن الخلافة العباسية في المشرق.

وتعدّ هذه الدراسة متخصِّصة، من حيث أنها توضح كيفية نشوء تلك الدول التي استقلت عن جسم الدولة العباسية بين القرنين الثاني والرابع الهجريين، ومن خلال هذه الدراسة، فإننا نتعرَّف إلى قدرة هذه الدول في التنظيم، والدعوة إلى مبادئها، والتعامل مع السكان المحليين ومجتمعاتها الجديدة وعلاقتها بالدولة العباسية.

ولا يخفى أن أغلب الدراسات التاريخية الحديثة أكدت على المشرق الإسلامي، في حين بقيت جوانب عديدة من تاريخ المغرب الإسلامي بحاجة إلى المزيد من الدراسات والبحث الدقيق، على الرغم من أن دور المغرب الإسلامي لا يقل أهمية عن دور المشرق الإسلامي لأن هناك أيضاً دولاً استقلالية في المشرق انسلخت عن جسم الدولة العباسية.

إن الدراسة والبحث في أسباب استقلال دولة بني صالح في (نكور) والبرغواطيين، وإمامة بني واسول (الدولة المدرارية)، والدولة الرستمية، ودولة الأدارسة، ودولة الأغالبة، والدولة الفاطمية، إذ تحتاج إلى المزيد من البحث والتقصي عن الحقائق التاريخية، ودراسة العديد من أمهات المصادر التي تتناول هذا الموضوع، حتى يمكن للباحث أن يصل إلى الحقيقة ـــ والتي هي غايتنا ـــ رغم شح المصادر التي واجهت الباحث، والعمل على كشف ما بقي خافياً، وبذلك تكون الصورة واضحة للخوض في غمار هذا الجانب التاريخي المهم. لذلك فإن الهدف من دراسة موقف الدولة العباسية من تلك الدول المستقلة هو التعرف إلى الأسباب الحقيقية وراء الاستقلال عن الخلافة الشرعية الرسمية، ليس هذا فحسب، بل البحث في المبادئ الحقيقية التي آمنت بها تلك الدول والتي أقامت دولها بناءً على تلك المبادئ، وموقف السكان المحليين، وكيف انضم السكان من البربر إلى تلك الدول، والبحث في موقف الخلافة العباسية من تلك الدول المستقلة والذي هو عنوان بحثنا.

لقد قسمتُ هذه الدراسة إلى مقدمة، وأربعة فصول، وخاتمة.

فقد تناول الفصل الأول قيام دولة بني صالح في نكور من 91-471هـ/709-1080م ودولة البرغواطيين من 123-451هـ/740-1060م، على يد صالح بن طريف البرغواطي، وإمامة بني واسول (الدولة المدرارية)، وظروف نشوئها، ومبادئها، وموقف الدولة العباسية من إمامة بني واسول (المدراريين)، ويتناول الباحث أيضاً قيام الدولة الرستمية الخارجية (أباضية المذهب) 137-297هـ/754-909م ويبحث في أسباب نشوئها، والتي أسسها عبد الرحمن بن رستم سنة 160هـ/776م، وقد كانت الدولة الرستمية على الحدود الغربية والجنوبية لدولة الأغالبة، وفي هذا البحث سيتم الحديث عن أسباب نشوء هذه الدولة، إذ أننا نرى أنها أنشئت من أجل ممارسة المذهب الأباضي، ونشره بين القبائل، والاستقلال عن جسم الدولة العباسية السنية، ويتناول الباحث أيضاً المبادئ التي نادت بها دولة الرستميين، وموقف السكان المحليين من هذه الدولة، والتي وجدت من يتأثر بهم، ويعتنق فكرهم، ومبادئهم، وكذلك البحث في موقف الدولة العباسية من دولة الرستميين، إذ اتسم هذا الموقف بالعداء التام نظراً لإختلاف المبادئ والمصالح والاستقلال عن جسم الخلافة الشرعية الرسمية.

وفي الفصل الثاني من الدراسة، فقد تناول الحديث عن الأسباب التي أدت إلى قيام دولة الأدارسة 172-313هـ/788-925م، إذ كان من ضمن الأسباب الرئيسة التي أدت إلى قيام هذه الدول بالاستقلال عن جسم الدولة العباسية وهو تضييق العباسيين على أتباع علي بن أبي طالب (الطالبيين) في المشرق، والتنكيل بهم في زمن الخليفة أبي جعفر المنصور 136-158هـ 754-775م، إذ أن الحدود الواسعة، والبعد عن مركز الخلافة كانا من الأسباب الرئيسة التي أدت إلى قيام هذه الدول واستقلالها.

وسيتم الحديث عن المبادئ التي نادت بها الدولة الإدريسية، إذ انها قامت في المغرب الأقصى (فاس وتلمسان) على أساس أنها دولة علوية هاشمية طالبية.

ويتناول الباحث أيضاً موقف السكان المحليين من الدولة الإدريسية، ووقف قبائل البربر بقوة مع إدريس بن عبدالله العلوي في تأسيس دولته واستقلالها عن جسم الدولة العباسية، وعن موقف الدولة العباسية من الدولة الإدريسية، فقد قطعت الدولة العباسية جميع صلاتها مع الدولة الإدريسية لإعلان الأدارسة الاستقلال التام عن الخلافة العباسية، ونتيجة لاغتصاب العباسيين لخلافة الأموين، ونتيجة لما حل بالأمويين على أيدي العباسيين، ولم تستطع الدولة العباسية القضاء على الدولة الإدريسية، لعدم قدرتها على الوصول إليها، نظراً للبعد الشاسع، وافتقار العباسيين إلى أسطول بحري لنقل الجيوش إلى المغرب الأقصى.

وفي الفصل الثالث، يتناول الباحث قيام دولة الأغالبة في أفريقية (تونس) 184-296هـ/799-908م كإحدى الدول المستقلة التي نشأت في المغرب في ظل الدولة العباسية، وفي هذا الفصل سيتم الحديث عن الأسباب التي أدت إلى قيام دولة الأغالبة، والذي كانت نتيجة لنشوء الدولة الرستمية في شمال افريقية (غرب تونس والجزائر) 137-297هـ/754-985م، وعجز الدولة العباسية عن إرسال الجيوش والعدة للقضاء عليها، وسيتم الحديث في هذا الفصل عن المبادئ التي نادت بها دولة الأغالبة، والتي كانت دولة سنية، وكانت حليفة الدولة العباسية، وقد استخدمها العباسيون من أجل القضاء على الدولة الرستمية الخارجية الأباضية، وسيتم البحث عن موقف السكان المحليين من دولة الأغالبة، والذي كان موقفاً إيجابياً إلى حد ما، مع وجود عدم الرضا في عهد زيادة الله بن الأغلب، 201-223هـ/817-837م إذ ثار عليه أحد الجند وإسمه زياد بن سهل (ابن الصقلية)، نتيجة لسوء سيرة زيادة الله بن الأغلب، وكذلك موقف الدولة العباسية من الدولة الأغلبية، إذ تحالفت الدولة العباسية مع دولة الأغالبة في القضاء على دولة الرستميين التي كانت العدوة الأولى لدولة الأغالبة.

وفي الفصل الأخير من الدراسة (الفصل الرابع)، سيتناول الباحث قيام الدولة الفاطمية 296-362هـ/909-973م، والأسباب التي أدت إلى قيام هذه الدولة، واستقلالها عن جسم الدولة العباسية السنية، وعند الحديث عن ذلك فإننا نرى أن نسب الفاطميين (الشيعة الإسماعيلية)، وادعاء نسب الفاطميين إلى فاطمة الزهراء كان من الأسباب الرئيسة التي أدت إلى قيام الحركة الفاطمية، واستبداد العباسيين، الأمر الذي جعل الفاطميين يستخدمون عقيدة (التقية) وتغيير أسمائهم حتى لا يتم التعرف عليهم، إضافة إلى ذلك فقد كان ضعف الدولة العباسية في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي من الأسباب التي أدت إلى قيام الدولة الفاطمية في المغرب، وإزاحة الدولة العباسية، وقيام دولة فاطمية ذات مذهب شيعي اسماعيلي، كما سيتم الحديث عن المبادئ التي نادوا بها، والتي كان من ضمنها نشر مذهب التشيع بين البربر، والتقية، والوصية أي (النص على ولاية العهد، واستبدال الخلافة بالإمامة، لأن الإمامة سر أودعه الله في آل البيت كما يقولون).

وسيتم البحث أيضاً في موقف السكان المحليين من الدولة الفاطمية، إذ إن الفاطميين اصطدموا بالكثير من الصعاب في نشر المذهب الإسماعيلي الفاطمي؛ لوجود فريقين متنافسين من القبائل البربرية: (زناته) في الغرب، و(صنهاجة) التي تنتمي إليها قبيلة كتامة في الشرق، وكان ذلك عنصراً مساعداً للإضطرابات، والقلاقل، وانتشار الفوضى في المنطقة.

وفي نهاية هذا الفصل سيتم تناول موقف الدولة العباسية من الدولة الفاطمية، إذ أن إنشاء الدولة الفاطمية في الأصل هو تحد صارخ للخلافة العباسية السنية، وقد حارب العباسيون النشاط السياسي والاقتصادي والثقافي للمذهب الفاطمي، وتعاون العباسيون مع الأغالبة حلفائهم في مراقبة نشاط الدولة الفاطمية، وقد احتدم الخلاف بين الخلافة العباسية والدولة الفاطمية حين شاع في بغداد إنكار نسب الفاطميين، واستغلال الخليفة القادر العباسي (381-422هـ) هذه الدعاية لصالح الدولة العباسية، وحشد أنصارهم من سنة وشيعة، إذ وقعوا على محضر في بغداد سنة 402هـ/1011م والذي يتضمن أن الدولة الفاطمية لا تمت إلى فاطمة الزهراء وعلي بن أبي طالب بأية صلة، واتهامهم بالكفر والزندقة.

وفي خاتمة البحث، اعتمدت هذه الدراسة على المنهج التاريخي الذي يعني الاستقصاء المنهجي للحدث، ومن ثم الاطلاع على أكثر من وجهة نظر، ورواية، وبعد مناقشتها ومقارنتها مع غيرها من الروايات، يعتمد أقرب الروايات إلى الدقة العلمية.

وقد تم الاعتماد على المصادر الأقرب إلى الحدث التاريخي/ وبعض المراجع العربية والمراجع باللغة الإنجليزية والفرنسية، والدوريات ورسائل الماجستير والدكتوراه ذات الصلة والتي بإمكان القارئ مراجعتها في قائمة المراجع.

والله وليّ التوفيق ،،

تمهيد

■ مفهوم مصطلح المغـــــرب :

ما يهمّنا هو معرفة حدود بلاد المغرب في فترة دراسة الدول المستقلة في المغرب بين القرنين الثاني والرابع الهجريين / الثامن والعاشر الميلاديين.

والمراد بلفظ المغرب هو كل ما يقابل المشرق من بلاد، وقد اختلف المسلمون في تحديد مدلوله، فجعله البعض شاملاً لبلاد شمال افريقية، بالإضافة إلى اسبانيا الإسلامية (الأندلس)، وجميع الممتلكات الإسلامية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، مثل: صقلية، وجنوب إيطاليا، وجزيرة سردينا، وقورسيقا، وجزر البليار، أو الجزر الشرقية(١).

وبلاد المغرب تشمل: كل الأقاليم الواقعة غرباً، والتي تشمل شمال القارة الأفريقية، والأندلس اعتبرت أيضاً من بلاد المغرب(٢).

والمغرب يقسم إلى أقسام:

١. المغرب الأقصى: ويعرف ببلاد مراكش.
٢. المغرب الأوسط: وهو بلاد الجزائر الحالية.
٣. المغرب الأدنى: وهو بلاد القيروان أو ما يسمى اليوم بتونس(٣).

ويحدِّد ياقوت الحموي في معجم البلدان افريقية بقوله: (وحدُّ افريقية من طرابلس الغرب من جهة برقة والإسكندرية إلى بجايا، وقيل: مليانه، والمغرب هو ما يلي ذلك من البلاد غرباً ويبدو أن المراد بلفظ المغرب في أول الأمر كان تحديداً جغرافياً، أراد به الذين اتخذوا كل ما يقابل المشرق من البلاد، ومن هنا أدخل فيه بعض المؤرخين مصر والأندلس)(٤).

---

(١) الاصطخري، أبو اسحاق إبراهيم محمد الفاسي، المسالك والممالك، تح، محمد جابر وعبد العال الحسيني، مطابع دار القلم، القاهرة، 1381هـ، ص 33. وسيشار إليه فيما بعد: الاصطخري، المسالك؛ ياقوت، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت ابن عبدالله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1979، ج5، ص161، وسيشار إليه فيما بعد: ياقوت، معجم البلدان؛ وانظر: العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، 2004م، ص11، وسيشار إليه فيما بعد: العبادي، في تاريخ المغرب؛ سالم، السيد عبد العزيز، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1982، ص39-40؛ وسيشار إليه فيما بعد: سالم، تاريخ المغرب.

(٢) ياقوت، معجم البلدان، ج 5، ص 263؛ وانظر: حتامله، محمد عبده، الأندلس، (التاريخ والحضارة والمحنة)، مطابع الدستور الأردنية، ط3، 1983م، ص5، 6، وسيشار إليه فيما بعد: حتامله الأندلس.

(٣) ياقوت، معجم البلدان، ج 2، ص60؛ الحميري، أبو عبدالله ابن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح إحسان عباس، مطابع هيلد بيرغ، بيروت، ط 2، 1984، ص144. وسيشار إليه فيما بعد: الحميري، الروض المعطار؛ ابن أبي دينار، أبو عبدالله محمد ابن أبي القاسم الرعيني القيرواني، المؤنس في أخبار افريقية وتونس، دار المسيرة، بيروت، ط 3، 1993، ص17، 19. وسيشار إليه فيما بعد: ابن أبي دينار، المؤنس؛ زغلول، سعد عبد الحميد، *تاريخ* المغرب العربي من الفتح إلى بداية الاستقلال (ليبيا وتونس والجزائر والمغرب)، منشأة المعارف، الاسكندرية، 1995، ص69-70.

(٤) ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص 228؛ حتاملة، الأندلس، ص 26.

وأهل مصر يسمّون ما عَنْ أيمانهم إذا استقبلوا بلاد المغرب، وبعضهم يخرج الأندلس من بلاد المغرب[١].

وجاء في المؤنس في أخبار افريقية وتونس لابن أبي دينار القيرواني: (أن حدَّ المغرب مِن بحر النيل بالمشرق إلى ساحل المحيط الأطلسي[٢].

ويشمل المغرب المناطق التالية:

1 ـ انطابلس (برقة) فـــزان :

وقد احتوت على عدد من الأقاليم، وتشمل على قرى ومدن بين الأسكندرية وافريقيا، ومركز برقة هو أنطابلس، وتحتوي على خمسة أقاليم، فالإقليم المتاخم لمصر هو انطابلس أو بنطابلس[٣].

وكانت برقة تشمل في أقاليمها الشرقية على كورة تعرَف باسم لوبية ومراقية[٤].

أمَّا عن حدود برقة الغربية فهي تتداخل في أرض طرابلس[٥].

وتنقسم أرض برقة الممتدة من (مسراته إلى الاسكندرية) إلى خمسة أقسام وهي: سرت، وبرقة الحمراء، والجبل الأخضر، والبطنان، وما بين العقبتين، وأخيراً ما بين العقبة الصغرى إلى الإسكندرية، وتسمّى العقبة الصغرى. والأقاليم الجنوبية لطرابلس هي فزَّان التي يُضيف إليها البعض إقليم ودَّان[٦].

وطرابلس تعني كما يقول البكري ثلاث مدن [٧]، وطرابلس متصلة باقليم جبل نفوسة في الجنوب الذي يعدّ امتداداً لجبال أطلس أو جبال درن. وعلى ذلك فهي تخرج عن مفهوم كلمة المغرب عند الكثير من الكتاب، وتصبح البداية الحقيقية في بلاد المغرب هي بلاد افريقية[٨].

---

(١) نحاس، وفيقة، نشوء الدويلات في المغرب، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف أ.د عمر فروخ، الجامعة السورية، كلية الآداب، دمشق 1954م، ص 4، وسيشار إليها فيما بعد، وفيقة، نشوء الدويلات.

(4) ابن أبي دينار، المؤنس، ص16.

(5) ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص366، 388؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج1، 65.

(٤) المالكيّ، أبو بكر عبدالله ابن عبدالله، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقيا وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم، تح حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1951، ج1، 29؛ وسيشار إليه فيما بعد: المالكيّ، رياض النفوس؛ شعيرة، م.ع، لوبية ومراقية، مجلة كلية الآداب والتربية، بنغازي، م1، 1958، ص13.

(٥) زغلول، تاريخ المغرب، ج1، ص65.

(٦) ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبدالله، فتوح مصر والمغرب، تح محمد الحجيري، دار الفكر، بيروت، 1996، ص 200؛ البلاذري، أبو العباس، أحمد بن يحيى بن جابر، فتوح البلدان، تح عبدالله أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين: بيروت، 1957م، طبعة أوروبا، ص 229؛ زغلول، تاريخ المغرب، ص7.

(٧) اليعقوبي، أحمد ابن أبي يعقوب، ابن جعفر ابن وهب ابن واضح الكاتب، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، بيروت، 1960، ص345-346؛ وسيشار إليه فيما بعد: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي؛ زغلول، تاريخ المغرب، ص 66.

(8) زغلول، تاريخ المغرب، ص 66-67؛ مؤنس، حسين، تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح العربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر (من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر الميلاديين)ج 1، الدار السعودية، جدة، ط1، 1990م، وسيشار إليه فيما بعد: مؤنس، تاريخ المغرب.

2 ـ بلاد افريقيـــة (تونــس):

والحقيقة أنَّ اقليم افريقية عندَ الكتّاب له معنىً عام وآخرُ خاص، ومعناه العام يكادُ يُقارب بلاد المغرب، فحد افريقيا الشرقي يبدأ عند حدود مصر، وينتهي عند بلاد طنجة، وعندما تعرّف العرب على بلاد المغرب كان صلاحيته حاكم قرطاجنة الرومي تمتد من طنجة حتى ولاية طرابلس(١)، ومركز هذه الولاية كان هو البلاد التونسية التي عرفت عند الرومان باسم ولاية افريقية (Africa) وهي التي عرَّبها العرب إلى أفريقية(٢)، وحدَ افريقية من برقة إلى طنجة(٣).

أمّا المعنى الخاص لولاية أفريقية الأصلية قبل أن تتَّسع هذا الإتّساع، وتدخُلُ بقيَّة أمْلاك الدولة الرومانيَّة، فهي تعني البلاد التونسية الحالية، مُضَافاً إليها بعض الأقاليم الشرقية من بلاد الجزائر حتى ولاية قسطنطينة(٤)، أما سهول المغرب فيقع معظمها على سواحل المحيط الأطلسي من الغرب، والسواحل الشمالية على المحيط الأطلسي والبحر المتوسط، وهذه السهول تَضْيَقُ كلّما اتجهنا من الغرب إلى الشرق، إذ تزداد اقتراب السلاسل الجبلية من الساحل، وهناك أيضاً سهول داخلية تكونت حول وديان صغيرة تجري فيها الأنهار، وبعض هذه السهول تشتهر بخصوبتها مثل سهلي فاس ومكناس الغنيتين(٥).

ويبلغ امتداد بلاد المغرب من المشرق إلى المغرب نحو أربعة آلاف كم، وتنتهي هذه البلاد في الجنوب بالصحراء الكبرى التي تشمل على صحراء (شنقيط)، وهو بلاد مور كاتب الحالية(٦).

والغالب أن معنى لفظ المغرب انتهى عند المؤرخين والجغرافيين إلى أن يشمل كل ما يلي مصر غرباً حتى المحيط الأطلسي، ثم يقسِّموه بعد ذلك إلى ممالك، وهي:

---

(١) ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص323؛ حتاملة، الأندلس، ص28؛ زغلول، تاريخ المغرب، ج1، ص68.

(٢) ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة كولان ج. س و ليفي بروفان سال، دار الثقافة، بيروت، 1983، ص5، 6، وسيشار إليه فيما بعد ابن عذاري،البيان؛ الناصريّ، أبو العباس أحمد ابن خالد السلاوي، الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، تح جعفر ومحمد الناصريّ، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954م، ج 1، ص 33، وسيشار إليه فيما بعد: الناصريّ، الاستقصا، حتاملة، الأندلس، ص 28؛ سالم، السيد، عبد العزيز، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس منذ الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، دار المعارف: بيروت، 1962، ص 13-14؛ نبيلة، محمد حسن، محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة كريدية رضوان، بيروت، 1982م، ص 28. يقول الدكتور حتاملة : (فقد أطلق الأغريق على الجزء الشمالي من شمالي افريقية الذي يسكنه العنصر الأبيض اسم ليبو أو ليبيا، بينما أطلقوا على الصحراء بلاد الأحباش السود، وأطلق الرومان إسم افريقية على قرطاجنة وما حولها حيث كانت تلك المنطقة تعرف بولاية افريقية القنصلية، وهو الإسم الذي أطلقه العرب على كل بلاد المغرب باستثناء طرابلس وبرقة ثم اقتصر اسم افريقية في مرحلة تالية على كل ما يلي مصر غرباً حتى بجاية وأطلق اسم المغرب على كل ما يلي بجاية غرباً حتى المحيط الأطلسي). أنظر: ابن عذاري، البيان، ج1، ص 5-6؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص 33؛ حتاملة، الأندلس، ص 27-28.

(٣) ياقوت، معجم البلدان، ج 4، ص323؛ وانظر: حتامله، الأندلس، ص 28؛ نبيلة، محاضرات، ص 28؛ زغلول، تاريخ المغرب، ج1، ص68.

(٤) ابن أبي دينار، المؤنس، ص30؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج1، ص68.

(٥) زغلول، تاريخ المغرب، ج1، ص68.

(٦) حتاملة، الأندلس، ص27.

1ـ برقة وطرابلس.
2ـ افريقية، أوالمغرب الأدنى، افريقية (تونس) وقاعدتها (القيروان) في صدر الإسلام وقاعدتها في هذا العصر (تونس)(١).
3ـ المغرب الأوسط (تلمسان، وجزائر بني مرغنة).
4ـ المغرب الأقصى (مراكش وتازه وفاس) و (السوس)(*) وهو أقصى قسم نحو المحيط (الأطلسي)(٢) .

- **سكـــان المغـــرب :**

أما عن سكان المغرب فيفرّق المؤرّخون بين ثلاث طوائف من السكان تعمُرُ المغرب قبيل الفتح العربي الإسلامي، فيذكرون الروم، والأفارقة، والبربر(٣) .

- **مراحل فتح المغـــرب:**

وتتفق بعض المراجع الحديثة على أن الفتح العربي للمغرب والأندلس كان على مرحلتين(٤):

١. مرحلة الغارات (21-49هـ/642-669م).
٢. مرحلة الفتح المنظم، وتنقسم إلى فترتين:
   أ. الفترة الأولى (50-64هـ).
   ب. الفترة الثانية (69-90هـ).

وبعض المراجع الأخرى تقسم مراحل الفتح العربي للمغرب إلى مرحلتين(٥):

١. مرحلة ما بين الفتح والاستكشاف من 22-50هـ/643-670م.
٢. مرحلة الاستقرار والفتح الدائم من 50-95هـ/670-713م.

- **مرحلة الغارات (برقة وطرابلـس):**

لقد بدأ فتح العرب للمغرب في مصر زمن الخليفة عمر بن الخطاب على يد عمرو بن العاص سنة 21هـ/641م، وقد كانت مصر إحدى الولايات الرومانية (٦)، والواقع أن فتح مصر أصبح ضرورة بعد فتح الشام وفلسطين وذلك لتأمين الفتوح الإسلامية في الشام،

---

(١) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص 71.

(*) السوس: بلد في المغرب، كانت الروم تسميها قمونية، مدينتها طنجة، وهناك السوس الأقصى مدينتها طرقلة. أنظر: ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص 280.

(٢) الناصريّ، الاستقصا، ص 71؛ وانظر: لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية : القاهرة، ط3، 1965م، ص 443.

(٣) وفيقة، نشوء الدويلات، ص 5.

(٤) سالم، تاريخ المغرب، ص 55، 105.

(٥) زغلول، تاريخ المغرب، ج1، 127.

(٦) ابن عبد الحكم، فتوح مصر،ص 132-133؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص8؛ وانظر: مؤنس، فتح العرب، ص 50؛ وفيقة، نشوء الدويلات، ص7.

ولتأمين المدينة نفسها مركز الخلافة، ولأنها قريبة من بحر القلزم (السويس حالياً)، والواقع أن مصر والشام ربطتهما من أقدم العصور مصالح سياسية وحربية وتجارية واحدة، وغالباً ما أخضعت مصر والشام في العصور المختلفة لحكم دولة واحدة[١].

وافق الخليفة عمر بن الخطاب على فتح مصر، وأمدَّ عمرو بن العاص بـــأربعة آلاف مقاتل وقال له: (إني مرسل إليك كتاباً فإن أدركك وأمرتك فيه بالانصراف عن مصر قبل أن تدخلها، وشيئاً من أرضها فانصرف، وان دخلتها قبل أن يأتيك كتابي، فامض لوجهك، واستعن بالله، واستنصره)[٢].

يذكر ابن عذارى أن الخليفة عمر بدأ يمهد لفتح برقة، فبعث إليه نفراً من جنده بقيادة عقبة بن نافع الفهري يستطلعون أحوالها وأخبارها، فيقول ابن عذارى (وجه عقبة بن نافع الفهري إلى منطقتي زويلة[*]، وبرقة، فافتتحها، ثم توجه عمرو بنفسه إلى برقة، فصالح أهلها)[٣].

ولا يؤيد ابن عذارى في روايته هذه غير ابن أبي دينار القيرواني، إذ يشير ابن أبي دينار إلى ذلك البعث الاستطلاعي إشارة ضمنية في قوله: (ولما فتح عمرو بن العاص مدينة مصر والاسكندرية، بعث عقبة بن نافع إلى برقة، وزويلة، وما جاورها من أهل البلاد، فصارت تحت ذمة الإسلام، وسار عمرو بن العاص وغزا طرابلس)[٤].

وفي إقامة عمرو بن العاص في طرابلس، بعث بسر بن ارطاة، ففتح ودان، وجبال نفوسه، ولم يتجاوز عمرو بن العاص إلى إقليم افريقية، ورجع عائداً إلى مصر[٥].

وفي سنة 21هـ/641م فتح عمرو بن العاص الاسكندرية[٦]، وقد رأى عمرو بن العاص أنه بفتح الاسكندرية قد قضى على سلطان الروم في مصر [٧]، وكان عمرو قد توجه بنفسه إلى برقة فصالح أهلها، وتوجَّه بعد ذلك إلى طرابلس ففتحها بعد أن استغاث أهلها

---

(١) حتامله، جيل المولدين، ص35.

(٢) ابن حبيب، عبد الملك بن حبيب الالبيري، كتاب التأريخ، تح خورجي اغواداي، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، إسبانيا، 1991م. ص 107؛ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص132؛ وانظر: مؤنس، معالم تاريخ المغرب، ص34.

(*) زويلة: مدينة قديمة مسورة تقع في وسط الصحراء على بعد 770 كم إلى الجنوب الشرقي من مدينة طرابلس،أنظر:الحتاملة، جيل المولدين، ص 35 نقلاً عن ، ياقوت، معجم البلدان، ج 3، ص 159-160؛ البكريّ، أبو عبدالله عبدالله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو البكريّ، المسالك والممالك، تح أدريان فان ليوفن واندري فيري، الدار العربية للكتاب والمؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، تونس، 1992م، ص10-11؛ ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص159-160.

(٣) ابن عبد الحكم، أبو القاسم، عبد الرحمن بن عبدالله، فتوح افريقية والأندلس، تح عبدالله أنيس الطباع، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، 1964م، ص30-31؛ ابن عذاري، البيان، ج1ص8.

(٤) ابن عبد الحكم، فتوح افريقية، ص30-31؛ ابن عذاري، البيان ، ج1، ص 19؛ ابن أبي دينار،المؤنس؛ ص37؛ وانظر: مؤنس، حسين، فجر الأندلس، دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية (711-756م) القاهرة: الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، 1959م، ص36-38.

(٥) ابن عذاري، البيان، ج1.

(٦) ابن عبد الحكم، فتوح افريقية، ص 6-7؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص8؛ وانظر: حتامله، الأندلس، ص32؛ جيل المولدين، ص29.

(٧) ابن عذاري، البيان، ج1، ص8.

بقبيلة من البربر يقال لها نفوسة، إذ كانوا قد دخلوا معهم في دين النصرانية[١]، وكان ذلك في سنة 22هـ/642م[٢]. وقد كتب عمرو إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يخبره بما أفاء الله عليه من الفتح والنصر، وأن ليس أمامه إلا بلاد افريقية، وملوكها كثيرة وأهلها كما يقول ابن عذاري (عديدون) وأكثر ركوبهم الخيل، فأمره بالانصراف عنها، فأمر عمرو بن العاص العسكر بالرحيل عائداً إلى مصر[٣].

ثم سار عمرو إلى مدينة صبرة، وافتتحها عنوة، وكمّل الفتح إلى برقة، فصالح أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار جزية، وأراد أن يتم سيره إلى افريقيا فمنعه الخليفة عمر بن الخطاب عن ذلك فعاد إلى مصر[٤].

ولمّا ولّي عثمان بن عفان (رضي الله عنه) الخلافة عزل عمرو بن العاص عن مصر، وولى عليها عبدالله بن سعد بن أبي السرح[٥].

وتقول الروايات أن الهدف من فتح برقة وطرابلس هو نشر الإسلام، ومواصلة الفتوح، وحماية حدود مصر الغربية من خطر الروم (البزنطيين) الذين كانوا يحكمون المغرب الأدنى، إذ كان يخشى أن يحاولوا استعادة مصر عن الطريق الغربي[٦].

وخلاصة القول إن فتح برقة قد تمَّ بسهولة ويسر.

وقد استمر عمرو بن العاص في تقدمه حتى مدينة طرابلس في سنة 22هـ/642م، وقد كان يحيط مدينة طرابلس أسوار من كل جانب إلا من جهة البحر، وتقدم عمرو بقواته من جهة الشرق وعسكر في مكان مرتفع يشرف على المدينة كما تقول رواية ابن عبد الحكم، وحاصر المدينة شهراً دون طائل[٧].

ومهما يكن من أمر، فإنه بعد سقوط طرابلس استولى عمرو على مدينة صبرة سنة 23هـ/643 في غربي طرابلس[٨].

وتقول رواية ابن عبد الحكم أن عمراً كتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بعد أن فتح بلاد طرابلس، يخبره بما أفاض الله عليه من النصر والفتح، وأنه ليس أمامه إلا بلاد

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج1، ص8.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج1، ص8؛ وانظر: الحتاملة، الأندلس، ص 33.

(٣) ابن عذاري، البيان، ج1، ص8؛ وانظر: حتاملة، الأندلس ، ص 33.

(٤) ابن أبي دينار، المؤنس، ص 37؛ وانظر: مؤنس، تاريخ المغرب، ص81.

(٥) ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، أسد الغابة في معرفة الصحابة، المطبعة الإسلامية، 1377هـ، ج3، ص173؛ النويريّ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الإرب في فنون الأدب، تحقيق عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2004م، ج24، ص3؛ ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن، يوسف الاتابكي، النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب العلمية، القاهرة، 1929م، ج1، ص79.
كان عبدالله بن سعد بن أبي سرح العامري يكتب الوحي لرسول الله (ص) وقد ارتد عن الإسلام، وقد اتخذ الرسول معاوية كاتباً للوحي بعده، وعند فتح مكة استجار عبدالله بن سعد بعثمان بن عفان وأخذ له الأمان من النبي (ص). أنظر: ابن عذاري، البيان، ج1، ص9.

(٦) سالم، تاريخ المغرب، ص 55؛ العبادي في تاريخ المغرب، ص 58؛ الزاوي، الطاهر أحمد، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، مطبعة المعارف، القاهرة، 1373هـ، ص 45.

(٧) ابن عبد الحكم، فتوح افريقية، ص30-31.

(٨) ابن عبد الحكم، فتوح افريقية، ص 32؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص 62؛ حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام (السياسي والديني والثقافي والاجتماعي)، دار الأندلس، بيروت، ط7، ج2، ص261.

افريقية (تونس)، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن له في غزوها فعل، فكتب إليه ينهاه عن ذلك ويقول : (لا إنها ليست بأفريقية، ولكنها المفرقة)(١).

ويبدو أن الخليفة عمر كان يخشى أن يتهور الجند في تلك البلاد البعيدة، وتنسب الروايات إلى أن الخليفة عمر كتب إلى عمرو بن العاص عن افريقية، إذ قال له: (ولا تقربها فإنها باب من أبواب جهنم)(٢).

والظاهر أن أحوال مصر هي التي دفعت عمرو بن العاص إلى العودة إليها تاركاً التقدم إلى افريقية، وعقب رجوع عمرو إلى مصر بقليل لقي الخليفة عمر مصرعه في أواخر سنة 23هـ/643م(٣).

وقد سار عبدالله بن سعد على السياسة نفسها التي اتخذها عمرو بن العاص بعد فتح طرابلس، إذ كان يبعث سرايا المسلمين إلى أطراف افريقية لفتحها(٤).

وبعد أن حققت تلك السرايا الأهداف المرجوة منها أصبح يفكر عبدالله بن سعد في غزو أفريقيا بعد أن أرسل لاستشارة الخليفة عثمان، لكن عثمان كان قلقاً من تلك الفتوح (٥)، وشارك في الفتح كبار الصحابة، وسميت هذه الحملة بحملة العبادلة سنة 27هـ/ 648م، وذلك لكثرة من كانوا يسمون باسم عبدالله(٦).

ويورد أبو العرب أعداد من خرجوا من كل قبيلة للغزو، إذ بلغ جيش عبدالله بن سعد الذي آلت إليه القيادة بوصفه أمير مصر عشرين الفاً (٧). وقد خرج عبدالله بن سعد سنة 27 هـ/647م على رأس هذا الجيش الضخم من فسطاط مصر بعد أن استخلف عقبة بن عامر الجهني(٨).

ومن برقة سار عبدالله نحو مدينة طرابلس، وهنا رأى عبدالله بن سعد ألاّ يستنفذ جهوده في حرب طرابلس، فتركها كما ترك مدينة قابس هي الأخرى، وتقدم إلى المكان الذي ستبنى فيه مدينة القيروان وهو المكان المعروف بسبيطلة، وذلك في سنة 28هـ/648م(٩).

---

(١) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص74.

(٢) أبو العرب، تميم محمد بن أحمد التميمي القيرواني، طبقات علماء أفريقية وتونس، تح علي الشابي ونعيم حسن اليافي، الدار التونسية، تونس، 1968م، ص72. وسيشار إليه فيما بعد: أبو العرب، طبقات.

(٣) ابن حبيب، كتاب التاريخ، ص110؛ ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص 298؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص8؛ وانظر: حتامله، الأندلس، ص33؛ جيل المولدين، ص36.

(٤) ابن حبيب، كتاب التاريخ، ص 110؛ أبو العرب، طبقات، ص 65؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص9؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج1، ص 147–148.

(٥) ابن حبيب، كتاب التاريخ، ص 111؛ ابن عبد الحكم، فتوح افريقية، ص 14؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص9؛ وانظر: حتاملة، الأندلس، ص 32–34.

(٦) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص 183؛ أبو العرب، طبقات، ص 67، 68؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص8–9؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص86–87؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج 24، ص4؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج1، ص147–148.

(٧) أبو العرب، طبقات، ص 69–70؛ المالكيّ، رياض النفوس، ص10؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص9؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج1، ص70.

(٨) المالكيّ، رياض النفوس، ص11؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج1، ص70.

(٩) ابن عبد الحكم، فتوح افريقية، ص312؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج24، ص5؛ وانظر: حتامله، الأندلس، ص34؛ مؤنس، حسين، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، القاهرة، 1997م، ص 35. وسيشار إليه فيما بعد: مؤنس، معالم تاريخ.

- **موقعة سبيطلة(*) (Supetula) :**

كانت الخطوة التالية في فتح العرب للمغرب بعد ذلك بأربع سنوات أي في سنة 27-28هـ/647-648م بقيادة عبدالله بن سعد(١).

وقبل لقاء العرب للبيزنطيين ذهب رسل عبدالله ابن أبي سرح إلى جرجير الفرنجي يعرضون عليه الإسلام، أو الخضوع للعرب ودفع الجزية، وفشلت المفاوضات وتقرر القتال، وبلغت قوات جرجير مائة وعشرين ألفاً من الجند (٢)، ورواية أخرى تقول أن عدد جيش البيزنطيين قد بلغ مائتي ألف مقاتل، وكان مع جرجير ابنته(٣).

ويقول الناصري في (الاستقصا) أن جرجير قد أعلن جائزة مقدارها مائة وعشرون ألف دينار لمن يقتل ابن أبي سرح، وأن يزوجه ابنته، ويستعمله على بلاده، ولكن عبدالله بن الزبير قد أعلن دعاية مضادة تقول أن من يقتل جرجير فله مائة ألف، ويزوجه ابنته، ويستعمله على بلاده(٤).

وقبل بداية المعركة كانت خطة عبدالله بن الزبير أن يقوم مجموعة من جيش المسلمين من أبطالهم بعمليات كر وفر، والهجوم على جيش جرجير الرومي في خيامهم، لبث الذعر والرعب بينهم، وقتل العدد الوافر منهم(٥).

ورتب عبدالله بن الزبير خطة عسكرية جديدة تتلخص في تقسيم القوات العربية إلى قسمين: الأول ينازل الجيش البزنطي، بينما يكون القسم الآخر كميناً عليه، ليفاجئ العدو بعد أن يرهقه القتال. ونجحت الخطة فعلاً، وتمكن الكمين من ترجيح كفة القوة العربية، وانتهى القتال بمقتل جرجير، وأسر ابنته(٦).

وكانت نتيجة المعركة أن هزمت قوات الروم، وقتل جرجير، وأخذت ابنته سبية (٧)، وبهذا فإن المسلمين قد حاصروا سبيطلة وفتحوها(٨).

وهكذا انتهت معركة سبيطلة بانتصار المسلمين، وانهزام القوات الرومية الفرنجية، وقتل جرجير (حاكم افريقية)، وقد أتبع عبدالله ابن أبي السرح ذلك بحصار مدينة سبيطلة نفسها، وسقطت المدينة، وغنم العرب فيها مغانم كثيرة لم يشهدوا لها مثيلاً من قبل، وقد أرسل ابن

(*) سبيطلة: مدينة تقع على بعد سبعين ميلاً من القيروان على الطريق بين سوسة وجبال الأوراس. أنظر: ياقوت، معجم البلدان، ج3، 187.

(١) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص 312؛ البلاذري، فتوح البلدان، ج 4، ص 255؛ وانظر: الحتاملة، الأندلس، ص 35.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص10؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج 24، ص6؛ وانظر: حتاملة، الأندلس، ص35؛ مؤنس، تاريخ المغرب، ص81.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 1، ص85؛ وانظر: مؤنس، حسين، فتح العرب للمغرب، مطبعة مصر، القاهرة، (د.ت)، ص 87. وسيشار إليه فيما بعد: مؤنس، فتح العرب.

(٤) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص75.

(٥) المصدر نفسه، ج1، ص 75-76.

(٦) المالكيّ، رياض النفوس، ج1، ص14.

(٧) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص 313-314؛ المالكيّ، رياض النفوس، ج 1، ص12؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص76؛ وانظر: مؤنس، فتح العرب، ص91.

(٨) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص 312؛ المالكيّ، رياض النفوس، ج 1، ص13؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص76؛ وانظر: حتاملة، الأندلس، ص35.

أبي السرح بخبر الفتح مع عبدالله بن الزبير إلى المدينة، وهناك أعلن انتصار القوات العربية في افريقية في مسجد الرسول (صلى الله عليه وسلم) وفي حضرة الخليفة عثمان بن عفان وكبار الصحابة(١).

واستمر عبدالله بن سعد في حربه ضد الروم، إذ قام بحملة أخرى سنة 33هـ/ 652م، وذلك بعد أن نكث أهلها العهود المبرمة بينهم وبين جيش المسلمين، وقد أخضعهم عبدالله بن سعد وأقرهم على الإسلام ودفع الجزية(٢).

- **مرحلة الفتح المنظـــم :**

قبل بداية مرحلة الفتح المنظم في بلاد المغرب فقد توجهت إلى المغرب على أيام معاوية بن أبي سفيان حملة قام بها معاوية بن حديج سنة 45 هـ / 665م(٣).

ووصل الجيش إلى جنوب قرطاجنة في موضع يقال له قونيه(قمونية) (٤)، وتقع في الموضع نفسه الذي تقوم عليه القيروان(٥)، وهو المكان نفسه الذي التقى فيه عبدالله بن سعد وجريجوريوس (جرجير)(٦).

وكان مع معاوية بن حديج عبدالله بن عمر عندما أرسله معاوية بن أبي سفيان إلى افريقية، وكذلك عبدالله بن الزبير بن العوام، وعبدالملك بن مروان، ويحيى بن أبي الحكم بن العاص، وعدد من أشراف من قريش(٧).

يذكر ابن أبي الحكم أن معاوية بن حديج غزا افريقية ثلاث غزوات (أما الأولى فكانت سنة 34هـ قبل مقتل عثمان، وأعطى مروان الخمس في تلك الغزوة، وهي غزوة لا يعرفها الكثير، والثانية سنة 40هـ، والثالثة سنة 50هـ)(٨).

---

(١) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص 312؛ المالكيّ، رياض النفوس، ج 1، ص 15-16؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص 13؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج24، ص6.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م، م4، ص217؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج1، ص80؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج1، ص162؛ مؤنس، فتح العرب، ص 105.

(٣) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص 329؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص16؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص77؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج 24، ص 10؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص 39؛ وانظر: مؤنس، فتح العرب، ص115؛ حتامله، الأندلس، ص37.

(٤) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص 118؛ لم تذكر قمونية في معجم البلدان لياقوت الحموي ولا البكريّ ولا الإدريسي، وحدد ابن عبد الحكم موضعها بأنها مدينة القيروان، وربما كانت إلى شمالها قليلاً. أنظر: ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص 328؛ أبو العرب، طبقات، ج 1، ص 15؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج 24، ص10؛ وانظر: مؤنس، فتح العرب، ص115.

(٥) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص 328؛ سالم، تاريخ المغرب، ص 96.

(٦) سالم، تاريخ المغرب، ص 96.

(٧) ابن أبي دينار، المؤنس، ص 39.

(٨) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص 329.

ثم بعث بن حديج السرايا ودوّخ البلاد، وبعث عبدالله بن الزبير إلى سوسة فافتتحها، ثم بعث عبدالملك بن مروان إلى جلولاء(*) (Gouloulis) فافتتحها كذلك(١).

وأرسل كذلك معاوية بن حديج جيشاً في البحر في مئتي مركب إلى صقلية ففتحوها، وسبوا، وغنموا، وأقاموا شهراً وانصرفوا بغنائم كثيرة. وبعث معاوية بالخمس إلى معاوية بن أبي سفيان(٢).

وترتب على ذلك انتشار نفوذ العرب ودخول عدد كبير من أهل البلاد في الإسلام والذي نلاحظه أن الغزو سيظل حتى ذلك الوقت غزواً مؤقتاً بمعنى أنها حملات كان الهدف منها هو الاستكشاف، والاستيلاء على المغانم والأسلاب، وذلك أن معاوية بن حديج لم يلبث أن عاد هو الآخر إلى مصر دون أن يترك والياً في افريقية(٣).

واستمرَّت ولاية معاوية بن حد يج على مصر وافريقية حتى سنة 50هـ/ 670م، إذ فصلهما معاوية بن أبي سفيان إلى ولايتين، وأمر معاوية بن حديج على مصر، بينما وجه إلى افريقية والياً آخر هو عقبة بن نافع الفهري(٤).

وفي عهد عقبة بن نافع (50-64هـ) بدأ الفتح المنظم والمستمر لشمالي افريقيا، وقد اعتمد في ذلك على عدد من القادة المشهورين مثل: بسر بن أرطاة، وشريك بن سمي المرادي، وزهير بن قيس البلوي(٥).

والحقيقة أن ولاية عقبة بن نافع كانت نقطة تحول في الفتح العربي للمغرب، وذلك لأنها تفرق بين مرحلتين، مرحلة حملات الاستكشاف، والبحث عن الغنائم ومرحلة الاستيطان الدائم للبلاد.

يذكر الكندي في (الولاة والقضاة) أن عمرو بن العاص بعث جيشاً على رأسه عقبة بن نافع يغزو لواته ومزاته في سنة 41هـ أثناء ولايته العامة، فهزمهم أكثر من مرة في نواحي طرابلس، وفرض عليهم شروطاً جائرة (كما تقول الرواية) حيث قال لهم: (إن شئنا أقررناكم وإن شئنا بعناكم)(٦).

(*) جلولاء أو جلولا على مقربة من القيروان الحالية، تبعد عنها أربعة وعشرين ميلاً، وهي مدينة كبيرة وحصن بيزنطي قديم واصله البيزنطي Couloulis أحد محارس الهضبة، وقال البكريّ أنها غنية كثيرة الأشجار والثمار وبها قصب السكر، أما ألأدريسي فيسميها جلولة ويقول: (إنها مدينة صغيرة عليها سور بها عين ماء جارية). لمزيد من التفاصيل حول ذلك أنظر: المالكيّ، رياض النفوس، ج 1، ص18؛ البكريّ، المسالك والممالك،ج 2، ص 685؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص 77؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج 24، ص10؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص39.

(١) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص87؛ وانظر: مؤنس، فتح العرب، ص123.

(٢) ابن أبي دينار، المؤنس، ص 40.

(٣) المالكيّ، رياض النفوس، ج 1، ص18-19؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص19؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص78،ابن أبي دينار، المؤنس، ص 40؛ وانظر: حتامله، جيل المولدين، ص42.

(٤) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص19،17؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج 24، ص11؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص30؛ وانظر: حتامله، جيل المولدين، ص42.

(٥) ابن عبد الحكم، فتوح افريقية، ص 14؛ ابن عذاري، البيان، ج 1 ص19؛ ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص50؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص19؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج14، ص21؛ وانظر: حتاملة، الأندلس، ص38؛ مؤنس، فتح العرب، ص135.

(٦) الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف، كتاب الولاة والقضاة، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1908، ص 32. وسيشار إليه فيما بعد: الكندي، كتاب الولاة.

ولقد سبق حملة عقبة بن نافع هذه غزوة أخرى أرسلها عمرو بن العاص وعلى رأسها شريك بن سمي المرادي وذلك سنة 40هـ/660م وهدفها إخضاع قبيلة لواته، وأتبع شريك ذلك بغزو قبيلة مزاته، وألحق بهم أكثر من هزيمة[١].

وفي سنة 42هـ/662م فتح غدامس[٢]، وفي سنة 43هـ/663م غزا عقبة بن نافع وافتتح مواضع من بلاد السودان، وافتتح ودان، وهي من حيز برقة[٣].

وقام كذلك عقبة بحملة في الصحراء الجنوبية، في فزان وما وراءها من الواحات في سنة 46هـ/666م، وذلك قبل توليته افريقية سنة 50هـ/670م وبنائه مدينة القيروان[٤].

ومهما يكن من أمر، فإن عقبة خرج من غدامس من أرض سرت ومعه أربعمائة فارس، وبرفقته بسر بن أرطاة وشريك بن سمّي المرادي، وهما ممن خبروا حرب الصحراء، كما سبق وأن رأينا، ومعه أربعمائة بعير، وثمانمائة قربة، وأخذ عقبة ملكهم، وقطع أذنه حتى لا يفكر بمحاربة المسلمين[٥].

وهكذا انتهت اول حملة في صحراوات جنوب طرابلس، وعاد عقبة محمَّلاً بالمغانم والأسلاب إلى غدامس، ومرّ بزويلة بعد خمسة أشهر، وبعد أن استراح عقبة وأصحابه قام بحملة أخرى، اخترق فيها أرض مزاتة وقفصة، فافتتحها ثم افتتح قسطيلية، وبعد ذلك انصرف إلى القيروان[٦].

لقد طهّر عقبة بهذا الفتح كل المقاومات المعادية، بين برقة وافريقية، فأصبحت هذه المنطقة خالصة للمسلمين حرية أن تكون قاعدة رصينة تنطلق منها القوات الإسلامية لفتح افريقية حتى المحيط الأطلسي[٧].

ويبدو أن عقبة لم يكن يسعى إلى الاستيلاء على المدن أو المراكز الحصينة، وإنما كان همه الجهاد لنشر الإسلام، وإن قال ياقوت أنه فتح بلاد المغرب[٨].

---

(١) الكندي، كتاب الولاة ، ص 32؛ ابن الأثير، أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، الكامل في التاريخ، دار الفكر، بيروت، 1978م، ج3، ص234؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص107.

(٢) الكندي، كتاب الولاة ، ص 32؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص107.

(٣) الكندي، كتاب الولاة ، ص 32.

(٤) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص 33؛ البكريّ، ص13، 14؛ وانظر: مؤنس، فتح العرب، ص 136؛ حطاب، محمود شيت، قادة فتح المغرب العربي، دار الفكر، دمشق، 2002م، ص99، وسيشار إليه فيما بعد: خطاب، قادة فتح.

(٥) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص 33؛ وانظر: خطاب، قادة فتح، ص99.

(٦) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص 332؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص 42؛ وانظر: مؤنس، فتح العرب، ص136.

(٧) شاكر، محمود، موسوعة الفتوحات الإسلامية، دار أسامة: عمان، ط 1، 2002م ص 132. وسيشار إليه فيما بعد: شاكر، موسوعة الفتوحات.

(٨) ماجد، عبد المنعم، التاريخ السياسي للدولة العربية (عصر الخلفاء الأمويين)، مكتبة الأنجلو المصرية: القاهرة، ط2، 1960، ص 178. وسيشار إليه فيما بعد، ماجد، التاريخ السياسي.

اختط عقبة بن نافع مدينة القيروان، وبنى بها المسجد الجامع، وبنى الناس مساكنهم ومساجدهم(١)، نظراً لموقعها الاستراتيجي لبعدها عن الساحل حتى لا يعرض العرب لغارات أهل البلاد من البربر، ويكون في مأمن من غارات الأسطول البيزنطي.(٢)

عزل معاوية بن أبي سفيان عقبة عن افريقية، وجعلها لمسلمة بن مخلد الأنصاري الذي كان على مصر (ومسلمة بن مخلد أول من جمعت له مصر والمغرب)(٣).

واستعمل مسلمة على افريقية مولىً له يقال له أبو المهاجر، فقدم افريقيا، وأساء عزل عقبة، واستخف به، وكان ذلك سنة 55هـ/675م(٤).

ويقول النويري: (فلما وصل أبو المهاجر كره أن ينزل في الموضع الذي اختطه عقبة، فنزل عنه بمسافة ميلين، واختط مدينة سمّاها البربر (بتكيروان) فأخذ في عمارتها، وأمر الناس أن يخربوا القيروان، ويعمّروا مدينته، وتوجه عقبة إلى معاوية بن أبي سفيان)(٥).

في سنة 55هـ علم أبو المهاجر بتكوين حلف ضدَّ المسلمين يضم بربر اوربه البرانس والروم(٦)، لذلك بدأ أبو المهاجر بمهاجمة بربر أوربة، وأحلافهم الذين كانوا يضربون في نواحي تلمسان، حتى يقضي على مقاومتهم (٧)، خرج أبو المهاجر على رأس جيش من المسلمين متجهاً إلى مراكز أوربة وأحلافها من البرانس، وفتح البلاد التي مرّ بها نحو تلمسان ومنها العيون التي سميت باسمه (عيون أبي المهاجر) (٨)، وفي نهاية الأمر قضى أبو المهاجر على الحلف القائم بين أوربة والروم، إذ انضمت كسيلة وبربرأوربه إلى جانب المسلمين وافتتح ميله سنة 59هـ/678م(٩).

وفي عام 60هـ/679م توفي معاوية بن أبي سفيان(١٠). واستخلف ولده يزيد بعده، فولى يزيد عقبة بن نافع الفهري افريقية سنة 62هـ/681م، فثار عقبة حنقاً على أبي المهاجر،

---

(١) ياقوت، معجم البلدان، ج 4، ص 421؛ الدباغ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن علي بن عبدالله الأنصاري، الأسدي، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تونس، 1320هـ، ج1، ص 70.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 19-20؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج24، ص12.

(٣) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص 265؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج24، ص13.

(٤) ابن الأثير، أسد الغابة، ج3، ص183، 184؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص21؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج24، ص13؛ وانظر: حتامله، الأندلس، ص 39؛ مؤنس، فتح العرب، ص 158؛ معالم تاريخ، ص 40-41.

(*) مدينة اوذان أو يتكيروان. وقد اختلفت صور كتابة هذا الإسم بين تيكروان أو تكروان وتاكروان وتكرر ودكرور. أنظر: أنظر: حتاملة، الأندلس، ص 39.

(٥) ابن عذاري، البيان، ج1، ص22؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج24، ص13.

(٦) العدوي، إبراهيم أحمد، الأساطيل العربية في البحر الأبيض المتوسط، دار النهضة، القاهرة، 1957م، ص 47-55؛ سالم، تاريخ المغرب، ص 129.

(٧) مؤنس، فتح العرب، ص 172؛ سالم، تاريخ المغرب، ص 129.

(٨) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص 80؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص 130.

(٩) ميله: مدينة تقع شرقي قلعة حماد، وهي مدينة حسنة كثيرة الاشجار والثمار وهي مدينة محصنة، تقع على البحر المتوسط، أنظر: ابن خياط، خليفة، العصفري، تاريخ خليفة بن خياط، دمشق، 1967، ص272، ياقوت، معجم البلدان، ج5، ص 245؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج1، ص 152.

(١٠) ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم، الإمامة والسياسة، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط 3، 1981م، ج1، ص202-203. وسيشار إليه فيما بعد: ابن قتيبة، الإمامة.

تمهيد

■ مفهوم مصطلح المغـــــرب :

ما يهمّنا هو معرفة حدود بلاد المغرب في فترة دراسة الدول المستقلة في المغرب بين القرنين الثاني والرابع الهجريين / الثامن والعاشر الميلاديين.

والمراد بلفظ المغرب هو كل ما يقابل المشرق من بلاد، وقد اختلف المسلمون في تحديد مدلوله، فجعله البعض شاملاً لبلاد شمال افريقية، بالإضافة إلى اسبانيا الإسلامية (الأندلس)، وجميع الممتلكات الإسلامية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، مثل: صقلية، وجنوب إيطاليا، وجزيرة سردراينا، وقورسيقا، وجزر البليار، أو الجزر الشرقية(١).

وبلاد المغرب تشمل: كل الأقاليم الواقعة غرباً، والتي تشمل شمال القارة الأفريقية، والأندلس اعتبرت أيضاً من بلاد المغرب(٢).

والمغرب يقسم إلى أقسام:

١. المغرب الأقصى: ويعرف ببلاد مراكش.
٢. المغرب الأوسط: وهو بلاد الجزائر الحالية.
٣. المغرب الأدنى: وهو بلاد القيروان أو ما يسمى اليوم بتونس(٣).

ويحدِّد ياقوت الحموي في معجم البلدان افريقية بقوله: (وحدُّ افريقية من طرابلس الغرب من جهة برقة والإسكندرية إلى بجايا، وقيل: مليانه، والمغرب هو ما يلي ذلك من البلاد غرباً ويبدو أن المراد بلفظ المغرب في أول الأمر كان تحديداً جغرافياً، أراد به الذين اتخذوا كل ما يقابل المشرق من البلاد، ومن هنا أدخل فيه بعض المؤرخين مصر والأندلس)(٤).

---

(١) الاصطخري، أبو اسحاق إبراهيم محمد الفاسي، المسالك والممالك، تح، محمد جابر وعبد العال الحسيني، مطابع دار القلم، القاهرة، 1381هـــ، ص 33. وسيشار إليه فيما بعد: الاصطخري، المسالك؛ ياقوت، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت ابن عبدالله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1979، ج5، ص161، وسيشار إليه فيما بعد: ياقوت، معجم البلدان؛ وانظر: العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، 2004م، ص11، وسيشار إليه فيما بعد: العبادي، في تاريخ المغرب؛ سالم، السيد عبد العزيز، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1982، ص39–40؛ وسيشار إليه فيما بعد: سالم، تاريخ المغرب.

(٢) ياقوت، معجم البلدان، ج 5، ص 263؛ وانظر: حتامله، محمد عبده، الأندلس، (التاريخ والحضارة والمحنة)، مطابع الدستور الأردنية، ط3، 1983م، ص5، 6، وسيشار إليه فيما بعد: حتامله الأندلس.

(٣) ياقوت، معجم البلدان، ج 2، ص60؛ الحميري، أبو عبدالله ابن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح إحسان عباس، مطابع هيلد بيرغ، بيروت، ط 2، 1984، ص144. وسيشار إليه فيما بعد: الحميري، الروض المعطار؛ ابن أبي دينار، أبو عبدالله محمد ابن أبي القاسم الرعيني القيرواني، المؤنس في أخبار افريقية وتونس، دار المسيرة، بيروت، ط 3، 1993، ص17، 19. وسيشار إليه فيما بعد: ابن أبي دينار، المؤنس؛ زغلول، سعد عبد الحميد، *تاريخ* المغرب العربي من الفتح إلى بداية الاستقلال (ليبيا وتونس والجزائر والمغرب)، منشأة المعارف، الاسكندرية، 1995، ص69–70.

(٤) ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص 228؛ حتاملة، الأندلس، ص 26.

وأهل مصر يسمّون ما عَنْ أيمانهم إذا استقبلوا بلاد المغرب، وبعضهم يخرج الأندلس من بلاد المغرب[١].

وجاء في المؤنس في أخبار افريقية وتونس لابن أبي دينار القيرواني: (أن حدَّ المغرب مِن بحر النيل بالمشرق إلى ساحل المحيط الأطلسي[٢].

ويشمل المغرب المناطق التالية:

1 ـ انطابلس (برقة) فـــزان :

وقد احتوت على عدد من الأقاليم، وتشمل على قرى ومدن بين الأسكندرية وافريقيا، ومركز برقة هو أنطابلس، وتحتوي على خمسة أقاليم، فالإقليم المتاخم لمصر هو انطابلس أو بنطابلس[٣].

وكانت برقة تشمل في أقاليمها الشرقية على كورة تعرَف باسم لوبية ومراقية[٤].

أمَّا عن حدود برقة الغربية فهي تتداخل في أرض طرابلس[٥].

وتنقسم أرض برقة الممتدة من (مسراته إلى الاسكندرية) إلى خمسة أقسام وهي: سرت، وبرقة الحمراء، والجبل الأخضر، والبطنان، وما بين العقبتين، وأخيراً ما بين العقبة الصغرى إلى الإسكندرية، وتسمّى العقبة الصغرى. والأقاليم الجنوبية لطرابلس هي فزّان التي يُضيف إليها البعض إقليم ودَّان[٦].

وطرابلس تعني كما يقول البكري ثلاث مدن [٧]، وطرابلس متصلة باقليم جبل نفوسة في الجنوب الذي يعدّ امتداداً لجبال أطلس أو جبال درن. وعلى ذلك فهي تخرج عن مفهوم كلمة المغرب عند الكثير من الكتاب، وتصبح البداية الحقيقية في بلاد المغرب هي بلاد افريقية[٨].

---

(١) نحاس، وفيقة، نشوء الدويلات في المغرب، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف أ.د عمر فروخ، الجامعة السورية، كلية الآداب، دمشق 1954م، ص 4، وسيشار إليها فيما بعد، وفيقة، نشوء الدويلات.

(4) ابن أبي دينار، المؤنس، ص16.

(5) ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص366، 388؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج1، 65.

(٤) المالكيّ، أبو بكر عبدالله ابن عبدالله، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقيا وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم، تح حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1951، ج1، 29؛ وسيشار إليه فيما بعد: المالكيّ، رياض النفوس؛ شعيرة، م.ع، لوبية ومراقية، مجلة كلية الآداب والتربية، بنغازي، م1، 1958، ص13.

(٥) زغلول، تاريخ المغرب، ج1، ص65.

(٦) ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبدالله، فتوح مصر والمغرب، تح محمد الحجيري، دار الفكر، بيروت، 1996، ص 200؛ البلاذري، أبو العباس، أحمد بن يحيى بن جابر، فتوح البلدان، تح عبدالله أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين: بيروت، 1957م، طبعة أوروبا، ص 229؛ زغلول، تاريخ المغرب، ص7.

(٧) اليعقوبي، أحمد ابن أبي يعقوب، ابن جعفر ابن وهب ابن واضح الكاتب، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، بيروت، 1960، ص345–346؛ وسيشار إليه فيما بعد: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي؛ زغلول، تاريخ المغرب، ص 66.

(8) زغلول، تاريخ المغرب، ص 66–67؛ مؤنس، حسين، تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح العربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر (من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر الميلاديين)ج 1، الدار السعودية، جدة، ط1، 1990م، وسيشار إليه فيما بعد: مؤنس، تاريخ المغرب.

2 ـ بلاد افريقيـــــة (تونـــس):

والحقيقة أنَّ اقليم افريقية عندَ الكتّاب له معنىً عام وآخرُ خاص، ومعناه العام يكادُ يُقارب بلاد المغرب، فحد افريقيا الشرقي يبدأ عند حدود مصر، وينتهي عند بلاد طنجة، وعندما تعرّف العرب على بلاد المغرب كان صلاحيته حاكم قرطاجنة الرومي تمتد من طنجة حتى ولاية طرابلس(١)، ومركز هذه الولاية كان هو البلاد التونسية التي عرفت عند الرومان باسم ولاية افريقية (Africa) وهي التي عرَّبها العرب إلى أفريقية(٢)، وحدَ افريقية من برقة إلى طنجة(٣).

أمّا المعنى الخاص لولاية أفريقية الأصلية قبل أن تتَّسع هذا الإتّساع، وتدخُلُ بقيَّة أمْلاك الدولة الرومانيَّة، فهي تعني البلاد التونسية الحالية، مُضَافاً إليها بعض الأقاليم الشرقية من بلاد الجزائر حتى ولاية قسطنطينة(٤)، أما سهول المغرب فيقع معظمها على سواحل المحيط الأطلسي من الغرب، والسواحل الشمالية على المحيط الأطلسي والبحر المتوسط، وهذه السهول تَضْيَقُ كلّما اتجهنا من الغرب إلى الشرق، إذ تزداد اقتراب السلاسل الجبلية من الساحل، وهناك أيضاً سهول داخلية تكونت حول وديان صغيرة تجري فيها الأنهار، وبعض هذه السهول تشتهر بخصوبتها مثل سهلي فاس ومكناس الغنيتين(٥).

ويبلغ امتداد بلاد المغرب من المشرق إلى المغرب نحو أربعة آلاف كم، وتنتهي هذه البلاد في الجنوب بالصحراء الكبرى التي تشمل على صحراء (شنقيط)، وهو بلاد مور كاتب الحالية(٦).

والغالب أن معنى لفظ المغرب انتهى عند المؤرخين والجغرافيين إلى أن يشمل كل ما يلي مصر غرباً حتى المحيط الأطلسي، ثم يقسِّموه بعد ذلك إلى ممالك، وهي:

---

(١) ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص323؛ حتاملة، الأندلس، ص28؛ زغلول، تاريخ المغرب، ج1، ص68.

(٢) ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة كولان ج. س و ليفي بروفان سال، دار الثقافة، بيروت، 1983، ص5، 6، وسيشار إليه فيما بعد ابن عذاري،البيان؛ الناصريّ، أبو العباس أحمد ابن خالد السلاوي، الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، تح جعفر ومحمد الناصريّ، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954م، ج 1، ص 33، وسيشار إليه فيما بعد: الناصريّ، الاستقصا، حتاملة، الأندلس، ص 28؛ سالم، السيد، عبد العزيز، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس منذ الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، دار المعارف: بيروت، 1962، ص 13–14؛ نبيلة، محمد حسن، محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة كريدية رضوان، بيروت، 1982م، ص 28. يقول الدكتور حتاملة : (فقد أطلق الأغريق على الجزء الشمالي من شمالي افريقية الذي يسكنه العنصر الأبيض اسم ليبو أو ليبيا، بينما أطلقوا على الصحراء بلاد الأحباش السود، وأطلق الرومان إسم افريقية على قرطاجنة وما حولها حيث كانت تلك المنطقة تعرف بولاية افريقية القنصلية، وهو الإسم الذي أطلقه العرب على كل بلاد المغرب باستثناء طرابلس وبرقة ثم اقتصر اسم افريقية في مرحلة تالية على كل ما يلي مصر غرباً حتى بجاية وأطلق اسم المغرب على كل ما يلي بجاية غرباً حتى المحيط الأطلسي). أنظر: ابن عذاري، البيان، ج1، ص 5–6؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص 33؛ حتاملة، الأندلس، ص 27–28.

(٣) ياقوت، معجم البلدان، ج 4، ص323؛ وانظر: حتامله، الأندلس، ص 28؛ نبيلة، محاضرات، ص 28؛ زغلول، تاريخ المغرب، ج1، ص68.

(٤) ابن أبي دينار، المؤنس، ص30؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج1، ص68.

(٥) زغلول، تاريخ المغرب، ج1، ص68.

(٦) حتاملة، الأندلس، ص27.

1ـ برقة وطرابلس.
2ـ افريقية، أوالمغرب الأدنى، افريقية (تونس) وقاعدتها (القيروان) في صدر الإسلام وقاعدتها في هذا العصر (تونس)(١).
3ـ المغرب الأوسط (تلمسان، وجزائر بني مرغنة).
4ـ المغرب الأقصى (مراكش وتازه وفاس) و (السوس)(*) وهو أقصى قسم نحو المحيط (الأطلسي)(٢) .

▪ سكـــان المغـــرب :

أما عن سكان المغرب فيفرِّق المؤرِّخون بين ثلاث طوائف من السكان تعمُرُ المغرب قبيل الفتح العربي الإسلامي، فيذكرون الروم، والأفارقة، والبربر(٣) .

▪ مراحل فتح المغــرب:

وتتفق بعض المراجع الحديثة على أن الفتح العربي للمغرب والأندلس كان على مرحلتين(٤):

١. مرحلة الغارات (21-49هـ/642-669م).
٢. مرحلة الفتح المنظم، وتنقسم إلى فترتين:
   أ. الفترة الأولى (50-64هـ).
   ب. الفترة الثانية (69-90هـ).

وبعض المراجع الأخرى تقسم مراحل الفتح العربي للمغرب إلى مرحلتين(٥):

١. مرحلة ما بين الفتح والاستكشاف من 22-50هـ/643-670م.
٢. مرحلة الاستقرار والفتح الدائم من 50-95هـ/670-713م.

▪ مرحلة الغارات (برقة وطرابلــس):

لقد بدأ فتح العرب للمغرب في مصر زمن الخليفة عمر بن الخطاب على يد عمرو بن العاص سنة 21هـ/641م، وقد كانت مصر إحدى الولايات الرومانية (٦)، والواقع أن فتح مصر أصبح ضرورة بعد فتح الشام وفلسطين وذلك لتأمين الفتوح الإسلامية في الشام،

---

(١) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص 71.

(*) السوس: بلد في المغرب، كانت الروم تسميها قمونية، مدينتها طنجة، وهناك السوس الأقصى مدينتها طرقلة. أنظر: ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص 280.

(٢) الناصريّ، الاستقصا، ص 71؛ وانظر: لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية : القاهرة، ط3، 1965م، ص 443.

(٣) وفيقة، نشوء الدويلات، ص 5.

(٤) سالم، تاريخ المغرب، ص 55، 105.

(٥) زغلول، تاريخ المغرب، ج1، 127.

(٦) ابن عبد الحكم، فتوح مصر،ص 132-133؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص8؛ وانظر: مؤنس، فتح العرب، ص 50؛ وفيقة، نشوء الدويلات، ص7.

ولتأمين المدينة نفسها مركز الخلافة، ولأنها قريبة من بحر القلزم (السويس حالياً)، والواقع أن مصر والشام ربطتهما من أقدم العصور مصالح سياسية وحربية وتجارية واحدة، وغالباً ما أخضعت مصر والشام في العصور المختلفة لحكم دولة واحدة(١).

وافق الخليفة عمر بن الخطاب على فتح مصر، وأمدَّ عمرو بن العاص بـــأربعة آلاف مقاتل وقال له: (إني مرسل إليك كتاباً فإن أدركك وأمرتك فيه بالانصراف عن مصر قبل أن تدخلها، وشيئاً من أرضها فانصرف، وان دخلتها قبل أن يأتيك كتابي، فامض لوجهك، واستعن بالله، واستنصره)(٢).

يذكر ابن عذارى أن الخليفة عمر بدأ يمهد لفتح برقة، فبعث إليه نفراً من جنده بقيادة عقبة بن نافع الفهري يستطلعون أحوالها وأخبارها، فيقول ابن عذارى (وجه عقبة بن نافع الفهري إلى منطقتي زويلة(*)، وبرقة، فافتتحها، ثم توجه عمرو بنفسه إلى برقة، فصالح أهلها)(٣).

ولا يؤيد ابن عذارى في روايته هذه غير ابن أبي دينار القيرواني، إذ يشير ابن أبي دينار إلى ذلك البعث الاستطلاعي إشارة ضمنية في قوله: (ولما فتح عمرو بن العاص مدينة مصر والاسكندرية، بعث عقبة بن نافع إلى برقة، وزويلة، وما جاورها من أهل البلاد، فصارت تحت ذمة الإسلام، وسار عمرو بن العاص وغزا طرابلس)(٤).

وفي إقامة عمرو بن العاص في طرابلس، بعث بسر بن ارطاة، ففتح ودان، وجبال نفوسه، ولم يتجاوز عمرو بن العاص إلى إقليم افريقية، ورجع عائداً إلى مصر(٥).

وفي سنة 21هـــ/641م فتح عمرو بن العاص الاسكندرية(٦)، وقد رأى عمرو بن العاص أنه بفتح الاسكندرية قد قضى على سلطان الروم في مصر (٧)، وكان عمرو قد توجه بنفسه إلى برقة فصالح أهلها، وتوجَّه بعد ذلك إلى طرابلس ففتحها بعد أن استغاث أهلها

---

(١) حتامله، جيل المولدين، ص35.

(٢) ابن حبيب، عبد الملك بن حبيب الالبيري، كتاب التأريخ، تح خورجي اغواداي، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، إسبانيا، 1991م. ص 107؛ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص132؛ وانظر: مؤنس، معالم تاريخ المغرب، ص34.

(*) زويلة: مدينة قديمة مسورة تقع في وسط الصحراء على بعد 770 كم إلى الجنوب الشرقي من مدينة طرابلس،أنظر:الحتاملة، جيل المولدين، ص 35 نقلاً عن ، ياقوت، معجم البلدان، ج 3، ص 159-160؛ البكريّ، أبو عبدالله عبدالله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو البكريّ، المسالك والممالك، تح أدريان فان ليوفن واندري فيري، الدار العربية للكتاب والمؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، تونس، 1992م، ص10-11؛ ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص159-160.

(٣) ابن عبد الحكم، أبو القاسم، عبد الرحمن بن عبدالله، فتوح افريقية والأندلس، تح عبدالله أنيس الطباع، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، 1964م، ص30-31؛ ابن عذاري، البيان، ج1ص8.

(٤) ابن عبد الحكم، فتوح افريقية، ص30-31؛ ابن عذاري، البيان ، ج1، ص 19؛ ابن أبي دينار،المؤنس؛ ص37؛ وانظر: مؤنس، حسين، فجر الأندلس، دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية (711-756م) القاهرة: الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، 1959م، ص36-38.

(٥) ابن عذاري، البيان، ج1.

(٦) ابن عبد الحكم، فتوح افريقية، ص 6-7؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص8؛ وانظر: حتامله، الأندلس، ص32؛ جيل المولدين، ص29.

(٧) ابن عذاري، البيان، ج1، ص8.

بقبيلة من البربر يقال لها نفوسة، إذ كانوا قد دخلوا معهم في دين النصرانية(١)، وكان ذلك في سنة 22هـ/642م(٢). وقد كتب عمرو إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يخبره بما أفاء الله عليه من الفتح والنصر، وأن ليس أمامه إلا بلاد افريقية، وملوكها كثيرة وأهلها كما يقول ابن عذاري (عديدون) وأكثر ركوبهم الخيل، فأمره بالانصراف عنها، فأمر عمرو بن العاص العسكر بالرحيل عائداً إلى مصر(٣).

ثم سار عمرو إلى مدينة صبرة، وافتتحها عنوة، وكمّل الفتح إلى برقة، فصالح أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار جزية، وأراد أن يتم سيره إلى افريقيا فمنعه الخليفة عمر بن الخطاب عن ذلك فعاد إلى مصر(٤).

ولمّا ولّي عثمان بن عفان (رضي الله عنه) الخلافة عزل عمرو بن العاص عن مصر، وولى عليها عبدالله بن سعد بن أبي السرح(٥).

وتقول الروايات أن الهدف من فتح برقة وطرابلس هو نشر الإسلام، ومواصلة الفتوح، وحماية حدود مصر الغربية من خطر الروم (البزنطيين) الذين كانوا يحكمون المغرب الأدنى، إذ كان يخشى أن يحاولوا استعادة مصر عن الطريق الغربي(٦).

وخلاصة القول إن فتح برقة قد تمَّ بسهولة ويسر.

وقد استمر عمرو بن العاص في تقدمه حتى مدينة طرابلس في سنة 22هـ/642م، وقد كان يحيط مدينة طرابلس أسوار من كل جانب إلا من جهة البحر، وتقدم عمرو بقواته من جهة الشرق وعسكر في مكان مرتفع يشرف على المدينة كما تقول رواية ابن عبد الحكم، وحاصر المدينة شهراً دون طائل(٧).

ومهما يكن من أمر، فإنه بعد سقوط طرابلس استولى عمرو على مدينة صبرة سنة 23هـ/643 في غربي طرابلس(٨).

وتقول رواية ابن عبد الحكم أن عمراً كتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بعد أن فتح بلاد طرابلس، يخبره بما أفاض الله عليه من النصر والفتح، وأنه ليس أمامه إلا بلاد

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج1، ص8.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج1، ص8؛ وانظر: الحتاملة، الأندلس، ص 33.

(٣) ابن عذاري، البيان، ج1، ص8؛ وانظر: حتاملة، الأندلس ، ص 33.

(٤) ابن أبي دينار، المؤنس، ص 37؛ وانظر: مؤنس، تاريخ المغرب، ص81.

(٥) ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، أسد الغابة في معرفة الصحابة، المطبعة الإسلامية، 1377هـ، ج3، ص173؛ النويريّ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الإرب في فنون الأدب، تحقيق عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2004م، ج24، ص3؛ ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن، يوسف الاتابكي، النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب العلمية، القاهرة، 1929م، ج1، ص79.
كان عبدالله بن سعد بن أبي سرح العامري يكتب الوحي لرسول الله (ص) وقد ارتد عن الإسلام، وقد اتخذ الرسول معاوية كاتباً للوحي بعده، وعند فتح مكة استجار عبدالله بن سعد بعثمان بن عفان وأخذ له الأمان من النبي (ص). أنظر: ابن عذاري، البيان، ج1، ص9.

(٦) سالم، تاريخ المغرب، ص 55؛ العبادي في تاريخ المغرب، ص 58؛ الزاوي، الطاهر أحمد، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، مطبعة المعارف، القاهرة، 1373هـ، ص 45.

(٧) ابن عبد الحكم، فتوح افريقية، ص30–31.

(٨) ابن عبد الحكم، فتوح افريقية، ص 32؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص 62؛ حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام (السياسي والديني والثقافي والاجتماعي)، دار الأندلس، بيروت، ط7، ج2، ص261.

افريقية (تونس)، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن له في غزوها فعل، فكتب إليه ينهاه عن ذلك ويقول : (لا إنها ليست بأفريقية، ولكنها المفرقة)(١).

ويبدو أن الخليفة عمر كان يخشى أن يتهور الجند في تلك البلاد البعيدة، وتنسب الروايات إلى أن الخليفة عمر كتب إلى عمرو بن العاص عن افريقية، إذ قال له: (ولا تقربها فإنها باب من أبواب جهنم)(٢).

والظاهر أن أحوال مصر هي التي دفعت عمرو بن العاص إلى العودة إليها تاركاً التقدم إلى افريقية، وعقب رجوع عمرو إلى مصر بقليل لقي الخليفة عمر مصرعه في أواخر سنة 23هـ/643م(٣).

وقد سار عبدالله بن سعد على السياسة نفسها التي اتخذها عمرو بن العاص بعد فتح طرابلس، إذ كان يبعث سرايا المسلمين إلى أطراف افريقية لفتحها(٤).

وبعد أن حققت تلك السرايا الأهداف المرجوة منها أصبح يفكر عبدالله بن سعد في غزو أفريقيا بعد أن أرسل لاستشارة الخليفة عثمان، لكن عثمان كان قلقاً من تلك الفتوح (٥)، وشارك في الفتح كبار الصحابة، وسميت هذه الحملة بحملة العبادلة سنة 27هـ/ 648م، وذلك لكثرة من كانوا يسمون باسم عبدالله(٦).

ويورد أبو العرب أعداد من خرجوا من كل قبيلة للغزو، إذ بلغ جيش عبدالله بن سعد الذي آلت إليه القيادة بوصفه أمير مصر عشرين الفاً(٧). وقد خرج عبدالله بن سعد سنة 27 هـ/647م على رأس هذا الجيش الضخم من فسطاط مصر بعد أن استخلف عقبة بن عامر الجهني(٨).

ومن برقة سار عبدالله نحو مدينة طرابلس، وهنا رأى عبدالله بن سعد ألاّ يستنفذ جهوده في حرب طرابلس، فتركها كما ترك مدينة قابس هي الأخرى، وتقدم إلى المكان الذي ستبنى فيه مدينة القيروان وهو المكان المعروف بسبيطلة، وذلك في سنة 28هـ/648م(٩).

---

(١) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص74.

(٢) أبو العرب، تميم محمد بن أحمد التميمي القيرواني، طبقات علماء أفريقية وتونس، تح علي الشابي ونعيم حسن اليافي، الدار التونسية، تونس، 1968م، ص72. وسيشار إليه فيما بعد: أبو العرب، طبقات.

(٣) ابن حبيب، كتاب التاريخ، ص110؛ ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص 298؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص8؛ وانظر: حتامله، الأندلس، ص33؛ جيل المولدين، ص36.

(٤) ابن حبيب، كتاب التاريخ، ص 110؛ أبو العرب، طبقات، ص 65؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص9؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج1، ص 147-148.

(٥) ابن حبيب، كتاب التاريخ، ص 111؛ ابن عبد الحكم، فتوح افريقية، ص 14؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص9؛ وانظر: حتاملة، الأندلس، ص 32-34.

(٦) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص 183؛ أبو العرب، طبقات، ص 67، 68؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص8-9؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص86-87؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج 24، ص4؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج1، ص147-148.

(٧) أبو العرب، طبقات، ص 69-70؛ المالكيّ، رياض النفوس، ص10؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص9؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج1، ص70.

(٨) المالكيّ، رياض النفوس، ص11؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج1، ص70.

(٩) ابن عبد الحكم، فتوح افريقية، ص312؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج24، ص5؛ وانظر: حتامله، الأندلس، ص34؛ مؤنس، حسين، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، القاهرة، 1997م، ص 35. وسيشار إليه فيما بعد: مؤنس، معالم تاريخ.

- **موقعة سبيطلة(*) (Supetula) :**

كانت الخطوة التالية في فتح العرب للمغرب بعد ذلك بأربع سنوات أي في سنة 27-28هـ/647-648م بقيادة عبدالله بن سعد[١].

وقبل لقاء العرب للبيزنطيين ذهب رسل عبدالله ابن أبي سرح إلى جرجير الفرنجي يعرضون عليه الإسلام، أو الخضوع للعرب ودفع الجزية، وفشلت المفاوضات وتقرر القتال، وبلغت قوات جرجير مائة وعشرين ألفاً من الجند [٢]، ورواية أخرى تقول أن عدد جيش البيزنطيين قد بلغ مائتي ألف مقاتل، وكان مع جرجير ابنته[٣].

ويقول الناصري في (الاستقصا) أن جرجير قد أعلن جائزة مقدارها مائة وعشرون ألف دينار لمن يقتل ابن أبي سرح، وأن يزوجه ابنته، ويستعمله على بلاده، ولكن عبدالله بن الزبير قد أعلن دعاية مضادة تقول أن من يقتل جرجير فله مائة ألف، ويزوجه ابنته، ويستعمله على بلاده[٤].

وقبل بداية المعركة كانت خطة عبدالله بن الزبير أن يقوم مجموعة من جيش المسلمين من أبطالهم بعمليات كر وفر، والهجوم على جيش جرجير الرومي في خيامهم، لبث الذعر والرعب بينهم، وقتل العدد الوافر منهم[٥].

ورتب عبدالله بن الزبير خطة عسكرية جديدة تتلخص في تقسيم القوات العربية إلى قسمين: الأول ينازل الجيش البزنطي، بينما يكون القسم الآخر كميناً عليه، ليفاجئ العدو بعد أن يرهقه القتال. ونجحت الخطة فعلاً، وتمكن الكمين من ترجيح كفة القوة العربية، وانتهى القتال بمقتل جرجير، وأسر ابنته[٦].

وكانت نتيجة المعركة أن هزمت قوات الروم، وقتل جرجير، وأخذت ابنته سبية [٧]، وبهذا فإن المسلمين قد حاصروا سبيطلة وفتحوها[٨].

وهكذا انتهت معركة سبيطلة بانتصار المسلمين، وانهزام القوات الرومية الفرنجية، وقتل جرجير (حاكم افريقية)، وقد أتبع عبدالله ابن أبي السرح ذلك بحصار مدينة سبيطلة نفسها، وسقطت المدينة، وغنم العرب فيها مغانم كثيرة لم يشهدوا لها مثيلاً من قبل، وقد أرسل ابن

(*) سبيطلة: مدينة تقع على بعد سبعين ميلاً من القيروان على الطريق بين سوسة وجبال الأوراس. أنظر: ياقوت، معجم البلدان، ج3، 187.

(١) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص 312؛ البلاذري، فتوح البلدان، ج 4، ص 255؛ وانظر: الحتاملة، الأندلس، ص 35.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص10؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج 24، ص6؛ وانظر: حتاملة، الأندلس، ص35؛ مؤنس، تاريخ المغرب، ص81.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 1، ص85؛ وانظر: مؤنس، حسين، فتح العرب للمغرب، مطبعة مصر، القاهرة، (د.ت)، ص 87. وسيشار إليه فيما بعد: مؤنس، فتح العرب.

(٤) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص75.

(٥) المصدر نفسه، ج1، ص 75-76.

(٦) المالكيّ، رياض النفوس، ج1، ص14.

(٧) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص 313-314؛ المالكيّ، رياض النفوس، ج 1، ص12؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص76؛ وانظر: مؤنس، فتح العرب، ص91.

(٨) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص 312؛ المالكيّ، رياض النفوس، ج 1، ص13؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص76؛ وانظر: حتاملة، الأندلس، ص35.

أبي السرح بخبر الفتح مع عبدالله بن الزبير إلى المدينة، وهناك أعلن انتصار القوات العربية في افريقية في مسجد الرسول (صلى الله عليه وسلم) وفي حضرة الخليفة عثمان بن عفان وكبار الصحابة(١).

واستمر عبدالله بن سعد في حربه ضد الروم، إذ قام بحملة أخرى سنة 33هـ/ 652م، وذلك بعد أن نكث أهلها العهود المبرمة بينهم وبين جيش المسلمين، وقد أخضعهم عبدالله بن سعد وأقرهم على الإسلام ودفع الجزية(٢).

- **مرحلة الفتح المنظــــم :**

قبل بداية مرحلة الفتح المنظم في بلاد المغرب فقد توجهت إلى المغرب على أيام معاوية بن أبي سفيان حملة قام بها معاوية بن حديج سنة 45 هـ / 665م(٣).

ووصل الجيش إلى جنوب قرطاجنة في موضع يقال له قونيه(قمونية) (٤)، وتقع في الموضع نفسه الذي تقوم عليه القيروان(٥)، وهو المكان نفسه الذي التقى فيه عبدالله بن سعد وجريجوريوس (جرجير)(٦).

وكان مع معاوية بن حديج عبدالله بن عمر عندما أرسله معاوية بن أبي سفيان إلى افريقية، وكذلك عبدالله بن الزبير بن العوام، وعبدالملك بن مروان، ويحيى بن أبي الحكم بن العاص، وعدد من أشراف من قريش(٧).

يذكر ابن أبي الحكم أن معاوية بن حديج غزا افريقية ثلاث غزوات (أما الأولى فكانت سنة 34هـ قبل مقتل عثمان، وأعطى مروان الخمس في تلك الغزوة، وهي غزوة لا يعرفها الكثير، والثانية سنة 40هـ، والثالثة سنة 50هـ)(٨).

---

(١) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص 312؛ المالكيّ، رياض النفوس، ج 1، ص 15-16؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص 13؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج24، ص6.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م، م4، ص217؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج1، ص80؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج1، ص162؛ مؤنس، فتح العرب، ص 105.

(٣) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص 329؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص16؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص77؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج 24، ص 10؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص 39؛ وانظر: مؤنس، فتح العرب، ص115؛ حتامله، الأندلس، ص37.

(٤) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص 118؛ لم تذكر قمونية في معجم البلدان لياقوت الحموي ولا البكريّ ولا الإدريسي، وحدد ابن عبد الحكم موضعها بأنها مدينة القيروان، وربما كانت إلى شمالها قليلاً. أنظر: ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص 328؛ أبو العرب، طبقات، ج 1، ص 15؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج 24، ص10؛ وانظر: مؤنس، فتح العرب، ص115.

(٥) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص 328؛ سالم، تاريخ المغرب، ص 96.

(٦) سالم، تاريخ المغرب، ص 96.

(٧) ابن أبي دينار، المؤنس، ص 39.

(٨) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص 329.

ثم بعث بن حديج السرايا ودوّخ البلاد، وبعث عبدالله بن الزبير إلى سوسة فافتتحها، ثم بعث عبدالملك بن مروان إلى جلولاء(*) (Gouloulis) فافتتحها كذلك(١).

وأرسل كذلك معاوية بن حديج جيشاً في البحر في مئتي مركب إلى صقلية ففتحوها، وسبوا، وغنموا، وأقاموا شهراً وانصرفوا بغنائم كثيرة. وبعث معاوية بالخمس إلى معاوية بن أبي سفيان(٢).

وترتب على ذلك انتشار نفوذ العرب ودخول عدد كبير من أهل البلاد في الإسلام والذي نلاحظه أن الغزو سيظل حتى ذلك الوقت غزواً مؤقتاً بمعنى أنها حملات كان الهدف منها هو الاستكشاف، والاستيلاء على المغانم والأسلاب، وذلك أن معاوية بن حديج لم يلبث أن عاد هو الآخر إلى مصر دون أن يترك والياً في افريقية(٣).

واستمرَّت ولاية معاوية بن حد يج على مصر وافريقية حتى سنة 50هـ/ 670م، إذ فصلهما معاوية بن أبي سفيان إلى ولايتين، وأمر معاوية بن حديج على مصر، بينما وجه إلى افريقية والياً آخر هو عقبة بن نافع الفهري(٤).

وفي عهد عقبة بن نافع (50-64هـ) بدأ الفتح المنظم والمستمر لشمالي افريقيا، وقد اعتمد في ذلك على عدد من القادة المشهورين مثل: بسر بن أرطاة، وشريك بن سمي المرادي، وزهير بن قيس البلوي(٥).

والحقيقة أن ولاية عقبة بن نافع كانت نقطة تحول في الفتح العربي للمغرب، وذلك لأنها تفرق بين مرحلتين، مرحلة حملات الاستكشاف، والبحث عن الغنائم ومرحلة الاستيطان الدائم للبلاد.

يذكر الكندي في (الولاة والقضاة) أن عمرو بن العاص بعث جيشاً على رأسه عقبة بن نافع يغزو لواته ومزاته في سنة 41هـ أثناء ولايته العامة، فهزمهم أكثر من مرة في نواحي طرابلس، وفرض عليهم شروطاً جائرة (كما تقول الرواية) حيث قال لهم: (إن شئنا أقررناكم وإن شئنا بعناكم)(٦).

(*) جلولاء أو جلولا على مقربة من القيروان الحالية، تبعد عنها أربعة وعشرين ميلاً، وهي مدينة كبيرة وحصن بيزنطي قديم واصله البيزنطي Couloulis أحد محارس الهضبة، وقال البكريّ أنها غنية كثيرة الأشجار والثمار وبها قصب السكر، أما ألأدريسي فيسميها جلولة ويقول: (إنها مدينة صغيرة عليها سور بها عين ماء جارية). لمزيد من التفاصيل حول ذلك أنظر: المالكيّ، رياض النفوس، ج 1، ص18؛ البكريّ، المسالك والممالك،ج 2، ص 685؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص 77؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج 24، ص10؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص39.

(١) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص87؛ وانظر: مؤنس، فتح العرب، ص123.

(٢) ابن أبي دينار، المؤنس، ص 40.

(٣) المالكيّ، رياض النفوس، ج 1، ص18-19؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص19؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص78،ابن أبي دينار، المؤنس، ص 40؛ وانظر: حتامله، جيل المولدين، ص42.

(٤) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص19،17؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج 24، ص11؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص30؛ وانظر: حتامله، جيل المولدين، ص42.

(٥) ابن عبد الحكم، فتوح افريقية، ص 14؛ ابن عذاري، البيان، ج 1 ص19؛ ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص50؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص19؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج14، ص21؛ وانظر: حتاملة، الأندلس، ص38؛ مؤنس، فتح العرب، ص135.

(٦) الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف، كتاب الولاة والقضاة، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1908، ص 32. وسيشار إليه فيما بعد: الكندي، كتاب الولاة.

ولقد سبق حملة عقبة بن نافع هذه غزوة أخرى أرسلها عمرو بن العاص وعلى رأسها شريك بن سمي المرادي وذلك سنة 40هـ/660م وهدفها إخضاع قبيلة لواته، وأتبع شريك ذلك بغزو قبيلة مزاته، وألحق بهم أكثر من هزيمة(١).

وفي سنة 42هـ/662م فتح غدامس(٢)، وفي سنة 43هـ/663م غزا عقبة بن نافع وافتتح مواضع من بلاد السودان، وافتتح ودان، وهي من حيز برقة(٣).

وقام كذلك عقبة بحملة في الصحراء الجنوبية، في فزان وما وراءها من الواحات في سنة 46هـ/666م، وذلك قبل توليته افريقية سنة 50هـ/670م وبنائه مدينة القيروان(٤).

ومهما يكن من أمر، فإن عقبة خرج من غدامس من أرض سرت ومعه أربعمائة فارس، وبرفقته بسر بن أرطاة وشريك بن سمّي المرادي، وهما ممن خبروا حرب الصحراء، كما سبق وأن رأينا، ومعه أربعمائة بعير، وثمانمائة قربة، وأخذ عقبة ملكهم، وقطع أذنه حتى لا يفكر بمحاربة المسلمين(٥).

وهكذا انتهت اول حملة في صحراوات جنوب طرابلس، وعاد عقبة محمَّلاً بالمغانم والأسلاب إلى غدامس، ومرّ بزويلة بعد خمسة أشهر، وبعد أن استراح عقبة وأصحابه قام بحملة أخرى، اخترق فيها أرض مزاتة وقفصة، فافتتحها ثم افتتح قسطيلية، وبعد ذلك انصرف إلى القيروان(٦).

لقد طهّر عقبة بهذا الفتح كل المقاومات المعادية، بين برقة وافريقية، فأصبحت هذه المنطقة خالصة للمسلمين حرية أن تكون قاعدة رصينة تنطلق منها القوات الإسلامية لفتح افريقية حتى المحيط الأطلسي(٧).

ويبدو أن عقبة لم يكن يسعى إلى الاستيلاء على المدن أو المراكز الحصينة، وإنما كان همه الجهاد لنشر الإسلام، وإن قال ياقوت أنه فتح بلاد المغرب(٨).

---

(١) الكندي، كتاب الولاة ، ص 32؛ ابن الأثير، أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، الكامل في التاريخ، دار الفكر، بيروت، 1978م، ج3، ص234؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص107.

(٢) الكندي، كتاب الولاة ، ص 32؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص107.

(٣) الكندي، كتاب الولاة ، ص 32.

(٤) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص 33؛ البكريّ، ص13، 14؛ وانظر: مؤنس، فتح العرب، ص 136؛ حطاب، محمود شيت، قادة فتح المغرب العربي، دار الفكر، دمشق، 2002م، ص99، وسيشار إليه فيما بعد: خطاب، قادة فتح.

(٥) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص 33؛ وانظر: خطاب، قادة فتح، ص99.

(٦) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص 332؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص 42؛ وانظر: مؤنس، فتح العرب، ص136.

(٧) شاكر، محمود، موسوعة الفتوحات الإسلامية، دار أسامة: عمان، ط 1، 2002م ص 132. وسيشار إليه فيما بعد: شاكر، موسوعة الفتوحات.

(٨) ماجد، عبد المنعم، التاريخ السياسي للدولة العربية (عصر الخلفاء الأمويين)، مكتبة الأنجلو المصرية: القاهرة، ط2، 1960، ص 178. وسيشار إليه فيما بعد، ماجد، التاريخ السياسي.

اختط عقبة بن نافع مدينة القيروان، وبنى بها المسجد الجامع، وبنى الناس مساكنهم ومساجدهم[١]، نظراً لموقعها الاستراتيجي لبعدها عن الساحل حتى لا يعرض العرب لغارات أهل البلاد من البربر، ويكون في مأمن من غارات الأسطول البيزنطي.[٢]

عزل معاوية بن أبي سفيان عقبة عن افريقية، وجعلها لمسلمة بن مخلد الأنصاري الذي كان على مصر (ومسلمة بن مخلد أول من جمعت له مصر والمغرب)[٣].

واستعمل مسلمة على افريقية مولىً له يقال له أبو المهاجر، فقدم افريقيا، وأساء عزل عقبة، واستخف به، وكان ذلك سنة 55هـ/675م[٤].

ويقول النويري: (فلما وصل أبو المهاجر كره أن ينزل في الموضع الذي اختطه عقبة، فنزل عنه بمسافة ميلين، واختط مدينة سمّاها البربر (بتكيروان) فأخذ في عمارتها، وأمر الناس أن يخربوا القيروان، ويعمّروا مدينته، وتوجه عقبة إلى معاوية بن أبي سفيان)[٥].

في سنة 55هـ علم أبو المهاجر بتكوين حلف ضدَّ المسلمين يضم بربر اوربه البرانس والروم[٦]، لذلك بدأ أبو المهاجر بمهاجمة بربر أوربة، وأحلافهم الذين كانوا يضربون في نواحي تلمسان، حتى يقضي على مقاومتهم [٧]، خرج أبو المهاجر على رأس جيش من المسلمين متجهاً إلى مراكز أوربة وأحلافها من البرانس، وفتح البلاد التي مرّ بها نحو تلمسان ومنها العيون التي سميت باسمه (عيون أبي المهاجر) [٨]، وفي نهاية الأمر قضى أبو المهاجر على الحلف القائم بين أوربة والروم، إذ انضمت كسيلة وبربرأوربه إلى جانب المسلمين وافتتح ميله سنة 59هـ/678م[٩].

وفي عام 60هـ/679م توفي معاوية بن أبي سفيان[١٠]. واستخلف ولده يزيد بعده، فولى يزيد عقبة بن نافع الفهري افريقية سنة 62هـ/681م، فثار عقبة حنقاً على أبي المهاجر،

---

(١) ياقوت، معجم البلدان، ج 4، ص 421؛ الدباغ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن علي بن عبدالله الأنصاري، الأسدي، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تونس، 1320هـ، ج1، ص 70.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 19-20؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج24، ص12.

(٣) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص 265؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج24، ص13.

(٤) ابن الأثير، أسد الغابة، ج3، ص183، 184؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص21؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج24، ص13؛ وانظر: حتامله، الأندلس، ص 39؛ مؤنس، فتح العرب، ص 158؛ معالم تاريخ، ص 40-41.

(*) مدينة اوذان أو يتكيروان. وقد اختلفت صور كتابة هذا الإسم بين تيكروان أو تكروان وتاكروان وتكرر ودكرور. أنظر: أنظر: حتاملة، الأندلس، ص 39.

(٥) ابن عذاري، البيان، ج1، ص22؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج24، ص13.

(٦) العدوي، إبراهيم أحمد، الأساطيل العربية في البحر الأبيض المتوسط، دار النهضة، القاهرة، 1957م، ص 47-55؛ سالم، تاريخ المغرب، ص 129.

(٧) مؤنس، فتح العرب، ص 172؛ سالم، تاريخ المغرب، ص 129.

(٨) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص 80؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص 130.

(٩) ميله: مدينة تقع شرقي قلعة حماد، وهي مدينة حسنة كثيرة الاشجار والثمار وهي مدينة محصنة، تقع على البحر المتوسط، أنظر: ابن خياط، خليفة، العصفري، تاريخ خليفة بن خياط، دمشق، 1967، ص272، ياقوت، معجم البلدان، ج5، ص 245؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج1، ص 152.

(١٠) ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم، الإمامة والسياسة، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط 3، 1981م، ج1، ص202-203. وسيشار إليه فيما بعد: ابن قتيبة، الإمامة.

فلما وصل افريقية أوثقه بالحديد، وأمر بتخريب مدينته التي بناها وأعاد الناس إلى القيروان(١).

وقام عقبة بن نافع على رأس قواته التي بلغت عشرة آلاف رجل، بعد أن استخلف عمر ابن علي القرشي، وزهير بن قيس البلوي، ومعهما بعض قواته التي تبلغ ستة آلاف رجل، وقام بحملة كبرى، وصل في حملته إلى أقصى الجنوب الغربي للمغرب الأقصى(٢).

وقد اتخذ عقبة بن نافع الطريق الصحراوي فخرج من القيروان، واتجه نحو شمال الأوراس، ولكنه ترك القلاع التي كانت هناك دون أن يدخلها، مثل قلعة باغاية وقلعة بادس، ثم استمر في الاتجاه نحو مدينة طنجة ماراً بإقليم تاهرت (شرق وهران). وهناك وجد نفسه أمام تحالف من الروم والبربر، لم يعرف له العرب مثيلاً(٣).

وقد حدثت معركة بين الجانبين، ولكن القتال انتهى بانهزام الروم إلى المدينة، وغنم العرب أموالهم وسلاحهم(٤)، وقتل خلق كثير من الروم وسبيت نساؤهم(٥).

وقد نشر الإسلام في صحراء مراكش، بعد أن فتحها عقبة وبنى مسجداً في منطقة درعة(٦)، ثم فتح مدينة نفيس(٧).

وبعد ذلك عرج على منطقة تفللت وسجلماسة ثم إلى الجنوب الغربي من منطقة وادي نفيس، حيث أقام مسجداً جامعا، ورباطاً يعرف باسم (رباط شاكر)(*)، ثم صعد نحو الشمال من أراضي برغواطة، ثم نحو الصحراء في طريق عودته إلى القيروان(٨).

ثم رحل من هناك إلى سرنو ببلاد دكاله(٩)، فوجد فيها قوماً دعاهم إلى الإسلام فامتنعوا، فامتنعوا، فاشتبك معهم في قتال وانتهى بقتل جماعة كبيرة من جنوده، فسمّى هذا الموقع باسم (مقبرة الشهداء)(١٠)، ثم مضى من دكالة إلى بلاد هسكورة، وقاتل سكان هذه النواحي وشتتهم، وعبر نهر أم الربيع، وأوغل في البلاد شرقاً حتى دخل المغرب الأوسط، وما زال يواصل سيره إلى القيروان، حتى أوشك دخول المغرب الأدنى(١١).

---

(١) ابن قتيبة، الإمامة، ج1، ص202-203.

(٢) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص 330؛ المالكيّ، رياض النفوس، ج1، ص 22؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج24، 13.

(٣) المالكيّ، رياض النفوس، ج1، ص 23.

(٤) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 26-27؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج4، ص14.

(٥) النويريّ، نهاية الإرب، ج24، ص 14؛ وانظر: حتاملة، الأنددلس، ص 41.

(٦) حتاملة، محمد عبده، جيل المولدين، (د.مط)، عمان- الأردن، ط1، 2003م،ص 62.

(٧) مدينة نفيس: مدينة قديمة كثيرة المياه والثمار، وحولها أعداد كبيرة من البربر. أنظر : البكريّ، المسالك، ص 160؛ مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تح سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، دار النشر الثقافية : الدار البيضاء، 1985م، ص 208؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص 36؛ الحميري، الروض المعطار، ص578؛ وانظر: حتاملة، جيل المولدين، ص 62.

(*) يسمى هذا الموقع حتى اليوم باسم سيدي شيكر. أنظر:سالم، تاريخ المغرب، ص 140.

(٨) ابن عذاري، البيان، ج1، ص27-28.

(٩) المصدر نفسه، ج1، ص 28.

(١٠) المصدر نفسه، ج1، ص 28.

(١١) المصدر نفسه، ج1، ص28.

وفي موضع آخر يقول: (ثم زحف ابن الكاهنة ((كسيلة)) إلى القيروان يريد عمر بن علي وزهير بن قيس، فقاتلاه قتالاً شديداً، فهزم ابن الكاهنة، وقتل أصحابه)[١].

ولمّا بلغ زهير بن قيس البلوي ما حلّ بالمسلمين اراد الانصراف عن القيروان إلى مصر، إلا أن المسلمين شجعوه على استئناف القتال، ففعل، غير أنه لم يتمكن من مجابهة كسيلة، بعد أن التف حوله جمع كبير من البربر[٢]، (وزحف إلى القيروان فانقلبت افريقية ناراً) وسقطت القيروان بيد كسيله[٣]. سنة 64هـ/683م[٤]، وأصبح كسيلة سيد افريقية وحاكمها[٥].

وفي سنة 69هـ/688م توجه زهير بن قيس البلوي على رأس جيش إلى القيروان لتخليصها من أيدي البربر، وعندما اقترب من المدينة خرج كسيلة منها، والتقى الجيشان في موقع يقال له ممش أو (ممس)[*] Mamma، إذ انتصر جيش زهير بن قيس البلوي، ومن ثم عاد إلى القيروان، فأعاد تنظيمها، وترتيب إدارتها، ثم تركها آمنة[٦].

وقد قتل زهير بن قيس سنة 69هـ/688م بعد معركة بينه وبين جموع كبيرة بينه وبين جموع من البيزنطيين كانوا قد هاجموا برقة[٧].

اختار عبد الملك بن مروان حسَّان بن النعمان لحكم افريقية فكانت خطته التي تنقسم إلى قسمين: فهو يبدأ بتوجيه نشاطه ضد البيزنطيين، ثم يتبع ذلك بمحاولة القضاء على البربر، ودارت معارك عنيفة بين العرب والروم، وكان العرب شديدي الوقع على أعدائهم، ولم يستطع الروم الصمود أمامهم، فاستقر رأيهم على الفرار منها، وذهب كثير منهم إلى صقلية، ورحل البعض الآخر للأندلس[٨]. فلمّا تمّ القضاء على الروم سأل عمّن بقي من الملوك فدلّوه على زعيمة جبل الأوراس وهي الكاهنة، وقتل الروم والبربر قتلاً ذريعاً، والتقى حسان ولم يتبع الروم الذين لجأوا إلى مدينة باجة هاربين خائفين، وكذلك البربر الذين هربوا إلى مدينة بونه، وعاد حسان إلى القيروان[٩].

---

(١) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص 335؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص30؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص84؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج24، ص17؛ وانظر: حتاملة، الأندلس، ص42.

(٢) ابن الأثير، أسد الغابة، ج 4، ص42؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 30-31؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج24، ص 17؛

(٣) المالكيّ، رياض النفوس، ج1، ص 9؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج24، ص17.

(٤) المالكيّ، رياض النفوس، ص9؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1 : ص 84؛ المالكيّ، رياض النفوس، ص9.

(٥) النويريّ، نهاية الإرب، ج24، ص17.

(*) ممش أو ممس Mamma : مدينة بيزنطية قديمة، تقع على مرتفع من هضبة، تتصل بجبال أوراس. أنظر : المالكيّ، رياض النفوس، ج1، ص30؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج24، ص 17.

(٦) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 31-33.

(٧) ابن عذاري، البيان، ج1، ص33؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج24، ص17؛ ابن أبي دينار، تاريخ افريقية، ص52.

(٨) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 34-35.

(٩) المصدر نفسه، ج 1، ص34-35؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج 24، ص19؛ وانظر: السنوسي، محمد بن علي الإدريسي، الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية، وزارة الإعلام والثقافة، طرابلس، ليبيا، 1968م، ص34.

وانتهت حملة حسان بالنجاح بعد سقوط العاصمة الأفريقية القديمة (قرطاجنة)(١).

اتجه حسان نحو جبل أوراس لمحاربة الكاهنة (دهيا بنت ماتية) زعيمة ثورة البربر سنة 78هـ/697م، وبلغ الكاهنة خبر مسيره، فرحلت عن جبل أوراس، وأسرعت إلى حصن باغاية، وأخرجت الروم منه حتى لا يتحصن فيه حسان، وأقبل حسان، ولما وصله الخبر نزل بوادي العذاري(نهر البلاء)(٢).

وحدثت معركة شديدة بين قوات حسان وبين الكاهنة وأتباعها أدت إلى هزيمة حسان بن النعمان وقتل الكثير من جيش حسان الكثير، وتم أسر ثمانين رجلا، منهم خالد بن يزيد القيس الذي تبنته الكاهنة وسمي هذا المكان وادي العذاري بنهر البلاء (٣) لشدة ما وقع بجيش المسلمين من بلاء في تلك الواقعة(٤).

وتبعت الكاهنة ورجالها حسان حتى خرج من قابس وترك افريقية (٥)، وأقام حسان في الموضع الذي يعرف باسم (قصور حسان) سنوات، وأصبحت الكاهنة سيدة على افريقية، وقد أطلقت الأسرى العرب، وأحسنت اليهم، وأعادتهم إلى حسان، باستثناء خالد بن يزيد القيسي الذي اتخذته ابناً لها(٦).

كانت الكاهنة قد ملكت افريقية خمس سنين من هزيمة حسان، وتيقنت بأنه لا بد وأن يعود بعد حين، فبدأت في سياسة التخريب، وقد قالت للبربر: (ان العرب إنما يطلبون من افريقية المدائن والذهب والفضة، ونحن انما نطلب منها المزارع والمراعي فما نرى لكم إلا خراب افريقية، حتى ييأسوا منها، ويقل طمعهم فيها)(٧).

وصمم حسان على محاربة الكاهنة وأتباعها، وتم اللقاء بين حسان والكاهنة (٨) فاقتتلوا قتالاً شديداً الأمر الذي أدى إلى هزيمة البربر ومن ورائهم الكاهنة التي قتلت(٩) وقد سمي المكان الذي قتلت فيها الكاهنة بئر الكاهنة (١٠).

---

(١) ابن عبد الحكم، فتوح افريقية، ص 63؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص34-35؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج24، ص18.

(٢) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص 338؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج24، ص19.

(٣) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص 338؛ الرقيق القيرواني، إبراهيم بن القاسم، تاريخ افريقية والمغرب، تح المنجي الكعبي، نشر رفيق السفطي، مطبعة الوسط، تونس، 1967م، ص57؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص36.

(٤) الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية، ص 57؛ ابن عذاري، البيان، ج 1؛ ص36؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج24، ص16؛ وانظر: حتاملة، الأندلس، ص45.

(٥) الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية، ص 56-57؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج 24، ص37؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص36-37؛ مؤنس، فتح العرب، ص 257، حتاملة، الأندلس، ص45.

(٦) الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية، ص61.

(٧) المصدر نفسه، ص 61؛ حتاملة، الأندلس، ص 45.

(٨) الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية، 61.

(٩) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص338.

(١٠) المصدر نفسه، ص 338؛ الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية، ص 63-64؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج24، ص20.

وبعد أن قضى حسان على الكاهنة رأى أن يتجه إلى قرطاجنة، وفرض الحصار عليها، ولم يستطع الروم الوقوف أمام العرب ففروا في سفنهم، ودخل حسان المدينة عنوة، وقرر حسان أن يهدم قرطاجنة(١).

وبدأ حسان يوجه أنظاره إلى عمران القيروان، فبدأ ببناء مسجدها وتم ذلك سنة 84هـ/703م(٢).

وفكّر في تشييد مدينة تحل محل قرطاجنة، حيث قام ببناء مدينة تونس، وكان اسمها في الأول (ترشيش)، ويقال لبحرها ومرساها (رادس)(٣).

وفعلاً تم بناء تونس التي ورثت تراث قرطاجنة تتويجاً لأعمال حسان في المغرب، وبعد ذلك كله رجع حسان إلى دمشق سنة 89هـ/707م(٤)، وقد ولّي موسى بن نصير من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك أعمال المغرب سنة 86هـ/705م(٥).

أمَّا عن تاريخ توليته فقد اختلفت الروايات في تحديده، فخليفة بن خياط يقول إن توليته موسى المغرب كانت سنة 78هـ/697(٦)، بينما يذكر ابن عبد الحكم أن توليته سنة 79هـ/698م. وفي الاستقصا للناصري أن توليته كانت سنة 77هـ/696م، أما ابن الأثير فيحدد توليته سنة 86هـ/705م وهي الرواية المتفق عليها(٧).

بدأ موسى بن نصير ولايته بإخضاع قبائل البربر والتي خرجت عن سلطان المسلمين(٨)، المسلمين(٨)، فأول فتوحه زغوان(*) ونواحيها التي بينها وبين القيروان مسيرة يوم كامل (٩)، وقد غزا موسى بن نصير القيروان وسبى منهم سبياً عظيماً يقدر بعشرة آلاف، وهو أول سبي دخل القيروان في ولاية موسى بن نصير، وغزا هوارة وزناته وصنهاجة (قبائل بربرية)(١٠).

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 38.

(٢) المالكيّ، رياض النفوس، ج1، ص 37؛ البكريّ، المسالك، ج1، ص673.

(٣) البكريّ، المسالك، ج1، ص693.

(٤) زغلول، تاريخ المغرب، ج1، ص201-202.

(٥) ابن حبيب، كتاب التاريخ، ص 136؛ ابن قتيبة، الإمامة، ج 2، ص60-61، ابن عذاري، البيان، ج 1، 39-40، الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، دول الإسلام، مطبعة السعادة، القاهرة، 1368هـ؛ وانظر: مؤنس، معالم تاريخ، ص 58؛ الحتاملة، الأندلس، ص46.

(٦) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ق1، ص 356-357.

(٧) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص97.

(٨) ابن عذاري، البيان، ج1، ص40؛ النويريّ، نهاية الإرب، ج24، ص21.

(*) زغوان: في أوائل القرن الرابع للميلاد كان الرومان قد أعادوا تقسيم بلاد المغرب، فقد قسمها ديو كليسيانوس Dioclitien (284-305م) إلى ثماني ولايات لتسهيل إدارتها وتسيير السيطرة على الولاة فالبروقنصلية أصبحت ثلاث ولايات هي زغوان وعاصمتها قرطاج، وفراق وعاصمتها سوسة، وطرابلس وعاصمتها لبدة. أنظر: ابن عذاري، البيان، ج1، ص40.

(٩) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 41؛ عبد الوهاب، حسن حسني، خلاصة تاريخ تونس، مطبعة دار الفنون، تونس، ط3، 1353هـ، ص55.

(١٠) الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية، ص69؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص48.

وعندما خرج موسى غازياً من افريقية إلى المغرب الأوسط وولاية طنجة، هربت منه القبائل البربرية نحو الغرب، وتبع البربر وقتلهم قتلاً ذريعاً، وسبى منهم سبياً عظيماً حتى انتهى إلى السوس الأدنى، وقد استعمل على طنجة وأعمالها مولاه طارق بن زياد البربري(*)(١)، وكان موسى بن نصير يلقب (بأمير القيروان)(٢).

وذكر أن موسى بن نصير بعث إثر بيعته للوليد زرعه بن أبي مدرك (*) إلى قبائل من البربر، فلم يلق حرباً منهم، فرغبوا في الصلح منه، فوجه رؤساءهم إلى موسى بن نصير، فقبض رهونهم(٣)،وعقد لعياش بن أخيل حملة هاجمت صقلية، ودخلت مدينة سرقوسة (فغنمها وجميع ما بها) وعاد سالماً(٤).

وقد سيّر ابنه مروان على راس خمسة آلاف إلى السوس الأقصى، كما أرسل قائده زرعة بن أبي مدرك إلى بربر مصمودة في الأطلس العليا(٥).

وبعد أن أتم موسى اخضاع المغرب الأوسط والمغرب الأقصى، فكّر في الاستيلاء على مدينة طنجة التي كانت تحت حكم الأمير الرومي يليان الغماري (*) (Julian) من أيام عقبة بن نافع وكان بها بطون البتر والبرانس من البربر ممن لم يكن دخل في الطاعة(٦).

وقد فتح المغرب الأقصى إلا إقليم سبتة؛ لأنها كانت مدينة منيعة، وقرر موسى بن نصير العودة إلى افريقية، إذ استعمل طارق بن زياد على طنجة (٧).

(*) وهو طارق بن زياد بن عبدالله بن ولغو ورمخوم بن نبرغاسن بن ولهاص بن يطومت بن نفراو، ذكر أنه من سبي البربر وكان مولى موسى بن نصير. أنظر : ابن عذاري، البيان، ج1، ص 37.

(١) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 42؛ وانظر: السنوسي، الدرر السنية، ص 42.

(٢) المراكشي، محي الدين عبد الواحد بن علي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، مطبعة الاستقامة : القاهرة، ط 1، 1949م، ص، 9 وسيشار إليه فيما بعد: المراكشي، المعجب.

(*) زرعة بن أبي مدرك : كان له دور كبير في فتح شمالي افريقية وإرساء الإسلام في أنحاء واسعة من تلك المنطقة. وشهد لهذا القائد بالكفاءة. أنظر : ابن عذاري، البيان، ج1، ص 42.

(٣) ابن عذاري، البيان، ج1، ص42.

(٤) المصدر نفسه، ج1، ص42.

(٥) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص96.

(*) يقول ابن خلدون أن اسمه بليان، وقد يكون يوليان حاكماً بيزنطياً لولاية طنجة، ولكن بسبب ضغط الأحداث وبعد المسافة عن عاصمة البزنطيين القسطنطينية من ناحية، وانهيار مواقعهم في شمالي افريقية من ناحية أخرى جعلته يمد يده إلى اسبانيا القوطية لحايته وتعزيز قوته. وعلى الأرجح أن يوليان حكم سبته والجزيرة الخضراء أيضاً، كما يذكر ابن الأثير في سن مبكرة وقد يكون أقام فترة طويلة في أرض المغرب حتى توثقت علاقته بالبربر، واستطاع أن يكسب صداقاتهم واختلط بهم، وصار واحد منهم. أنظر، الحتاملة، الأندلس، ص 48 عن ابن الأثير، الكامل، ج4، ص 121؛ وابن خلدون، العبر، ج4، ص 149.

(٦) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص 345؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص82.

(٧) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص 345.

ومهما يكن من أمر فإن فتح بلاد المغرب قد انتهى حوالي سنة 90هـ/ 708م وبعد سنتين شرع المسلمون في فتح بلاد الأندلس(١).

والخلاصة: فإن الفتح العربي للشمال الافريقي كان من أصعب الفتوحات الإسلامية مراساً وأشدّ شكيمة، ولم يكن لبعده عن مركز الخلافة الإسلامية أي دور، وإنما لصعوبة التعامل مع سكان الشمال الافريقي وهم البربر، إذ لم يتمكن العرب من استمالتهم بسهولة، فالعرب لا يقلون شجاعة عن البربر، ولكن هناك أسباباً أخرى لصعوبة فتح الشمال الافريقي منها: أن الولاة العرب لم يحسنوا في الغالب معاملة البربر، ما يسر بعد ذلك لبعض المذاهب ومنها المذهب الأباضي الخارجي من التسرب إلى شمال افريقية، إذ وجد فيه بعض البربر متنفساً من الضغط الذي لاقوه من الولاة الأمويين.

ومن أسباب صعوبة الفتح أيضاً وعورة أراضي الشمال الأفريقي، إذ أنها كثيرة الجبال والأنهار والغابات، فلم يصادفوا مثل ذلك في الشام ولا في جزيرة العرب، ولا مصر، وبلاد فارس، ذلك الأمر صعّب عملية إرسال الجيوش بمعداتها ومؤونتها إلى شمال افريقية.

وقد كان الهدف من الفتح في عهد عمر بن الخطاب هو نشر الإسلام، وإقراره في البلاد التي يتم افتتاحها وفي عهد عثمان وعلي بن أبي طالب، ثم تناقص هذا الهدف قليلاً في عهد بني أمية باستثناء عهد عمرو بن العاص، حيث كان هدف معاوية ابن أبي سفيان من الفتح هو وضع حد للسيطرة الرومانية في العالم، وإرهاق البربر بالضرائب، ومعاملتهم كأرقاء.

---

(١) الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي، القاهرة، 1967م، ص7؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 42، ج2، ص5-8؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص96؛ وانظر: كحيلة، عبادة بن عبد الرحمن رضا، المغرب في تاريخ الأندلس والمغرب، المطبعة الإسلامية الحديثة : القاهرة، ط1: 1997م، ص29.

الفصـــل الأول

دول بني صالح والبرغواطيين والمدراريين والرستميين

- دولة بني صالح في نكور من (91-471هـ/709-1080م).
- دولة البرغواطيين من (123-451هـ/740-1060م).
- إمامة بني واسول (المدراريين) (140-297هـ / 757-909م).
- الدولة الرستمية الخارجية (137-297هـ/754-909م).

قبل نشوء دولة الرستميين في المغرب الأوسط سنة 161هـ/777م كانت هناك دولاً مستقلة وهي:

- **دولة بني صالح في نكـــور:**

إن بني صالح هم من نسل صالح بن منصور الذي بنى حفيده سعيد مدينة نكور في شمال المغرب الأوسط، وكان يلقب صالح بن منصور بالعبد الصالح، وكان موسى بن نصير قد منحه مدينة نكور إقطاعاً له، وثبت له الإقطاع الوليد بن عبد الملك[١].

وقد اتخذ صالح بن منصور لقب أمير وحكم نحو ثلاثين سنة (91-123هـ/ 709-740م) وعلى يديه أسلم بربر نكور وهم صنهاجة وغمارة، ثم ارتد أكثرهم، وقدموا على أنفسهم رجلاً يسمى داوود ويعرف بالرندي (وكان من نفزة)، ثم قتلوا داوود، وأرجعوا صالحاً، فبقي إلى أن مات في منطقة بتمسامان[٢].

وقد استمرت هذه الأسرة تحكم هذه الناحية حتى سنة 473هـ/1080م، عندما استولى يوسف بن تاشفين على نكور وخلع آخر أمراء بني صالح، وقد كانت علاقاتهم جيدة مع الأمويين أصحاب الأندلس، وحتى أن الأدارسة لم يبطشوا بهم نظراً لإخلاص قبائل غمارة لهم[٣].

- **دولة برغـــواطـــــه :**

في سنة 123-124هـ كانت ابتداء دولة برغواطة(*)[٤] وكان يحكمها متنبئها صالح بن طريف(*) البرغواطي، ابتداءً من سنة 125هـ في خلافة هشام بن عبدالملك بن مروان، وكان صالح قد شهد مع أبيه طريف حروب ميسرة المطغري كبير الصفرية، وكان طريف يكنى أبا صبيح، وهو من كبار أصحاب ميسرة المطغري، ويقال إنه ادعى النبوة أيضاً، ثم توفي سنة 127هـ، وخلفه ابنه صالح[٥].

---

(١) مجهول، الاستبصار، ص197؛ مؤنس، تاريخ المغرب، م1، ص237.

(٢) مؤنس، تاريخ المغرب، م1، ص237.

(٣) المرجع نفسه، م1، ص237.

(*) برغواطة: وهي إحدى قبائل البربر الكبيرة، وقد استمرت دولتهم أربعة قرون من 123هـ – 451هـ ، وقد اختلف الناس في نسب برغواطة فبعضهم يلحقه بزناته، وبعضهم يقول أن متنبئهم صالح بن طريف، أنه يهودي الأصيل من سبط شمعونه بن يعقوب (عليه السلام) نشأ برباط _ حصن من عمل شدونه من بلاد الأندلس_ ثم رحل إلى المشرق وقرأ وتعلم على يد عبيد الله المعتزلي. أنظر: الناصريّ، الاستقصا،ج 2 ص14؛ وانظر: مؤنس، تاريخ المغرب، ص222.

(*) صالح بن طريف: يقال أنه يهودي الأصل من سبط شمعون بن يعقوب (عليه السلام)، نشأ برباط حصن من بلاد شدونه من بلاد الأندلس، ثم رحل إلى المشرق، وقرأ وتعلم على يدي عبدالله المعتزلي. وقد اشتغل بالسحر وجمع منه فنوناً وقدم المغرب فنزل بلاد تامسنا فوجد فيها قبائل جهالاً من البربر، فأظهر لهم الصلاح والرشد، وخلبهم بلسانه وسحرهم بنير نجاته فصدقوه واتبعوه فادعى النبوة وشرع لهم شرائع ووضع لهم قرآناً. فكان يقال لمن تبعه ودخل في دينه برباطي ثم عربته العرب فقالوا برغواطي فسمّوا برغواطة. أنظر: الناصريّ، الاستقصا، ج2، ص15.

(٥) الناصريّ، الاستقصا، ج2، ص15؛ مؤنس، تاريخ المغرب، ج1، ص374.

وكان صالح بن طريف قد خرج إلى المشرق سنة 174هـ، بعد أن حكم برغواطة سبعاً وأربعين سنة، وقد وعد البرغواطيين أن يرجع إليهم في صورة المهدي المنتظر، أو بدولة السابع من ملوكهم، وكان قد أوصى بشريعته إلى ابنه إلياس بن صالح(١).

وكان صالح بن طريف قد أمر ابنه إلياس ألا يظهر ديانته حتى يظهر أمره، وينتشر خبره، ويقتل من خالفه، وأمره بموالاة أمير المؤمنين في الأندلس(٢).

وقد تولى ابنه إلياس الحكم خمسين سنة، حيث كتم شريعته إلى سنة 173هـ(٣)، وكان إلياس يظهر الإسلام، ومتظاهراً بالعفاف والزهد، ولكنه كان يخفي شريعته حسب وصية والده(٤).

وبعد إلياس بن صالح بن طريف تولى حكم البرغواطيين يونس بن إلياس، وكان إلياس قد أظهر دينهم ودعا إلى كفر البرغواطيين، وقتل كل من لم يطعه، وحرق مدائن تامسنا، ويقال إنه حرق ثلاثمائة وثمانين مدينة(٥).

ثم رحل يونس بن إلياس إلى المشرق، وقام بأداء فريضة الحج، التي لم يفعلها أحد من قبله ولا من بعده، وتوفي سنة 286هـ، حيث حكم البرغواطيين مدة أربع وأربعين سنة(٦).

وقد تولى الحكم بعد يونس بن إلياس أبو غفير محمد بن معاذ بن إليسع بن صالح بن طريف، حيث استولى على ملك برغواطة، واشتدت شوكته، وتوفي سنة 329هـ(٧).

وتولى بعد أبي غفير ابنه أبو الأنصار عبدالله بن أبي غفير، حيث سار على نصيحة والده في المحافظة على ديانة وشريعة برغواطة وتوفي سنة 341هـ(٨).

وتولى الحكم بعده أبو منصور عيسى بن أبي الأنصار، وهو ابن اثنتين وعشرين سنة، فسار على منهج آبائه وادّعى النبوة، واشتد أمره، وعلا سلطانه، ودخلت تحت حكمه وسيطرته قبائل المغرب، وكان جيشه يفوق الثلاثة آلاف من برغواطة، وعشرة آلاف من القبائل الأخرى(٩).

وتوفي أبو منصور عيسى بن أبي الأنصار 369هـ على يد بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي الذي زحف إلى المغرب، وأخضع قبائل زناتة الذين هربوا إلى سبتة، إذ قام بقتال برغواطة(١٠).

وكانت بداية النهاية لدولة برغواطه على يد زعيم المرابطين عبدالله بن ياسين الجزولي، إذ سار في جيوش المرابطين، وكان أمير برغواطه آنذاك هو أبو حفص عبدالله من ذرية أبي

---

(١) الناصريّ، الاستقصا، ج2، ص15؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص57.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج1، ص57.

(٣) ابن عذاري، البيان، ج1، ص57.

(٤) الناصريّ، الاستقصا، ج2، ص16.

(٥) المصدر نفسه، ج2، ص16.

(٦) المصدر نفسه، ج2، ص16.

(٧) الناصريّ، الاستقصا، ج2، ص16.

(٨) الناصريّ، الاستقصا، ج2، ص17.

(٩) المصدر نفسه، ج2، ص17.

(١٠) المصدر نفسه، ج2، ص17-18.

منصور عيسى بن أبي الأنصار عبدالله بن أبي غفير محمد بن معاذ بن إليسع بن صالح بن طريف(١).

وقد تولى الأمن بعد عبدالله ين ياسين المرابطي أبو بكر بن عمر، حيث جددت له البيعة، وقد زحف إلى البرغواطيين، وصمم على حربهم، وقتل منهم الكثير، وسبى منهم حتى هربوا وتفرقوا في البلاد، وقد أسلم الباقون منهم، وقام أبو بكر بن عمر بمحو دعوتهم من المغرب وجمع غنائمهم، وقسمها بين المرابطين(٢).

وكان حدود دولة برغواطة كل ريف تامسنا، ومعظم حوض سبو، وكان أهم فروع برغواطة زواغة، ومطماطة، وبنو يورغ، وبنو معمر، وهذه المجموعة البرغواطية المصمودية كانت منازلها تمتد شمالاً حتى منطقة أحفى(٣).

وهكذا نرى أن دولة برغواطة قد قامت ما يقارب أربعة قرون، وتحت أنظار الدولة العباسية، بعيد قيامها سنة 132هـ وانهيار الدولة الأموية.

ولكن الغالب أن أهل السنة (الدولة العباسية) قد قاموا بتشويه صورة طريف مؤسس دولة برغواطة وأولاده، والمبالغة في تصوير خروجهم عن الإسلام؛ لكي ينفروا الناس منه ومن حركته، ويبعثوا في نفوسهم الحماس لمحاربتهم.

- **إمامة بني واسول (المدراريين) (140-297هـ / 757-909م):**

شهدت افريقية قبل قيام دولة الأغالبة سنة 184هـ/799م وبعده ثورات متعددة، وكان الهدف منها القضاء على السلطة العربية، وقيام دولة البربر المسلمين(٤).

فالعرب في المشرق الإسلامي الذين أنفوا حكم الأمويين من خوارج وغيرهم كانوا لا يجدون متنفساً لثورتهم إلا بالالتحاق بالبربر لتنفيذ أهدافهم، وذلك بالانقضاض على السلطة التي تنازعتها العصبيات، لذلك نمت بينهم الدعوة الخارجية صفرية (*)، وأباضية(*) إلى أن

---

(١) الناصريّ، الاستقصا، ج2، ص18-19.

(٢) المصدر نفسه، ج2، ص19.

(٣) مؤنس، تاريخ المغرب، م1، ص375.

(٤) أبو العرب، طبقات، ص7-8.

(*) الصفرية: هم أتباع زياد بن الأصفر، ويقال هم قوم نهكتهم العبادة فاصفرت وجوههم، ويتصفوا بالاعتدال والمسالمة والبعد عن التطرف في الأحكام، فلم يكفروا القاعدين عن القتال، ولم يسقطوا الرجم ولم يحكموا بقتل أطفال المشركين وتكفيرهم وتخليدهم في النار. لمزيد من التفاصيل، أنظر: أبو زكريا، يحيى بن أبي عمر، سير الأئمة وأخبارهم، تح إسماعيل العربي، بيروت، لبنان، 1982م، وسيشار إليه فيما بعد: أبو زكريا، سير؛ ص 25-26؛ الدرجيني، أبا العباس، أحمد بن سعيد، طبقات المشايخ في المغرب، تح إبراهيم كلامي، (د.ط) الجزائر، 1974م، وسيشار إليه فيما: طبقات؛ الشماخي، أحمد بن سعيد بن عبد الواحد، كتاب السير، تح أحمد بن سعيد السيابي، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، عُمان، 1407هـ/1987م، وسيشار إليه فيما بعد: الشماخي، السير؛ وانظر: التميمي، أيمن خالد سليمان، السجون في العصر العباسي، (132-334هـ/750945م)، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: أ.د محمد خريسات، الجامعة الأردنية، عمان، 1997م.

(*) الأباضية: نسبة إلى عبدالله بن إباض. حيث لعب دعاة المذهب الأباضي في عُمان والمغرب دوراً حاسماً في ترسيخ جذور المذهب الأباضي. لمزيد من التفاصيل، أنظر: ابن الصغير، المالكيّ، أخبار الأئمة الرستميين، تح محمد ناصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م؛ الدرجيني، طبقات، ج1، ص19؛ الشماخي، السير، ص113.

قاموا بتكوين دولة بني زيري في القرن الخامس الهجري، فلقد قام البربر الصفرية بثورة قادها ميسرة المدغري سنة 122هـ/739م للاستقلال عن الحكم الأموي[١].

ومن بعد ميسرة المطغري قام شخص آخر بالثورة واسمه عكاشة الصفري سنة 124هـ/741م،لكن ثورته هزمت على يد حنظلة بن صفوان، ثم خرج عبد الرحمن بن حبيب الفهري الذي ادعى الولاية لنفسه، فانضم إلى البربر، إذ تغلبوا على القيروان سنة 129هـ/746م، واضطر حنظلة إلى الرحيل[٢].

وفي سنة 129هـ/746م استولى عبد الرحمن بن حبيب الفهري على القيروان [٣] وعندما ولي عبد الرحمن بن حبيب ثار عليه بعض العرب ومن تلك الثورات ثورة عروة بن الوليد الصدفي الذي استولى على تونس وثورة عرب الساحل، وثورة البربر في الجبال، وثورة ثابت الصنهاجي بباجة[*] الذي استولى عليها، وثورة أخرى في طرابلس، الأمر الذي أدى إلى الفوضى، والإرباك، والقلق بين أهل المغرب[٤].

وفي عام 132هـ/748م سقطت الدولة الأموية بمقتل مروان بن محمد، وقامت الدولة العباسية على أنقاضها، إذ أعلن عبد الرحمن بن حبيب الولاء والطاعة للخلافة العباسية، وأقام الدعوة العباسية[٥].

ولما تولى أبو جعفر المنصور الخلافة بعد أن توفي أبو العباس السفاح سنة 136هـ/752م كتب إلى عبد الرحمن بن حبيب يدعوه إلى الطاعة، إذ أعلن عبد الرحمن ابن حبيب الطاعة والولاء للخلافة العباسية، وأرسل بهدية إلى الخليفة وكتب إليه: (ان افريقية اليوم إسلامية كلها، وقد انقطع السبي منها والمال، فلا تطلب المال مني)[٦].

وكان كتاب عبد الرحمن بن حبيب إلى أبي جعفر المنصور قد أغضب الخليفة العباسي المنصور، وكان رد عبد الرحمن بن حبيب أن خطب بالناس في المسجد إذ سبّ أبا جعفر المنصور وقال: (إني ظننت أن هذا الخائن) وفي نهاية الأرب للنويري (الخائر) يدعو إلى الحق والعدل، ويقوم به حتى تبين لي خلاف ذلك من إقامة الحق والعدل.

وقد قام عبد الرحمن بن حبيب بخلع الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور إذ قال في خطبته أمام الناس: (وأنا الآن قد خلعته كما خلعت نعليَّ هاتين) وقذفهما وهو على المنبر، وأمر بخلع أبي جعفر المنصور، وعدم إطاعته، وأمر بتخزيق وخرق سواده، وهو أول سواد ليسى في افريقية)[٧].

---

(١) أبو العرب، طبقات، ص 7-8.

(٢) أبو العرب، طبقات، ، ص 7-8.

(٣) النويريّ، ج24، ص34.

(*) باجة: مدينة في افريقية تعرف بباجة القمح، لكثرة حنطتها، وهي كثيرة الأنهار، وهي على جبل يقال له عين شمس، وفيها عيون الماء العذب ومن تلك العيون عين يقال له عين شمس. لمزيد من التفاصيل أنظر: ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص314، 315،316.

(٤) النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص34-35.

(٥) المصدر نفسه، ج24، ص35.

(٦) ابن عذاري، البيان، ج1، ص67؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24،ص35.

(٧) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص67؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص119؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج 24، ص35.

وأمر عبد الرحمن بن حبيب كاتبه خالد بن ربيعة أن يكتب كتاباً بخلعه، ويقرأ على المنابر في سائر بلاد المغرب[١]، وفي سنة 137هـ/753م قتل عبد الرحمن بن حبيب على يد أخيه إلياس بن حبيب حيث استغل إلياس غضب أبي جعفر المنصور، إذ قام بخلع الإمرة من أخيه عبدالرحمن بن حبيب، وعلى الفور وبعد مقتل عبد الرحمن بن حبيب أعاد إلياس بن حبيب الدعوة والطاعة والولاء للخلافة العباسية[٢].

وبعد مقتل عبد الرحمن بن حبيب فرّ ابنه حبيب إلى تونس، رغم كل المحاولات للإمساك به، وكان عمّه عمران بن حبيب والياً على تونس من قبل أخيه عبد الرحمن بن حبيب، وحدثت معركة بينهما بعد أن اتفق حبيب بن عبد الرحمن وعمه عمران على محاربة عمه إلياس، وعبد الوارث بن حبيب، واقتتلوا سنة 137هـ/753م وفي سنة 138هـ/754م عقد صلح بينهما على أن يكون لحبيب بن عبد الرحمن مناطق قفصة، ونفزة، وقسطيلية، ويكون لعمران بن حبيب تونس، وصطفورة، والجزيرة، وتكون سائر افريقية لإياس بن حبيب[٣].

إلا أن إلياس بن حبيب غدر بأخيه عمران فقتله، وقام باسترجاع تونس، وقيل غرّبه إلى الأندلس، وعاد هو إلى القيروان، فأرسل إلى الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور يعلن له الطاعة والولاء، وبذلك خلص المغرب كله له[٤].

إن مقتل عمران بن حبيب أدى إلى استياء وغضب حبيب بن عبد الرحمن ما جعل حبيباً يصمم على مقتل عمه الياس، وفعلاً تم له ذلك سنة 138هـ/754م، إذ كانت ولاية إلياس على افريقية نحو سنة وستة أشهر[٥].

وكان اخوة الياس بن حبيب قد لاذوا بقبيلة ورفجومة البربرية (وهم بطن من بطون نفزه)، وهم من غلاة الصفرية، وقد نزلوا في كنف الأمير عاصم بن جميل أمير قبيلة ورفجومة إذ قام بتوفير الحماية، والنصرة لهم[٦].

ونتيجة لذلك حدثت معركة بين حبيب بن عبد الرحمن وعاصم بن جميل، انهزم على أثرها حبيب[٧].

وبعد ذلك، حدثت معركة بين حبيب بن عبد الرحمن ووالي عاصم بن جميل على القيروان عبدالملك بن أبي الجعد اليفرني بعد أن قتل حبيب عاصم، إذ قتل حبيب بن عبد الرحمن سنة 140هـ/، وقد بلغت ولايته عشرين سنة وبضعة أشهر[٨].

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص67؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص119؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج 24، ص35.

(٢) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص119؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص35.

(٣) الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية، ص 140؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 69؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص120؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص37؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص248-249.

(٤) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص120.

(٥) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص70؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص121؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج 24، ص37؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص251.

(٦) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص70؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص121؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج 24، ص37؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص251.

(٧) ابن عذاري، البيان، ج1، ص70؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص37؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص251.

(٨) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 70؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج 24، ص 37-38؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص251.

وكانت قبيلة ورفجومة البربرية قد سيطرت على افريقية بعد مقتل حبيب وعاصم بن جميل إذ دخلوا القيروان، وقتلوا كل من كان فيها من قريش، وسامت من بقي منهم سوء العذاب، ثم قام بعد ذلك أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمج المعافري، وكان ثائراً من طرابلس وأراد قتال قبيلة ورفجومة إذ انتصر عليهم، ثم رجع إلى القيروان(١).

وقد ولي أبو الخطاب عبدالأعلى بن السمح عبد الرحمن على القيروان، ثم مضى إلى طرابلس، إذ صارت طرابلس وافريقية كلها في يده، إلى أن وجه أبو جعفر المنصور سنة 144هـ محمد بن الأشعث لمحاربتهم، وتخليص افريقية منهم(٢).

ونتيجة لذلك فقد حدثت معركة كبيرة بين أبي الخطاب وأصحابه وقوات محمد بن الأشعث في منطقة تاورغا إلى الشرق من طرابلس ومسراته، وكانت نتيجة المعركة أن قتل أبو الخطاب، وانهزم البربر، وكان ذلك سنة 144هـ/760م(٣).

وهكذا أصبحت افريقية والمغرب بعد انقراض دولة بني حبيب الفهري في قبضة وسيطرة الخوارج الأباضية، والصفرية.

نشأت دولة بني مدرار ملوك سجلماسة في خضم الاضطرابات التي حصلت في المغرب في فترة الحروب بين أبي الخطاب وعبد الملك بن أبي الجعد اليفرني، إذ اجتمعت الخوارج الصغرية من مكناسة في المغرب الأقصى، فنقضوا طاعة العرب، وولّوا عليهم عيسى بن يزيد بن الأسود من موالي العرب ورؤوس الخوارج(٤).

وقام الخوارج الصفرية، واختطوا مدينة سجلماسة سنة 140هـ/756م، وقد أصبح عيسى بن يزيد بن الأسود أميراً على الخوارج الصفرية نحو خمسة عشر سنة، وكان له شأن بين الخوارج الذين بنوا مدينة سجلماسة(٥).

وبعد خمس عشرة سنة خلع الصفرية طاعة عيسى بن يزيد، وقتلوه، وبايعوا شخصاً آخر اسمه أبو القاسم سمفون بن سمكو بن واسول بن مصلان المكناسي جد المدراريين(٦).

وكان أبو القاسم سمغون بن سمكو بن واسول أباضياً صفريا، وكان يعلن طاعته وولاءه للدولة العباسية، إذ كان يخطب في عمله لأبي جعفر المنصور والمهدي.

---

(١) الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية، ص 141؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص71؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص38؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص253.

(٢) الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية، ص 142؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص71؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص39.

(٣) ابن عذاري، البيان، ج1، ص72؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص40؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص255.

(٤) البكريّ، ج1، ص835؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص124.

(٥) البكريّ، المسالك، ج 2، ص 835؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 71؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص124.

(٦) وكان والد أبي القاسم سمكو بن واسول قد أدرك التابعين إذ ارتحل إلى المدينة ليتحقق من طلبة العلم، وأخذ العلم عن عكرمة مولى بن عباس، وكان أباضياً صفرياً. أنظر: البكريّ، المسالك، ج 2، ص838؛ الناصريّ، الاستقصا، ج124؛ مجهول، الاستبصار، ص201؛ ابن الأثير، ج5، ص39.

وقد توفي أبو القاسم سمغون بن سمكو سنة 167هـ/783م[١] وعندما توفي أبو القاسم سمغون بن سمكو ولّي بنو مدرار عليهم ابنه إلياس، وكان يدعى أبا الوزير، ثم خلعوه سنة 174هـ/791م[٢]، وبعد خلع إلياس بن أبي القاسم ولوا مكانه أخاه إليسع بن أبي القاسم بسمغون، وكان يكنى بأبي المنصور – وكان صفرياً – وفي عهده استفحل ملك بني مدرار في سجلماسة، وهو الذي بنى سور سجلماسة، واختط بها المصانع والقصور[٣].

وكان إليسع بن أبي القاسم جباراً فظاً غليظاً، وقد أخضع إليسع قبائل البربر المجاورة بسجلماسة، وقهرهم، وأخذ خمس معادن منطقة درعه، وقد توفي سنة 208هـ/ 823م[٤]، ويعتبر إليسع بن أبي القاسم هو المؤسس الحقيقي لدولة المدراريين، وتولى الأمر من بعده ابن مدرار.

ولمدرار ولدان اسم كل واحد منهما ميمون، أحدهما من أروى بنت عبد الرحمن بن رستم وصاحب تاهرت، ومؤسس الدولة الرستمية، والآخر لامرأة بغي، وكان يعرف ــ بالأمير ــ وجرى بينهما صراع وحروب، وقد استمرت الحروب بينهما مدة ثلاث سنوات، وكان أبوهما مدرار قد توفي سنة 253هـ/867م[٥].

وتولى الأمر من بعده الأمير ميمون بن مدرار (بن الرستمية)، وكان أباضياً، ولم يطل عهده فقد توفي سنة 570هـ/883م[٦].

وكان ميمون بن الرستمية قد استبد بالحكم، واساءة السيره في عهد والده، فخلعوه، وأعادوا مدرار للحكم، ثم أراد مدرار باعادة ابن ميمون ابن الرستمية فخلعوه، ونصبوا بعد ذلك ابنه ميمون بن التقيه (البغي)، وكان يعرف بالأمير، إذ ظل قائماً بالإمارة حتى توفي في سنة 263هـ/876م[٧].

وكان سجلماسة في عهد مدرار ذات نماء، وتطور، وازدهار[٨].

وقد تولى الأمر من بعد ميمون بن مدرار، محمد بن ميمون بن مدرار وكان أباضياً، ولم يطل عهده، إذ توفي سنة 270هـ[٩].

---

(١) البكريّ، المسالك، ج 1، ص838؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص125؛ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد المغربي، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مطبعة بولاق، القاهرة، 1965م. وسيشار إليه فيما بعد: ابن خلدون، العبر. العبر، ج 6، ص130؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص412.

(٢) البكريّ، المسالك، ج 2، ص838؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص125؛ ؛ ابن خلدون، العبر، ج 6، ص130؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص412.

(٣) البكريّ، المسالك، ج2، ص838؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص125؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص412.

(٤)البكريّ، المسالك، ج 2، ص 838؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 157؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص125.

(٥) البكريّ، المسالك، ج2، ص839؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص125.

(٦) البكريّ، المسالك، ج2، ص839؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص125.

(٧) البكريّ، المسالك، ج2، ص839؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص125.

(٨) ابن عذاري، البيان، ج1، ص157.

(٩) البكريّ، المسالك، ج 2، ص 839؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 157؛الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص125.

وتولى الأمر بعده عمه إليسع بن مدرار سنة 570هـ، الذي تلقب بالمنتصر، وهو الذي سجن عبيد الله المهديّ بسجلماسة وابنه أبا القاسم، عندما عرف عنه أنه هو الذي قام بدعوة الفاطميين، إلى أن زحف اليه أبو عبدالله الشيعيّ، وتغلب عليه، وقتله، ودخل سجلماسة سنة 296هـ، وخلص المهديّ وابنه أبا القاسم، وأقام على سجلماسة إبراهيم بن غالب المزابي من رجال كتامة(١).

وكان الخليفة المعتضد بالله العباسي(*) قد أوعز إلى إليسع بن مدرار هذا بالقبض على عبيد الله المهدي وابنه، فبحث عنهما، وأودعهما السجن إلى أن أطلق سراحهما كما ذكرنا أبو عبدالله الشيعيّ سنة 296هـ، حيث قبض على إليسع بن مدرار، وقتله(٢).

وقد بايع أهل سجلماسة من بعده الفتح بن ميمون الأمير _ وكان أباضياً _ وكان يلقب بالرسول وذلك سنة 298هـ، وظل الفتح يقوم بأمر سجلماسة إلى أن توفي في رجب سنة 300هـ(٣).

وانتقل حكم دولة المدراريين من بعده لأخيه أحمد بن ميمون الأمير، وبقي يحكم حتى زحف مصالة بن حبوس الكتامي قائد الشيعة العبيديين حتى حاصر سجلماسة، وافتتحها عنوة سنة 309هـ(٤).

وقد ولّي مصالة بن حباسة أمر سجلماسة إلى المعتز بن محمد بن سارو بن مدرار حتى توفي سنة 331هـ(٥).

وتولى أمر سجلماسة بعد المعتز ابنه أبو المنتصر سمغو بن محمد وكان مدة ولايته ثلاث عشر سنة إلى أن قام ابن عمه محمد بن الفتح بن الأمير بمحاربته، وانتصر عليه، وأخرجه من سجلماسه(٦).

وكان محمد بن الفتح (الشاكر لله) سنياً على المذهب المالكيّ، حسن السيرة، عادلاً، وكان قد سك على الدراهم اسمه، وسميت بالدراهم الشاكرية، وقد تسمى بأمير المؤمنين سنة 342هـ، إذ خرج من سجلماسة بعد أن اقتربت جيوش أبي تميم معد مع جوهر الكاتب ــ قائد المعز الفاطميّ ــ في جموع صنهاجة وكتامه إلى المغرب الأقصى سنة 347هـ،

---

(١) البكريّ، المسالك، ج 2، ص 839؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 157؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص125؛ عماد الدين إدريس، ابن الحسن بن عبدالله الأنف، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، تح محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985م، ص 152–153. وسيشار إليه فيما بعد: عماد الدين إدريس، تاريخ الخلفاء.

(*) المعتضد بالله: أحمد أبو العباس ابن ولي العهد الموفق طلحة بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد، ولد في ذي القعدة سنة 242هـ وقيل 243هـ وأمه اسمها صواب وقيل حرز وقيل ضرار، بويع له بالخلافة في رجب سنة 279هـ بعد عمه المعتمد، كان شجاعاً مهيباً، وافر العقل، وأيامه أيام أمن ورخاء لقب بالسفاح الثاني. أنظر: السيوطي، الحافظ جلال الدين، عبد الرحمن، تقديم عبدالله مسعود، دار القلم، حلب 1991م، ص 341–342.

(٢) البكريّ، المسالك، ج 2، ص 839؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 157؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص126.

(٣) البكريّ، المسالك، ج2، ص839؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص126.

(٤) البكريّ، المسالك، ج2، ص839؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص126.

(٥) البكريّ، المسالك، ج2، ص839؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص126.

(٦) البكريّ، المسالك، ج2، ص839؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص126.

فسيطر على سجلماسة، وفر محمد بن الفتح إلى حصن تسكرات (على بعد اثني عشر ميلاً من سجلماسة)[١].

وقد قبض على محمد بن الفتح بينما كان يحاول دخول سجلماسة متخفياً، وقد أسر، وأخذ إلى الخليفة العباسي المهدي وتوفي سنة 354هـ/965م في سجن رقادة[٢].

وقد انقرضت دولة بني مدرار سنة 366هـ، عندما قتل أبو محمد المعتز على يد حزرون بن فلول الزناتي، إذ استولى على سجلماسة[٣].

وهكذا طويت صفحة التاريخ السياسي لمدينة سجلماسة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي.

- **المبادئ التي نادوا بهـــــا :**

ينتسب الصفرية إلى زياد بن الأصفر أحد قادة الخوارج في المشرق _ وقد سمّوا بهذا الإسم لأنهم قوم أنهكتهم العبادة فاصفرّت وجوههم _ ويقفون موقفاً متوسطاً بين الأزارقة وهم غلاة الخوارج الذي كفروا ما سواهم من المسلمين، والأباضية الذين لم يكفروا ما سواهم من المسلمين[٤].

ويذهب الخوارج الصفرية إلى عدم تكفير القاعدين عن القتال، ويفرقون بين الكبائر التي تؤدي بعضها إلى الكفر[٥].

والصفرية أكثر فرق الخوارج تسامحاً واعتدالاً مع مخالفيهم لمذهبهم إذا ما قورنوا بفرق الأزارقة في المشرق وفرقة الحرورية، فالصفرية والأباضية لا يرون إباحة دماء المسلمين ولا يرون جواز سبي النساء والذرية، بل لا يرون قتال أحد سوى جيش السلطان[٦].
والإمامة عندهم حق لأي مسلم أهل لها، عربياً كان أم غير عربي[٧].

---

(١) البكريّ، المسالك، ج2، ص840؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص126.

(٢) البكريّ، المسالك، ج2، ص840؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص126.

(٣) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص127.

(٤) المبرد، الإمام أبي العباس، أخبار الخوارج (من كتاب الكامل في اللغة والأدب والنحو والتصريف) دار الفكر، بيروت، (د.ت)، ص78. وسيشار إليه فيما بعد: المبرد، أخبار الخوارج.

(٥) المصدر نفسه، ص78.

(٦) العبادي، أحمد مختار، في التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ت)، ص227.

(٧) كحيلة، ص60.

▪ موقف الدولة العباسية من المدراريين:

قامت دولة بني مدرار رسمياً سنة 140هـ/757م عندما اختطوا مدينة سجلماسة العاصمة السياسية لدولتهم، إذ كانت هذه المدينة إذ ذاك تحت ظل الخلافة العباسية وقد أسسها أبو القاسم سمغون بن سمكو بن واسول المكناسي الزناتي حتى يكون مركزاً لإمامته(١).

إن صفرية مكناسة عندما بايعوا عيسى بن يزيد الأسود من موالي العرب أقاموه أميراً عليهم لمدة خمس عشرة سنة، ثم خلعوه، وولوا عليهم أبا القاسم سمغون بن سمكو بن واسول، وكان سمغون بن سمكو على ولاء وطاعة للدولة العباسية، حيث كان يخطب للخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، ثم لابنه المهدي(٢).

ومن بعد أبي القاسم سمغو بن سمكو تولى الإمامة ابنه ابن الياس بن أبي القاسم (الملقب بأبي الوزير) الذي سار على خطا والده في الدعوة والولاء والطاعة للخلافة العباسية(٣).

وفي سنة 174هـ خلع إلياس بن أبي القاسم، وتولى أخوه إليسع وكنيته (أبو منصور) ــ وكان صفرياً ــ في عهده استفحل سلطان بني مدرار في سجلماسة، وكان أبو منصور موالياً وكاتباً للخلافة العباسية كأسلافه(٤).

وفي سنة 208هـ تولى الحكم ابن الياس واسمه مدرار، ولقبه (أبو المنتصر)، وكان مدرار على علاقة بالدولة الرستمية(٥).

والمعلوم لدينا أن الدولة الرستمية كانت على عداء دائم مع الدولة العباسية مذهبياً وسياسياً.

وكانت الدولة العباسية تقف موقف المتفرج، عندما حصل صراع بين أبناء مدرار ميمون ابن أروى الرستمية وميمون بن التقية (البغي)، الملقب بالأمير إذ دام هذا الصراع ثلاث سنوات، اعتنق أهل مواطن سجلماسة من مكناسة الإسلام على المذهب الصفريّ، ثم انتزوا مع المنتزين على الدولة الأموية على إثر قيام ميسرة المدغري بفتنة، وكان من زعماء الصفرية في هذه النواحي عيسى ابن يزيد الأسود المكناسي الصفريّ، وكان صاحب ماشية في جنوب بلاد المغرب، وكان يقيم بها في أرض سجلماسة ويتردد عليها(٦).

وكان عيسى قد نزل في أرض سجلماسة سنة 138هـ، بخيامه وماله، واجتمعت الناس حوله من قبائل زناتة، وكان عدوهم يزيد على أربعة آلاف حيث سكنوا معه(٧).

---

(١) البكريّ، المسالك، ج2، ص837؛ مجهول، الاستبصار، ص201؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص124.

(٢) البكريّ، المسالك، ج2، ص837؛ مجهول، الاستبصار، ص201؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص124.

(٣) البكريّ، المسالك، ج2، ص838؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص125.

(٤) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص155.

(٥) البكريّ، المسالك، ج2، ص838؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص125.

(٦) ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبدالله محمد التلمساني الغرناطي، أعمال الأعلام (تاريخ المغرب العربي)، تح: مصطفى أبو ضيف أحمد، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1985م، ص138-139. وسيشار إليه فيما بعد: ابن الخطيب أعمال الأعلا (تاريخ المغرب)؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص583.

(٧) ابن الخطيب، أعمال الأعلام (تاريخ المغرب)، ص 138-139؛ ابن خلدون، العبر ج 6، ص 130؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص583.

وكان كبير قبائل زناتة أبو القاسم سمغون بن واسول المكناسي الزناتي قد بايع عيسى بن يزيد[١].

وكان كبير قبائل زناتة، ويبدوا أن ذلك كان رائقاً للدولة العباسية خاصة وأن ميمون بن مدرار ابن الرستمية كان أخواله من بني رستم الذين كانوا على عداء مذهبي وسياسي مع الدولة العباسية[٢].

وكان الخليفة العباسي المعتضد بالله قد أوعز إلى إليسع بن محمد (المنتصر) هذا بالقبض على عبدالله المهدي وابنه أبي القاسم مؤسسي الدعوة الشيعيّة في المغرب وقد بحث عنهما إليسع، وقبض عليهما، وأودعهما السجن، وذلك سنة 296هـ[٣].

وعندما نزل عبدالله المهدي سجلماسة تحدث الناس أن هذا الرجل له شأن من الشأن، ووقع له في قلب كل من رآه الهيبة والجلالة، وقيل لليسع بن المنتصر بن مدرار: (أنه قد دخل بلدك رجل جليل من كبار تجار الشرق)، ووصف له، ولهج الناس بذكره، وقد أكرمه إليسع بن مدرار، وكان عبيدالله المهدي قد أخبر إليسع بنسبه، وقال: (أنا من أولاد الحسن بن علي)، وكتم أمره[٤].

وأقام عبيدالله في سجلماسة وكتب دعاته تصل إليه، وأبو عبدالله الشيعيّ يعلمه بما يهيئ الله إليه من النصر على الأعداء (العباسيين) وعلو الأمر للأولياء، وعندما فضح أمره وعلم الخليفة العباسي بذلك أوعز إلى إليسع بإيداعه السجن وابنه أبي القاسم[٥].
من ذلك نرى أن الدولة العباسية كانت على اتصال دائم بالدولة المدرارية الذين كانوا يقدمون الولاء والطاعة للدولة العباسية، وبذلك فرضت الدولة العباسية ودولة الأغالبة بما قام به إليسع بن مدرار.

وعندما سمع أبو عبدالله الشيعيّ بما فعله إليسع بن مدرار بالمهدي وابنه أرسل إليه رسلاً منهم محمد بن حي اليشكري، ويعلى بن باطيط الرماني، إلا أن إليسع قد أمر بحبسهما، وقرر أبو عبدالله الشيعيّ بتعبئة عساكره لفك أسر المأسورين، وكان إليسع بن مدرار قد هرب ودخل أبو عبدالله الشيعيّ مدينة سجلماسة، وحرر المأسورين وعلى رأسهم عبدالله المهدي[٦]. المهدي[٦].

وبايع أهل سجلماسة بعد إليسع الفتح بن ميمون الأمير، وكان أباضياً، فتوفي سنة 300هـ وولي أخوه أحمد بن ميمون الأمير، واستقام أمره إلى أن زحف إليه مصالة بن

(١) ابن الخطيب، أعمال الأعلام (تاريخ المغرب)، ص 139؛ ابن خلدون، العبر ج 6، ص130؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص583.

(٢) البكريّ، المسالك، ج 2، ص838؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص125؛ ابن خلدون، العبر، ج 6، ص131؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص143.

(٣) االناصريّ، الاستقصا، ج1، ص155-156؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص145.

(٤) عماد الدين إدريس، تاريخ الخلفاء، ص153.

(٥) المصدر نفسه، ص 153-154؛ محب، محمود قاسم، الحياة الفكرية في عهد الأغالبة (184-296هـ/800-909م)، رسالة ماجستير، إشراف أ.د عبد الواحد ذنون طه، جامعة الموصل، العراق، 1989م، ص109.

(٦) مجهول، الاستبصار، ص204؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص126؛ عماد الدين إدريس، تاريخ الخلفاء، ص159.

حبوس _قائد الشيعة العبيديين_ في جموع من أهل كتامة البربر سنة 309هـ، ودخل مصالة سجلماسة وقبض على أحمد بن ميمون الأمير(١).

وقد دعا المعتز بن محمد بن ساور بن مدرار الذي جاء بعد أحمد بن الأمير ميمون بن مدرار للشيعة الذين كانوا على عداوة متواصلة مع الدولة العباسية حتى سنة 321هـ، وولى ابنه محمد بن المعتز، ثم جاء بعده المنتصر سمكو(٢).

وولي محمد بن المعتز سجلماسة بعد أبيه، حيث أيّده عبيدالله الشيعيّ، وبقي على سجلماسة حتى توفي سنة 321هـ، وولي بعده أخوه سمغون الملقب بالمنتصر(٣).

وكان المنتصر صغيراً لا يتجاوز من العمر ثلاث عشرة سنة، إذ ثار عليه ابن عمه محمد بن الفتح بن ميمون بن مدرار في سنة 332هـ وقام بإخراج المنتصر من سجلماسة، وقطع الدعوة عند الخلفاء الفاطميين، ودعا إلى نفسه(٤).

وكانت وفاة محمد بن الفتح سنة 354هـ، إذ غدر به قوم من مطغرة (*)، حيث كان يحسس الأخبار، وقبض عليه، وأحضره إلى جوهر الصقليّ الذي حبسه، وحمله إلى القيروان، وقد حكم احدى عشرة سنة، وبعدها انتهت الدولة المدرارية(٥).

وثار على المنتصر محمد بن الفتح بن ميمون الأمير الذي رفض المذهب الخارجي، ونادى بالدعوة العباسية، وأخذ بمذهب أهل السنة على المذهب المالي وقد تلقب بالشاكر بالله كما ذكرنا سابقاً(٦).

وفي سنة 347هـ فرّ محمد بن الفتح من سجلماسة بعد أن زحف عليه جوهر الكاتب قائد المعز العبيديّ والذي دخل سجلماسة(٧).

وكانت دولة بني مدرار قد عاصرت الدولة الأغلبية في فترة حكمها، وعلى الرغم مما كان بينهما من العداء السياسي والمذهبي، فإنه لم يحدث بينهما أي تصادم عسكري لوجود دولة حاجزة بينهما وهي دولة بنو رستم في تاهرت(٨)، وذلك بعد مائة وستين سنة(٩).

وهكذا فإننا نرى أن دولة بني مدرار قد وقفت موقفاً وسطاً بين القوى المتصارعة بالمغرب وهي الدولة الرستمية، ودولة الأغالبة، ودولة الأدارسة، ولم تتخذ دولة بني مدرار

---

(١) البكريّ، المسالك، ج2، ص839؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص126.

(٢) البكريّ، المسالك، ج2، ص840؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص126.

(٣) ابن الخطيب، أعمال الأعلام (تاريخ المغرب)، ص147؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص589.

(٤) ابن الخطيب، أعمال الأعلام (تاريخ المغرب)، ص147؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص589.

(*) مطغرة: قبيلة زناتية ونسب إليها الزعيم البربري ميسرة المطغري.

(٥) ابن الخطيب، أعمال الأعلام (تاريخ المغرب)، ص149؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص589.

(٦) البكريّ، المسالك، ج2، ص840؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص126.

(٧) البكريّ، المسالك، ج2، ص840؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص126.

(٨) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص126.

(٩) ابن الآبار، أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي، الحلة السيراء، تح: د. حسن مؤنس، دار المعارف، القاهرة، 1985م، ج1، ص192، وسيشار إليه فيما بعد: ابن الآبار الحلة السيراء، الحلة السيراء، ج1، ص192.

موقفاً عدائياً من الدولة العباسية، بل اعترف (المدراريون) بسلطان الخلافة، وعملوا على مداراة الأغالبة، وتوثيق صلتهم بالرستميين على الرغم من الاختلافات المذهبية بينهم.

ولم تنجح (سجلماسة) رغم وقوعها اعتصامها بصحراء المغرب الجنوبية وموازانة سياستها مع بنو رستم والأغالبة في النجاة مما آلت إليه على أيدي الفاطميين.

- **الدولة الرستمية الخارجية (137-297هـ/754-909م):**

ـ الأسباب التي أدّت إلى قيام الدولة الرستميَّة 161هـ/777م

في سنة 140هـ/757م سيطرت على افريقية بعض القبائل الصفرية، وذلك بعد قتل حبيب بن عبد الرحمن الفهري (والي افريقية/تونس) على يدي عاصم بن جميل أمير قبيلة ورفجومة، وكان كاهناً يدعي النبوة، ومقتل عاصم على يدي عبد الملك بن أبي الجعد اليفرني سنة 140هـ/757م(١).

وكانت قبيلة ورفجومة قد عانت في افريقية الفساد إذ ظلموا، وأفسدوا، وسفكوا الدماء وهتك الحرمات، الأمر الذي جعل الكثير من سكان افريقية يفرون إلى طرابلس بعد أن ساموا أهلها سوء العذاب(٢).

ثم قام أحد الأباضية ويدعى أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري وكان أحد ثوار طرابلس إذ استولى عليها، وأراد التوجه إلى القيروان لقتال ورفجومة، إذ خرج له عبد الملك بن أبي جعدة بجموع ورفجومة، وحصل بينهم قتال، وذلك في شهر صفر سنة 141هـ/758م وكانت نتيجة القتال أن هزمت ورفجومة(٣).

وكان عبد الأعلى بن السمح قد ولى على القيروان عبد الرحمن بن رستم(٤)، وتوجه عبد الأعلى بن السمع إلى طرابلس(٥).

ولما سيطرت الصفرية من الخوارج على افريقية بعد أن قتلت ورفجومة من قتلت من عربها، خرج جماعة من عرب القيروان، منهم عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، ونافع بن عبد الرحمن السلمي، وأبو البهلول بن عبيدة وغيرهم إلى أبي جعفر المنصور يستنجدونه، ويستنصرونه على البربر، وأفعالهم الشنيعة، فقام أبو جعفر المنصور بتولية محمد بن الأشعث مصر، وأبي الأحوص عمرو بن الأحوص افريقية (تونس)(٦).

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص70؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص122؛ النويريّ، نهايةالأرب، ج 24، ص38.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص70؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص123؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج 24، ص38.

(٣) أبو زكريا، السير، ص69؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص70-71؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص123؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص38.

(٤) أبو زكريا، السير، ص 69؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 70-71؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص123؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص38.

(٥) أبو زكريا، السير، ص 69؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص71؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص124؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص39.

(٦) أبو زكريا، السير، ص71-72؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص71؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص127؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص39.

وحدث تصادم وقتال بين جيش أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري وجيش أبو الأحوص العجلي الذي أقبل ومعه جيش من العباسيين، والتقوا بمنطقة مقداس على شاطئ البحر المتوسط، وكانت نتيجة المعركة أن انهزم أبو الأحوص وجيشه في هذه المعركة، وعاد أبو الخطاب إلى طرابلس[١].

وحصلت معركة أخرى بين جيوش محمد بن الأشعث الذي أمره أبو جعفر المنصور بالمسير لمحاربة وقتال أبي خطاب، وكان أبو جعفر المنصور قد أوعز إلى الأغلب بن سالم التميمي والمحارب بن هلال الفارسي والمخارق بن غفار الطائي وأمرهم بالتوجه لقتال أبي الخطاب، وكان عدد جيش ابن الأشعث أربعين ألفاً[٢].

وكان أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح قد جمع ما يقارب سبعين ألفاً، واستقدم أبو الخطاب عبد الرحمن بن رستم من القيروان، وقدم عبد الرحمن بن رستم ومعه جيش كبير[٣].

والتقى الجيشان وحدثت معركة سرت [*]، وقد قتل ابن الأشعث أبو الخطاب في هذه المعركة[٤].

وعلم عبد الرحمن بن رستم بخبر مقتل أبي الخطاب، فولى هارباً إلى تاهرت هو وأهله وولده عبد الوهاب، وكان أباضية تاهرت (المغرب الأوسط) قد بايعوه بالإمامة، وقد شرع عبد الرحمن بن رستم ببناء مدينة تاهرت[٥].

وكان محمد بن الأشعث قد هزم من تبقى من فلول جيش أبي الخطاب الذين كانوا بقيادة أبي هريرة الزناتي إذ كان عددهم ستة عشر ألفاً[٦].

وفي سنة 145هـ اشتغل محمد بن الأشعث ببناء سور مدينة القيروان، وكان قد بعث إلى زويلة وودان ففتحها، وقتل من بهما من الأباضية وعلى رأسهم عبدالله بن حيان الأباضي الذي كان على راس زويله، وهدأت أحوال افريقية في هذه السنة[٧].

وفي هذه السنة 145هـ، تولى أمر طرابلس أبي حاتم يعقوب بن لبيد الملزوزي، وكان يرسل الصدقات والأموال التي يجمعها للإمام عبد الرحمن بن رستم[١].

---

(١) أبو زكريا، السير، ص 72-73؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 71؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص127؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص39.

(٢) أبو زكريا، السير، ص71-73؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص71؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص127؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص39.

(٣) أبو زكريا، السير، ص 73؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص71؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص127؛ النويريّ، نهاية الأرب ج24، ص39.

(*) سرت: مدينة على ساحل البحر المتوسط بين برقة وطرابلس الغرب. أنظر: ياقوت، معجم البلدان، ج 3، ص206.

(٤) أبو زكريا، السير، ص 74؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص72؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص128؛ النويريّ، نهاية الأرب ج24، ص40.

(٥) أبو زكريا، السير، ص 75؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص72؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص128؛ النويريّ، نهاية الأرب ج24، ص40.

(٦) ابن عذاري، البيان، ج1، ص72.

(٧) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص73؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص128؛ النويريّ، نهاية الأرب ج 24، ص40.

وفي سنة 151هـ ولي أبو جعفر المنصور عمر بن حفص هزارمرد على افريقية عندما قتل الأغلب بن سالم سنة 151هـ(٢).

وكان أبو حاتم قد توجه إلى القيروان لحصارها والسيطرة عليها وقد حاصرها ثمانية أشهر فقاتله عمر بن حفص بمن معه أشد قتال، إذ حاصرهم حصاراً اقتصادياً، وطال الحصار ثم بلغه أن أبا جعفر المنصور قد وجه حملة لإنقاذه وهي حملة يزيد بن حاتم المهلبي، وخرج عمر بن حفص، فقاتل حتى قتل سنة 154هـ(٣).

ومجمل القول، إنه في سنة 155هـ، حدثت معركة في طرابلس بين قوات أبي حاتم الملزوزي ويزيد بن حاتم، انهزم على إثرها البربر، وقتل أبو حاتم ثائراً لعمر بن حفص الذي قتل(٤).

وكان عبد الرحمن بن حبيب بن عبد الرحمن الفهري مع أبي حاتم، فلحق بكتامة، فبعث يزيد يطلب المخارق بن غفار فحاصره ثمانية أشهر ثم انتصر، فقتل جماعة ممن معه، وهرب الباقون، ونجا هو حيث هرب إلى الأندلس(٥).

وكانت حروب الخوارج مع العرب منذ مقتل عمر بن حفص إلى انتهائها عام 375هـ حروباً شرسة(٦).

وفي سنة 157هـ ولت قبيلة ورفجومة عليهم رجلاً يقال له أبو زرجونه، فبعث إليهم يزيد بن حاتم رجل يقال له يزيد بن مجزأة فهزموه، فتوجه إليهم ابن المهلب ـ وكان والياً على منطقتي الزاب وطبنة ـ وأذن له والده بالزحف إلى ورفجومه، وذهب معه العلاء بن سعيد بن ودان المهلبي فأوقع بهم، وقتلهم، وانتصر عليهم(٧).

ولم يزل أمر الخوارج بالمغرب ـ أيام يزيد بن حاتم ـ في تناقض، وفوضى إلى أن اضمحلت ديانتهم وافترقت جماعتهم(٨).

وفي سنة 160هـ/776م استطاع عبد الرحمن بن رستم، وبكل جدارة من تأسيس دولة بني رستم بن بهرام (الدولة الرستمية) وعاصمتها تاهرت(٩).

---

(١) أبو زكريا، السير، ص 78؛ الدرجيني، طبقات، ج 1، ص 38؛ وانظر: وانظر: إسماعيل، محمود، الخوارج في المغرب الإسلامي، دار صادر، بيروت، 1976م، ص66 .

(٢) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص75؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص130؛ النويريّ، نهاية الأرب ج 24، ص42.

(٣) أبو زكريا، السير، ص 82-83؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص75-76؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص131.

(٤) أبو زكريا، السير، ص83-84؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص78؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص132؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص46.

(٥) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص132.

(٦) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص132.

(٧) المصدر نفسه، ج1، ص132-133.

(٨) المصدر نفسه، ج1، ص132-133.

(٩) أبو زكريا، سير، ص85-86؛ الدرجيني، طبقات، ج 1، ص11؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص72؛ ابن خلدون، العبر، ج 4، ص 192-193؛ وانظر: دبوز، محمد علي، تاريخ المغرب الكبير، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1963م، ج3، ص251.

وقد اختلفت الروايات في أصل بهرام، فالبكري يقول: (أنه بهرام بن ذي شرار بن سابور بن بايكان بن سابور بن ذي الاكتاف الملك الفارسي)[١].

ويقول ابن خلدون: (أنَّ بهرام هو من ولد رستم أمير الفرس بالقادسية) [٢]، أمَّا ابن عذاري فيقول عن بهرام: (وكان مولىً لعثمان بن عفان)[٣].

أمَّا عن قدومه إلى افريقية فتقول رواية الشماخي أنَّ أباه رستم رحل إلى مكة وبرفقته زوجته وابنه عبد الرحمن لأداء فريضة الحج واقترنت امرأته برجل من أهل القيروان حيث صحبها وابنها عبد الرحمن معه عند عودته إلى بلده[٤].

ويعدّ عبد الرحمن بن رستم من حملة العلم الخمسة، أحدهم أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري، وعاصم السدراتي، واسماعيل بن درار الغدماسي، وأبو داؤود القبلي، ونشأ عبد الرحمن بالقيروان، فلما بلغ مبلغ الرجال وتعلم نظر إليه رجل من أهل الدعوة، وقال له: (يا فتى إن كنت طالباً ما أراك تطلبه فاقصد إلى أبي عبيد مسلم ابن أبي كريمة التميمي تجد عنده ما رجوت)[٥]. وقد أخذ عبد الرحمن بن رستم علمه عن أبي عبيدة بن مسلم التميمي[٦]. التميمي[٦].

خرج عبد الرحمن بن رستم من العراق في اتجاه المغرب، رغم أن موطنه كان في الحجاز[٧]، وتتفق المصادر الأباضية حول الرواية التي تقول أنَّ أمّ عبد الرحمن لمَّا توفي زوجها تزوجت حاجاً مغربياً من القيروان، فأخذ الأم وابنها إلى القيروان[٨].

نشأ عبد الرحمن بن رستم مؤسِّس الدولة الرستمية وترعرع وأخذ نصيباً من العلم في القيروان المدينة العربية الأولى في المغرب، ولا شكَّ في أنّ عبد الرحمن وصل إلى هذه المنطقة أواخر القرن الأول الهجري وبداية القرن الثاني الهجري[٩].

ويروي الدرجيني لنا اتصال ابن رستم وهو في مقتبل الشباب بسلمة بن سعيد الداعية الأباضي، وتعلقه بتعاليمه، ويقول عن الإمام أفلح عن أبيه عبد الوهاب عن جدّه عبد الرحمن، أنه قال: (أول من جاء يطلب مذهب الأباضية ونحن بقيروان افريقية سلامة بن سعد قال: قَدِم علينا من أرض البصرة... فسمعتُ سلمة يقول: وَدَدْتُ أن نظهر هذا الأمر... يوماً واحداً من أول النهار إلى آخره، فلا آسف على الحياة بعده، فقام عبد الرحمن مجتهداً في ذلك الأمر)[١٠].

---

(١) البكريّ، أبو عبيد الله عبدالله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو البكريّ، المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب، تح عبد الرحمن الحجي، دار الإرشاد، بيروت، 1965م، ص67. وسيشار إليه فيما بعد: البكريّ، المغرب؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص162.

(٢) ابن خلدون، العبر، ج6، ص121؛ وانظر: نبيلة، محاضرات، ص250.

(٣) ابن عذاري، البيان، ج1، ص196؛ ياقوت، معجم البلدان، ج2، ص8.

(٤) الشماخي، ج1، ص123.

(٥) أبو زكريا، سير، ص58-59.

(٦) المصدر نفسه، ص58-59.

(٧) أبو زكريا، سير، ص40.

(٨) المصدر نفسه، ص35؛ الدرجيني، طبقات، ص123.

(٩) إسماعيل،الخوارج، ص145؛ بحاز، إبراهيم بكير، الدولة الرستمية (دراسة الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية)، (د.مط)، بيروت، ط1، 1985م، ص94.

(١٠) الدرجيني، طبقات، ج 1، ص 11-12؛ الشماخي، سير، ص 123؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص374.

وقد ظلَّ عبد الرحمن بن رستم بالقيروان إلى قدوم محمد بن الأشعث الخزاعي بقواته إذ فرَّ منها إلى المغرب الأوسط سنة 144هـ/761م، وكان في ذلك أولى خطوات تأسيس الدولة الرستمية الأباضية(١).

ومهما يكن من أمر فإن عبد الرحمن بن رستم استطاع وبكل جدارة تأسيس دولة بني رستم (الدولة الرستمية) الأباضية وذلك سنة 160هـ/776م في عاصمته تاهرت(٢).

وكان عبدالرحمن بن رستم قد اختطَّ مدينة تاهرت سنة 144هـ بعد فراره من القيروان(٣).

وبقي عبد الرحمن بن رستم بالقيروان إلى أن قدم محمد بن الأشعث بالقوات العباسية فخرج لنداء أبي الخطاب، ولكنه عاد من قابس عندما رأى هزيمة الأباضية قبل أن يفر من القيروان خفية نحو المغرب الأوسط سنة 144هـ/761م، ورغم ما تقوله بعض الروايات من أن ابن رستم بنى مدينة تاهرت عقب فراره سنة 144هـ أو بعدها بقليل، فالأقرب إلى الصحة أن ابن رستم لم يفكر في ربط مصيره واتباعه بالمغرب الأوسط إلا بعد أن فشلت محاولاته في العودة من جديد إلى افريقية، وبعض الروايات الأباضية تؤيد بناء مدينة تاهرت سنة 160هـ أي بعد أكثر من خمس عشرة سنة من فرار عبد الرحمن من القيروان(٤).

وكانت الدولة الرستمية تحدّ الدولة الأغلبية (حلفاء العباسيين) من الجنوب والغرب، وكان العداء بين الدولتين سياسياً ومذهبياً، ذلك لأن الخوارج الأباضية يَعُدّون مَن يخالفهم من الكفار(٥).

ولمّا كثر الأباضية من المغربَين الأدنى والأوسط وتركزوا في نقطة واحدة التقوا حول عبد الرحمن بن رستم، وقد رأوا ضرورة وجود عاصمة يأوون إليها ويتحصَّنون بها فاقترحوا أن تكون تاهرت(٦).

---

(١) أبو زكريا، سير، ص46؛ الدرجيني، طبقات، ج1، ص35.

(٢) أبو زكريا، سير، ص 85-86؛ الدرجيني، طبقات، ج 1، ص19-20 وما بعدها؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص72؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص192-193؛ وانظر: دبوز، تاريخ المغرب، ج3، ص251، 295، 306 وما بعدها؛ الباروني، سليمان، مختصر تاريخ الأباضية،(د.مط)، تونس، 1990م، ص30. وسيشار إليه فيما بعد: الباروني، مختصر؛ معمر، علي يحيى، الأباضية في موكب التاريخ، دار صادر، بيروت، 1966م، ص23؛ إسماعيل، الخوارج، ص 103؛ السامرائي، خليل إبراهيم، إمامة الدفاع الثانية عند خوارج المغرب العربي، مجلة التربية والتعليم، ع4، بغداد، 1981م، ص97-98.

(٣) النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص40؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص121؛ وانظر: زكار، سهيل، الدولة الرستمية، مجلة الدراسات التاريخية، ع12، أيار (مايو) 1983م، جامعة دمشق ص 80-81.

(٤) أبو زكريا، سير، ص85-86.

(٥) البغداديّ، عبدالقادر بن طاهر بن محمد، الفرق بين الفرق، تح محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة بولاق، القاهرة، (د.ت) ص102، وسيشار إليه فيما بعد: البغداديّ الفرق.

(٦) أبو زكريا، سير، ص 85-86؛ الدرجيني، طبقات، ج 1، ص41؛ الشماخي، السير، ص 139؛ وأنظر: الباروني، سليمان بن عبدالله النفوسي،الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الأباضية، مطبعة الأزهار الرياضية، القاهرة، (د.ت)، ج2، ص5، هامش1، 3. وسيشار إليه فيما بعد: الباروني، الأزهار؛ إسماعيل، الخوارج، ص256؛ جهلان، عدوان، الفكر السياسي عند الأباضية (من خلال أراء الشيخ محمد بن يوسف أطفيش) 1236-1332هـ/1818-1914م إشراف أ.د أبو عمرو آل الشيخ، رسالة ماجستير، عمان/مسقط 1987م، ص 49.

ذلك أن الاباضية قرروا بناء مدينة يتحصنون فيها ويُعدّ مكاناً صالحاً، إذ أن ذلك الموضع يمتاز بجودة الهواء، وكثرة المياه والخصب، وهو قابل للعمارة ومأمون من العدو(١).

وتاهرت تقع وسط الجبال، ولم يكن من السهولة دخولها إلا من الناحية الجنوبية حيث كان هناك طريق طويل يصل في النهاية على جبل نفوسة، كذلك كانت الأرض حول تاهرت خصبة ووفيرة المياه(٢).

وكان موقع المدينة يمتاز كذلك بالأشجار الكثيفة، ومرتعاً للسباع والوحوش، وعندما تم اختيار موقع العاصمة، تم تأسيس المسجد الجامع، ثم اختطوا دوراً، وقصوراً، وبيوتاً(٣).

وتاهرت تقع على نهر كبير يأتيها من ناحية القبلة، يسمى (مينه منياس) عند ابن خلدون، ولها نهر آخر يجري من عيون تجتمع يسمَّى (تاتش)، ومنه تشرب أرض تاهرت وبساتينها(٤).

وينفرد البكري برواية دون غيره، إذ يذكر أنَّ الأباضية في أول الأمر توجهوا إلى تاهرت القديمة أو العليا حسبما يفهم من كلامه، فلمَّا أرادوا بناءها من جديد أو ربما توسيعها، ووضع سور لها، كانوا كلما بنوا شيئاً في الليل وجدوه وقد هُدِم في الصباح على أيدي بربر صنهاجة أصحاب الأرض الذين رفضوا البيع، فعزفوا عن ذلك الموضع، وانتقلوا إلى موضع تاهرت الحديثة، وتقع على بعد خمسة أميال من تاهرت القديمة إلى الغرب(٥).

وذكر الجغرافيون محاسنها، وخاصة الأنهار القريبة منها نهر (مينة) الذي يأتيها من جهة القبلة، ونهر (تاتش) وهذا الأخير يجتمع من عيون عديدة، ومنه يشرب أهل تاهرت(٦).

ومن الأسباب التي دفعت عبد الرحمن بن رستم لاختيار وفرة المياه، وخصب الأراضي والأشجار الكثيفة ووجود الأنهار، وجودة الهواء، وكذلك لأنها مأمونة من الأعداء، ولكن هناك أسباب أخرى:

أولاً : تقليد عبد الرحمن بن رستم للمدراريين الخوارج الصفرية الذين بنو عاصمتهم (سجلماسة) في جوف الصحراء، واستطاعوا أن يكونوا في مأمن من هجمات وغارات القوات العباسية، فلا عجب أن عبد الرحمن بن رستم اختار هذا الموضع الذي يقع على تخوم الصحراء والبعيدة عن القيروان مركز أعدائه بنحو تسع عشرة مرحلة(٧).

ثانياً: مركز تاهرت التجاري، إذ أنه يربط تجارة الشمال بتجارة الجنوب(٨).

---

(١) الباروني، الأزهار، ج2، ص5-6؛ الشماخي، السير، ج1، ص139.

(٢) الاصطخري، المسالك، ص31؛ وانظر: كحيله، المُغرب، ص54؛ زكار، الدولة الرستمية، ص76-77.

(٣) البكريّ، المغرب، ص 67؛ أبو زكريا، سير، ص 53؛ ياقوت، معجم البلدان ج 2، ص8؛ الدرجيني، طبقات، ج1، ص41؛ الشماخي، السير، ص139؛ وانظر: الباروني، الأزهار، ج2، ص2.

(٤) مجهول، الاستبصار، ص178؛ ياقوت، معجم البلدان، ج2، ص8؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص121.

(٥) البكريّ، المغرب، ص 67؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص196؛ وانظر: اسماعيل، الخوارج، ص148-149.

(٦) البكريّ، المغرب، ص66-67.

(٧) ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي البغداديّ النصيبي، صورة الأرض، مكتبة دار الحياة، بيروت، (د.ت)، ص84-85؛ الاصطخري، المسالك، ص37.

(٨) بحاز، الدولة الرستمية، ص86-94.

ثالثاً: اختيار عبد الرحمن بن رستم لتاهرت لكي يستطيع أن يتحكم في القبائل الصحراوية البدوية، بحيث لا يمكنها الهروب منه؛ لأنه يقبض عليها من الوسط(١).

وقبل أن نختم هذا الجانب، وجب علينا أن نعرف معنى كلمة (تاهرت) فهي كلمة بربرية وهي تعني (محطة) أو (إقامة)(٢).

ومجمل القول؛ إن من الأسباب الرئيسة التي أدّت إلى قيام الدولة الرستمية في المغرب الأوسط (الجزائر):

أولاً: أن تكون هذه المنطقة دولة أباضية تمارس المذهب الأباضي.

ثانياً: نشر هذا المذهب بين القبائل في المنطقة تستظل بهذه الدولة جميع القبائل المعتنقة لهذا المذهب من المغربين الأدنى والأوسط، وتعدّ هذه الدولة ثمرة جهود علماء المذهب الأباضي في المشرق والمغرب وتتويجاً للثورات الأباضية ضد الولاة الأمويين والعباسيين في المغرب العربي(٣).

ثالثاً: الاستقلال عن الدولة العباسية واجتماع الفرق الأباضية في دعوة واحدة، ولم يكن الدين إلا شعاراً لإخفاء هذا الهدف، ولإعطاء موقف الاستقلال نوعاً من الشرعية(٤).

رابعاً: ولأن مدينة تاهرت قد أصبحت مركز اجتماع الخارجين الهاربين: أي أن من الأسباب التي أدَّت لقيام الدولة الرستمية إيجاد ملجأ آمناً للدعوة الأباضية، وهرباً من التعذيب والموت وخوفاً من جبروت الدولة العباسية(٥).

ونالت الدعوة الأباضية والإمامة الجديدة من خوارج المغرب الأدنى والأوسط، خاصة من سكان جبل نفوسة وأهل جزيرة جربة، وبلغت هذه الأخبار مسامع واهتمام الخوارج في المشرق، خاصة في البصرة وعُمان، فجمع خوارج البصرة (أموالاً عظيمة وبعثوا بها مع نفر من ثقاتهم)(٦).

وسادت الحرية الدينية في عاصمة الأباضية، وتطورت الحياة الاجتماعية فيها، وقام فيها نشاط تجاري وزراعي كبير، وازدهرت فيها الحياة الاقتصادية بشكل عام والحركة الثقافية

---

(١) بحاز، الدولة الرستمية، ص86-94.

(٢) الجيلالي، عبد الرحمن محمد، تاريخ الجزائر العام، دار صادر، بيروت، 1980م، ج1، ص220؛ بحاز، الدولة الرستمية، ص89؛ جورج مارسية، دائرة المعارف الإسلامية (مادة تاهرت)، طبع في جيهان: طهران- الجمهورية الإيرانية (د.ت)، ج4، ص525.

(2)الدرجيني، السير، ص85-86.

(٤) ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص 12-13؛ الكعاك، عثمان، سلسلة كتاب البعث، الكتاب الخامس، ط 1، (د.م)، 1956م، ص96.

(٥) وفيقة، نشوء الدويلات، ص15.

(٦) ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص32؛ وانظر: زكار، الدولة الرستمية، ص74.
وحول علاقة عُمان بالمغرب فقد بدأت العلاقة بين عُمان والمغرب، منذ أن التقى حملة العلم المغاربة أخوانهم حملة العلم من عُمان، وكانت البصرة ملتقى الجميع باعتبارها مركز الدعوة الأباضية حيث كان يتلقى هؤلاء العلم عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وغيره من قادة المذهب الأباضي، وقد مكث الجميع عند أبي عبيدة عدَّة سنين، يتلقون خلالها مبادئ المذهب الأباضي لينقلوها بدورهم إلى عُمان والمغرب.
إذ أن العلاقة بين عُمان والمغرب كان بدايتها مذهبية قوامها كتاب الله وسنة رسوله (ص)، وما دام الدين الإسلامي بداية الرباط بين الطرفين فهي من أمتن العلاقات. أنظر: ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص 32؛ أبو زكريا، السير، ج1، ص113؛ الدرجيني، طبقات، ج1، ص 19.

كذلك وعلى نطاق واسع، فغدت مركز إشعاع حضاري نحو قلب افريقية وباتت تُعرَف باسم (عراق المغرب) و (بلخ المغرب)[١].

وأصبحت الدولة الرستمية تضم المغرب الأوسط كله ما عدا تلمسان التابعة للأدارسة غرباً ومنطقة الزاب التي يسيطر عليها الأغالبة شرقاً، ويدخل ضمن حدود الدولة الرستمية جبل نفوسة، وكل المناطق جنوب طرابلس وجزيرة جربة، إضافة إلى بلاد الجريد (جنوب تونس)، وهكذا فإن هذه الدولة تكون قد تربعت على رقعة شاسعة من المغرب العربي تحيط بالدولة الأغلبية من الغرب، والشرق، والجنوب[٢].

- **المبادئ التي نادَوا بهـــــا:**

كان أباضية الدولة الرستمية التي حافظت على استقلالها زمناً طويلاً همهم تنظيم دولة ضمن المبادئ التي آمنوا بها، ولم يكن أباضيتها كغالب الخوارج همهم الثورة، بل كانوا كخوارج العرب همهم تنظيم الدولة على مبادئهم[٣].

وقد قامت الدولة الرستمية على المذهب الأباضي: والأباضيون ينسبون إلى إمامهم في الدين عبدالله بن أباض، وهو الذي فارق جميع الفرق قبل المعتزلة والقدرية والصفرية والخوارج والشيعة، وهو أول من بيَّن مذاهبهم، ونقض فساد اعتقادهم، بالحجج والآيات والروايات، نشأ في زمن معاوية بن أبي سفيان، وعاش إلى زمان عبد الملك بن مروان[٤].

لقد آمنت الدولة الرستمية الأباضية بمبادئ عدة حافظت على استقلالها زمناً طويلاً.

فقد قامت الدولة الرستمية على المذهب الأباضي (أصحاب عبدالله بن إباض)، وهو الذي فارق جميع الفرق قبل المعتزلة، والقدرية، والصفرية، والخوراج، والشيعة، وهو أول من بين مذاهبهم ونقض فساد اعتقادهم بالحجج والآيات والروايات[٥].

والأباضية من الخوارج، والخوراج أربعة أصناف: الأزارقة، وهم أصحاب نافع بن الأزرق، والنجدية وهم أصحاب عبدالله بن عامر الحنفي، والأباضية وهم أصحاب عبدالله بن إباض، والصفرية وهم أتباع عبدالله بن صفار، ومن هذه الأصناف الأربعة تشعبت فرق الخوارج كلها، وإنما كانت هذه الأصناف أصولاً لسائر فرقهم لأنك لا تجد اليوم أصلاً من

---

(١) ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص36–37؛ وانظر: زكار، الدولة الرستمية، ص80.

(٢) الجنحاني، الحبيب، العلاقات السياسية الاقتصادية بين افريقية والمغرب الأوسط بين القرنين الثاني والخامس الهجريين، محاضرة رقم 46، ندوة الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي، باتنه: الجزائر، 1978م، ص5؛ إسماعيل، الخوارج، ص 141، لومبار، لوريس، الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، ترجمة عبد الرحمن حميدة دار الفكر: دمشق، 1399هـ/1979م، ص87–283.

(٣) الحارثي، سالم بن حمد بن سليمان، العقود الفضية في أصول الأباضية، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، عمان، 1983م، ص121.

(٤) السيابي، سالم بن حمود بن شامس السيابي السملائي، إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء، تح سيدة إسماعيل كاشف، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، عمان، 1979، ص50، وسيشار إليه فيما بعد: السيابي، إزالة الوعثاء.

(٥) الناشئ الأكبر، مسائل الإمامة، مقتطفات من الكتاب الأوسط في المقالات، تح يوسف فان اس، دار فرانتس شتاينر، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت، 1971، ص68، وسيشار إليه فيما بعد: الناشئ الأكبر، مسائل الإمامة؛ الملطي، عبد الرحمن، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، تح محمد زنهم محمد عزب، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط 1، 1992، ص42، وسيشار إليه فيما بعد: الملطي، التنبيه.

الخوارج إلا وهو يتولى أحد هذه الأصناف الأربعة ويزعم أنه يقول بقوله، ويتبرأ ممن يخالفه من أصحاب الخوارج، وكان ظهور الرؤساء الأربعة في زمان واحد(١)

ويقول أحمد بن سعيد الدرجيني (ت670هـ): (إذا عرف عبدالله بن أباض بأنه إمام أهل الطريق، وجامع الكلمة لما وقع التفريق، فهو العمدة في الاعتقادات، والمبين لطرق الاستدلالات والاعتمادات، والمؤسس للأبنية وهي مستندات الأسلاف..)(٢).

أما أسس الحكم عند الأباضية فالكتاب والسنة والإجماع، وعلى هذه الثلاثة فحلالها حلال، وحرامها حرام، لا هوادة في ذلك ولا خيار لأحد في هذه الأصول الثلاثة، ثم القياس، ثم الاستدلال(٣).

والخوارج في حكم الأباضية مشركون، ذلك لأن الذنوب عندهم صغير وكبير، فالصغير معفو باجتناب الكبير، والكبير أيضاً قسمان، كبائر شرك، وكبائر نفاق، فكبائر الشرك هي كل ما أخلّ بالاعتقاد كاستحلال ما حرم الله أو العكس، أو إنكار ما علم من الدين، أو انكار حكم من أحكام الله، وكبائر النفاق وهي كبائر الكفر بنعم الله(٤).

والإيمان عند الأباضية: قول، وعمل، واعتقاد، فالقول كعصم الدماء، والأموال، وبالعمل يصح الإيمان العملي، وبالاعتقاد يتحقق الإيمان الصادق، وهو الذي يقول فيه الأباضية بأنه يزيد ولا ينقص، بل إذا انهدم بعضه انهدم كله، والإيمان العلمي هو الذي يزيد وينقص(٥).
أما الجهاد لأهل الشرك فلا خلاف فيه بين ملل الإسلام إما مسلم وإما كافر لا ثالث لهما(٦).

ومن الأباضية في افريقية وطرابلس أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري، ثم ابو حاتم الملزوزي الذي خلفه بعد موته، فهؤلاء الأئمة وأتباعهم لعبوا دوراً سياسياً، في انتفاضة البربر، التي أبعدت افريقية عن سلطان الخلافة الإسلامية(٧).

ومن المبادئ التي قامت عليها الدولة الأباضية السرّ والكتمان، ذلك أنه عندما سقطت مدينة تاهرت سنة 296هـ/909م كانت بمثابة الضربة القاضية للنظام الرستميّ، فلم تستطع تاهرت أن تقوى على رد الأعداء، فسقطت أمام جيوش أبي عبدالله الشيعيّ، وفر أبو يوسف يعقوب (آخر الأئمة الرستميين) مع أفراد أسرته وأعيان دولته إلى سدراته قرب وارجلان، وهناك حاول الأباضية تأسيس دولة جديدة لهم (٨)، ولكن الظروف لم تكن مواتية، وبهذا دخل الأباضية في مرحلة الكتمان، وهو أحد المبادئ التي آمنوا بها للمحافظة على كيانهم للوصول على مبدأ آخر وهو نشر دعوتهم ولو سراً، وتحقيق مبدأ آخر وهو الوحدة بين أتباع المذهب،

---

(١) الناشئ الأكبر، مسائل الإمامة، ص68، الملطي، التنبيه والرد، ص42.
(٢) الدرجيني، طبقات، ج2، ص214.
(٣) السيابي، سالم بن حمود بن شامس، أصدق المناهج في تمييز الأباضية من الخوارج، تح سيده كاشفه اسماعيل، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، عمان، 1979م، ص26.
(٤) السيابي، أصدق المناهج، ص33.
(٥) المصدر نفسه، ص33.
(٦) المصدر نفسه، ص33.
(٧) دائرة المعارف الإسلامية، م1، أباضية، ص3-4.
(٨) البغداديّ، الفرق، ص 20 وما بعدها؛ اقبال، موسى، تاريخ المغرب الإسلامي، دار هومه، الجزائر، 2001م، ص 193-194؛ جهلان، الفكر السياسي، ص 51-52.

وتخفيف حدة التوتر بينهم وبين مخالفيهم من السنة والشيعة [١]، ولأجل ذلك اعتمد الأباضية على أمرين في طور الكتمان:

أولاً: تنظيم هيئة خاصة بمثابة السلطة تقوم مقام الإمام أو الخليفة في مرحلة الظهور، وتتكون من العلماء وأعيان القبائل[٢].

ثانياً: الابتعاد عن مواطن المخالفين والالتجاء إلى الأماكن النائية التي يقل ارتيادها، فهم يعتقدون أنهم تسترهم بعيداً عن أعين الأعداء يستطيعون حفظ مذهبهم وكيانهم، وتحقيق وحدتهم وتماسك جماعتهم[٣].

ومن مبادئ الأباضية التي نادو بها ونشروها في بلاد المغرب الإمامة والخلافة وتعنى في نظرهم رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا وهي خلافة الرسول في إقامة وحفظ حوزة الملة[٤].

الخوارج كلها تقول بإمامة الفاضل، ولا يجيزون إمامة المفضول، ويزعمون أن أفضلهم من ندب نفسه للخروج ودعا الناس للجهاد، فإذا ابتدأ بذلك رجل منهم فهو أفضلهم عندهم وأحقهم بالإمامة، ويزعمون أن الإمام يصلح أن يكون من سائر الأجناس من العرب والعجم، وهو عندهم سواء[٥].

والخلافة تفرضُ على من هو أهلٌ لها أن يفرض على الرعية كافة اتباعه وطاعته ما لم يأمر بمعصية الخالق وتفرض عليه المحافظة على وحدة المسلمين والدفاع عن الأمة[٦].
والإمام عند الأباضية هو يفترض أن يكون حاكماً عادلاً يعطي بحق، ويأخذ بحق [٧].
ويلتقي الأباضية مع الشيعة في تسمية الحاكم بالإمام، غير أن الشيعة يطلقون لفظ الإمام على خلفائهم ما داموا يدعون لهم في الخفاء، حتى إذا استولوا على الدولة يحولون اللقب إلى أمير المؤمنين، أما الأباضية فإنهم لا يفعلون ذلك[٨].

والأباضية هي أكثر الخوارج اعتدالاً، والاعتدال من مبادئهم، فهم يتفقون مع السنة، في كل شئ ما عدا مبدأ قصر الإمامة على العرب، وفي قريش بخاصة فقد كانوا يرون أن الإمامة يمكن أن تكون في أي مسلم صالح استكمل شروطها، ورضيته الأمة إماماً لها، أما إنكارهم للملك المتوارث الذي ابتدعه بنو أمية ثم بنو العباس خاصة، فقد كان كل المسلمين متفقين معهم عليه، وإن تغاضت الأغلبية منه فاكتفوا باشتراط الصلاحية في الاختيار والعدل في الحكم، وهما شرطان مبهمان؛ لأن كل ورثة العروش يقولون أنهم صالحون، ولكن الحكام

---

(١) إقبال، تاريخ المغرب، ص 193؛ جهلان، الفكر السياسي، ص 51-52.

(٢) إقبال، تاريخ المغرب، ص 193؛ جهلان، الفكر السياسي، ص 51-52.

(٣) إقبال، تاريخ المغرب، ص 193؛ جهلان، الفكر السياسي، ص 51-52.

(٤) ابن خلدون المقدمة، ص 159؛ وانظر: الباوروني، مختصر، ص 36-37؛ جهلان، الفكر السياسي، ص 167-172.

(٥) الناشئ الأكبر، مسائل الإمامة، ص68.

(٦) الباروني، مختصر، ص 36-37؛ جهلان، الفكر السياسي، ص 167-172.

(٧) الباروني، مختصر، ص 36-37؛ جهلان، الفكر السياسي، ص 167-172؛ السيد، رضوان، الأحزاب السياسية الدينية قبل الخوارج والشيعة في القرن الأول الهجري، مجلة تاريخ العرب والعالم، ع 58، آب، 1983م، بيروت، ص1.

(٨) الباروني، مختصر، ص 36-37؛ جهلان، الفكر السياسي، ص 177-172.

يقولون أنهم عادلون[١]، ولذلك فإن الدولة الرستمية دولة قامت على الوراثة الدينية، والسياسية للأئمة الرستميين.

لم يستطع عبدالله بن أباض تطبيق مبدئه طول عمره، فظل داعياً إلى أن مات وقام من بعده أبو الشعثاء (جابر بن زيد الأزدي العماني، (ت 93هـ)) فنادى بالمبدأ في بلده عُمان، ثم حاول نشره خارجها، وأبو الشعثاء وضع الأسس الفقهية للمذهب، وظهر من تلاميذه نفر ذوو قدرة ونشاط، ومنهم أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة، فنادى بالقضاء على بدعة الملك، ودعا إلى التمسك بالمبدأ الشوريّ، كما حدده عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)[٢].

والعدل من المبادئ التي نادى بها الأباضية ممثلة في الدولة الرستمية، ويرمز إلى العدالة عندهم بالفضل، وهي عند الأباضية جماع صفات الكمال الأخلاقي من حيث سلامة الاعتقاد، وسلامة الجوارح، ونزاهة النفس[٣].

وقد طبق عبدالرحمن بن رستم مؤسس الدولة الرستمية الأباضية مبادئ العدل والمساواة بين الرعية، إذ أن أبا الخطاب المعافريّ كان قد رشح عبدالله بن رستم لقيادة الأباضية الرستمية في المغرب إذ قال أبو الخطاب في هذا الشأن: (هذا عبد الرحمن بن رستم لا قبيلة له يشرف بها، ولا عشيرة له تحميه، وقد كان الإمام أبو الخطاب قد رضي لكم عبد الرحمن قاضياً وناظراً، فقلدوه أموركم فإن عدل فذلك الذي أردتم وإن سار فيكم بغير عدل عزلتموه)[٤].

ومن المبادئ التي قامت عليها الدولة الرستمية وجود إمامين في آن واحد، عندما يكون إمام ظهور وإمام دفاع، لكن ظروف نشأة الدولة الرستمية تستدعي التكاتف والتكتل حول إمام واحد، فضلاً عن الرقعة الجغرافية التي لا تسمح بوجود إمامين في آن واحد، لذلك فإن عبدالله بن رستم لم يبايع بإمامة الدفاع، إنما كان على الكبر تقديراً إماماً للصلاة لا غير[٥].

وقال بعضهم لبعض من الأباضية: (قد ظهر بالمغرب إمام ملأه عدلاً، وسوف يملك المشرق ويملأه عدلا)[٦].

ومن مبادئهم أيضاً أن الإمامة شورى بين المسلمين، إذ تذكر المصادر الأباضية أن عبد الرحمن بن رستم لما حضرته الوفاة جعل الإمامة شورى في سبعة نفر صنيع عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)[٧].

---

(١) مؤنس، تاريخ المغرب، ص 319-320؛ الباروني، مختصر، ص 36 وما بعدها.

(٢) مؤنس، تاريخ المغرب، م 1، ص321، 325؛ الباروني، مختصر، ص 36 وما بعدها؛ زكار، الدولة الرستمية،، ص 80-81.

(٣) مؤنس، تاريخ المغرب، م1، ص325،321.

(٤) ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص29-30.

(٥) مؤنس، تاريخ المغرب، ص329.

(٦) ابن الصغير، أخبار الأئمة ص32.

(٧) أبو زكريا، سير، ص 54؛ الدرجيني، طبقات، ج 1، ص36؛ وانظر: مبدأ الشورى في نظام الحكم في المغرب العربي خلال العصر الوسيط، مجلة التاريخ، ع 12، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، 1982م، ص92.

بينما لا يذكر ابن الصغير شيئاً من ذلك، بل يقول: (وكان قد نشأ له (عبدالرحمن بن رستم) في أيامه ولد يعرف بعبد الوهاب، وكان محمود الأفعال، وكان قادراً للقيام بعده، فلمَّا انقضت أيامه صيرت الأباضية الأمر إليه بعده)[١].

إلا أن البارونيّ ينقل لنا نفس هذا النص حرفياً في (الأزهار الرياضية) والنص هو (وكان قد نشأ له في أيامه ولد يعرف بعبد الوهاب، وكان محمود الأفعال، وكان قد رشحه للقيام بعده، فلما انقضت أيامه صيرت الأباضية إليه الأمر بعده)[٢].

وعبد الرحمن بن رستم عندما جعل الإمامة شورى في سبعة نفر اقتداء بعمر بن الخطاب، يبدو أن فيها شيئاً من المخالفة، لأن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عندما عيَّن النفر الستة، جعل ابنه مستشاراً لا غير، يحضر مجلس المرشحين، ويبدي رأيه، ولا يتولى من الأمر شيئاً[٣].

ويروي اليعقوبي رواية أخرى عن عمر الذي قال (أخرجت سعيد بن زيد لقرابته مني فقيل في ابنه عبدالله بن عمر، قال حسب آل الخطاب ما تحمَّلوا منها)[٤].

ومهما يكن من أمر، فإن نظام الحكم في الدولة الرستمية نظام وراثي كنظام الأمويين والعباسيين بالمشرق، والأغالبة أو الأدارسة في المغرب، ويبقى العدل والإحسان ما التزم به الأئمة الرستميون من مبادئ الأباضية، وما تميزوا به من صفات التقوى السائدة خلال كل تاريخ الرستميين، فلو وجدوا لهم غيرها لذكروه)[٥].

ومن المبادئ الأساسية التي ركز عليها الأباضية (انتخاب الإمام التي أراد أن يجعلها فقهاء الأباضية من الشروط الرئيسة للانتخاب: أولها:أخلاقيّ، وثانيها:علمي، وثالثها ورابعها: سياسي[٦].

ولا بأس من أن يكون هذا الترتيب صحيحاً، فالمبدآن الأولان من المبادئ المطلوب توفرها في اختيار الإمام أو الخليفة، كما اتفق على ذلك الفقهاء، فالفضل في هذا النص هو ما يوازي العدالة التي تعني الكمال الأخلاقي من حيث سلامة الاعتقاد، وسلامة الجوارح، ونزاهة التصرفات الشخصية، وأما من كونه من حملة العلم فالعلم شرط أساسي ليس بالنسبة للمرشح لتولي الإمامة والخلافة فحسب، بل هو ضروري أيضاً بالنسبة لطبقة أهل الاختيار أي أن أصحاب الحق في انتخاب الإمام أو الخليفة هذا، ولو أن العلم بالنسبة للطبقة الثانية هو العلم الذي يوصل إلى اختيار الأصلح، أما بالنسبة للإمام فهو العلم الذي يوصل إلى مصلحة الجماعة في الدنيا وسعادتها في الآخرة، أما الشرط الثالث–وهو (كونه عامل أبي الخطاب على افريقية) متمثل فكرة التعيين (والوصية التي تحولت إلى مبدأ الوراثة) وهذا يعني تحول الجماعة الأباضية عن مبدأ الاختيار، فعند أهل السنة قبل مبدأ التعيين أو الوصية على حقيقة

---

(١) ابن الصغير، أخبار الآئمة، ص42.

(٢) الباروني، الأزهار، ج2، ص98؛ والرواية الأباضية التي تقول بأن عبد الرحمن بن رستم عين سبعة نفر هم مسعود الأندلسي، وابو قدامة يزيد بن فندين اليفرني، وعمران بن مروان الأندلسي، وعبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم، وابو الموفق سعدوس بن عطية وشاكر بن صالح الكتامي ومصعب بن سدمان. حول ذلك أنظر: أبو زكريا، سير، ص 54–55؛ الدرجيني، طبقات، ج1، ص46؛ الشماخي، السير، ج1، ص154.

(٣) أبو زكريا، سير، ج1، ص89؛ وانظر: مؤنس، تاريخ المغرب، ص329.

(٤) أبو زكريا، سير، ج1، ص89.

(٥) الباروني، مختصر، ج2، ص25، ص4؛ وانظر: مؤنس، تاريخ المغرب، ص327.

(٦) الشماخي، سير، ج1، ص139–140؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ص383–384.

تاريخية بعد أن عهد النبي لأبي بكر بإمامة الصلاة، وبعد أن أوصى أبو بكر بخلافة عمر، وبعد أن حدد عمر أهل بالخلافة في ستة نفر، ثم أتى معاوية وجعل ولاية العهد لابنه يزيد، وبعد الأمويين طبق العباسيون أيضاً مبدأ الوراثة، حدث كل ذلك مع الاحتفاظ بالشكليات من حيث تطبيق مبدأ الاختيار الممثل في البيعة، ولقد انتهى الأمر باشتراط صفة القرشية في المرشح للخلافة(١).

والخوارج لم يوافقوا على مبدأ التعيين أو الوراثة، وقد طالبوا بتطبيق مبدأ الشورى أي انتخاب، والمرشح يجب أن يكون مفتوحاً أمام الجميع، وليس مقتصراً على طبقة معينة دون أي تفرقة عنصرية، حتى أجازوا إمامة العبد الأسود طالما يتمتع بالأهلية(٢).

وهذا يعني أن الأصل السياسي عند الخوارج هو تطبيق مبدأ الجمهورية التي تكون السلطة العليا فيها للشعب جميعاً دون تمييز(٣).

أما المبدأ الآخر فهو أنه لا قبيلة له إذا منعه أي تغير عن طريق الحكم، فهو شرط أساس يتنافى مع نظرية العصبية التي تقوم عليها الدولة(٤).

ومبدأ عدم استناد الإمام إلى قبيلة أو عصبية يهدف إلى دفع ما يمكن أن تتعرض له الجماعة الأباضية من الاستبداد، كما يطمح إلى تحقيق الإمامة، أو الحكومة المثالية التي يكون العدل عصبيتها.

نلاحظ ممَّا سبق ما يلي:

أولاً : أنَّ المذهب الأباضي يسمح كما ذكرت بوجود إمامين في آن واحد إذا كانت الجماعة منقسمة جغرافياً (أي إذا كان كل إمام في بلد يبعد عن بلد الإمام الآخر) أحدهما بعيد عن الآخر، ويحول بينهما عدو يخاف شره، ومن هنا فإننا نرى في كثير من الأحيان أنه كان لأباضية المغرب إمام في تاهرت وإمام في جبل نفوسة، ومع أن كل منهما لم يعترف بالآخر في كثير من الأحيان، وعلى الرغم من وقوع الحروب بينهم فإن أباضية تاهرت واباضية جبل نفوسة كان يتحدون ضد أي عدو مخالف للمذهب(٥).

ثانياً : إن الخلافات المذهبية بين الخوارج كانت ذات أثر مباشر في إضعاف جماعتهم، فإذا وقع انقسام فإن ذلك يعني انقسام القوة العسكرية، وضعف الإمامة عموماً من الناحية العسكرية، فلم تكن لدى الإمام قوة من الجند خاصة به وبأهل بيته ينفق عليها من بين المال، وإنما كان الإمام يعتمد على رجل الجماعة أنفسهم، فإذا انقسمت الجماعة في تاهرت إلى وهبية ونكارية فإن ذلك يعني أن القوة العسكرية العامة للأمة قد وهنت، وعلى الرغم من أن النكارية قد خسروا المعركة وقتل رئيسهم يزيد بن فندين فإن فرقتهم لم تتلاش، وظلت تمثل

---

(١) زغلول، تاريخ المغرب، ص384-385.

(٢) زغلول، تاريخ المغرب، ص385.

(٣) المرجع نفسه، ص385.

(٤) المرجع نفسه، ص385؛ مؤنس، تاريخ المغرب، ص325-328.

(٥) الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم،الملل والنحل، (د.مط)، بيروت، 1948م، ص67؛ وانظر: ابن أبي الضياف، أحمد، اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وأهل الأمان، تح لجنة من كتاب الدولة للشؤون الثقافية والأخبار، الدار التونسية، تونس، 1976م، ص6؛ مؤنس، تاريخ المغرب، ص 329؛ دائرة المعارف الإسلامية، م10، دار الفكر: دمشق، (د.ت)، ص93—95.

الاتجاه الأصفى بحسب المبادئ التي نادى بها الأباضية، فهم ينكرون الوراثة، وقد ظل النكارية يمثلون الاتجاه الخاص للأباضية المغربية، حتى بعد زوال الدولة الرستمية(١).

▪ موقف السكان المحليين من الدولة الرستمية:

كان من ضمن سكان المغرب الأوسط في عهد الدولة الرستمية الفئات السكانية التالية:

اعتنق البربر الأباضية والصفرية بعدما جاء دعاتهما إلى المغرب، حيث استطاعوا أن يحققوا نجاحاً باهراً في نشر دعوتيهما، ووجدوا في مبادئهما ما يطابق ميولهما، إذ أنهما جاءوا في فترة حساسة جداً، والبربر قد ضاقوا ذرعاً بحكم الولاة الأمويين وجورهم(٢).

وقد عرف المغرب عدة ثورات قبل عام 160هـ، أي قبل بناء مدينة تاهرت على يد عبد الرحمن بن رستم مؤسس الدولة، وكان أهمها الثورة الأولى سنة 122هـ، وكانت ثورة بربرية حضرية وهي ثورة البربر في المغرب، إذ خرج ميسرة المدغري، وقام على عمر بن عبد الله المرادي بطنجة فقتله، وثارت البربر كلها مع ميسرة، ثم خلف ميسرة على طنجة عبد الأعلى بن حديج وزحف إلى السوس حيث قتل اسماعيل بن عبيد الله بن الحجاب فقتله، وانتهت الثورة بمقتل ميسرة المدغري(٣).

والأباضية كانوا ينتشرون من المغرب الأدنى إلى المغرب الأوسط، ولذلك فإن قبائل نفوسة، وهوارة، ولماية، وزناتة، وسدراتة، ولواته اعتنقت الأباضية(٤).

وقد استفاد الأباضية من انقاذ القيروان من الصفرية وقائدهم عاصم بن جميل ونصب حمايتهم المؤقتة عليها، وقد ارتاج الناس في افريقية كلها، وأسلموا القيادة لأبي الخطاب وابن رستم، وتأكدت تبعية افريقية لأبي الخطاب، بعد هزيمة أبي الأحوص العجلي في مغمداس وهو الذي كلف من قبل محمد بن الأشعث عامل مصر بإقرار الأمن والنظام والأمن في افريقية(٥).

وفي سنة 144هـ انهزم الأباضية وقتل كثيرٌ من قادتهم وفرسانهم] وفي مقدمتهم أبو الخطاب إذ أن جيش أبي الخطاب قد اختلّ، وضعفت سلطته بسبب بعض النزاعات القبلية في جيشه بسبب التنازع بين قبيلتي هوارة وزناته، واتهام الأخيرة لأبي الخطاب بإثاره وميله للأولى(٦).

وكانت هزيمة سرت ذات تأثير سيئ على الأباضية، وبسبب قتل إمامهم وقائدهم الذي أكسبهم سمعة حسنة بالتزامه للحق، والعدل، ونصرته للدين، ولذلك قرر الأباضية الثأر،

---

(١) ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص 10؛ الدرجيني، طبقات، ص 42؛ وانظر: مؤنس، تاريخ المغرب، ص330.

(٢) مؤنس، فجر الأندلس، ص144.

(٣) ابن عذاري، البيان، ج1، ص52-53.

(٤) ابن خلدون، العبر، ج 6، ص46؛ إسماعيل، الخوارج، ص 41-44؛ خليفات، عوض، نشأة الحركة الأباضية، الجامعة الأردنية، عمان، 1978م، ص136.

(٥) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص72-73؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص57؛ وانظر: زكار، الدولة الرستمية، ص 74-75.

(٦) ابن عذاري، البيان، ص 72؛ وانظر: زكار، الدولة الرستمية، ص 74-75.

وكانت ثورة أبي هريرة الزناتي التي أخمدها محمد بن الأشعث، والذي تتبع المخالفين سنة 146هـ في ودان وزويلة [١].

ولمّا وقعت هذه الهزيمة بالأباضية، تشتتوا في البلاد، والتجأوا إلى الجبال، يتحصنون بها، لأن ابن الأشعث لم يكتف بمعركة (تاورغا) وما آلت إليه الأباضية من ضعف، وإنما تمادى في ملاحقتهم، وقتل خلقاً كثيراً منهم[٢].

ولمّا علم عبد الرحمن بن رستم بانهزام إخوانه، ووفاة أبي الخطاب وهو في طريقه من القيروان إلى (تاورغا)[٣]، وذلك لمساعدته، وتقديم العون له ولى راجعاً، وتفرق عنه أصحابه بقابس، ودخل القيروان، فوجدها قد كفرت، إذ بايع أهلها عمر بن عثمان القرشي على أنفسهم فلم يجد إلا اتجاهاً واحداً أمامه، وهو الاتجاه نحو المغرب الأوسط أولى خطوات تأسيس الدولة الرستمية[٤].

وتشيرُ المصادر الأباضية أن عبد الرحمن لمّا خرج من القيروان اتجه إلى موضع تاهرت، حيث قبيلة لماية، فنزل عندهم لحلف قديم بينه وبينهم[٥].

إلا أنَّ البكري يقول: أن موضع تاهرت كان لقوم مستضعفين من مزاتة وصنهاجة [٦]، فعبد الرحمن بن رستم لم يقصد موضع تاهرت إلا سنة 153هـ، وبعد ذلك بأعوام، فبعد أن حوصر في جبل سوفجج حسب الروايات الأباضية خرج من الحصار منتصراً، إذ بقي هناك بين القبائل البربرية الأباضية، لقلة أخبار أصحابه في المغرب الأدنى إذ احتج عليه من أهل الفضل، والعلم، والصلاح، وارتحل إلى جهة تاهرت[٧].

ولمّا وقع حصار طبنة سنة 151هـ إذ حاصر الخوارج الصفرية والأباضية عمر بن حفص الذي ولاه المنصور على افريقية، والذي شارك فيه ابن رستم، ورجع إلى الجبل نفسه بعد هزيمته في تهودا سنة 153هـ، وفي سنة 155هـ انهزم أبو حاتم، وقتل معه جمع غفير من أصحابه قتلهم يزيد بن حاتم الذي قدم من المشرق بجيش كبير، ولم يكتف بمقتلهم بل ظلّ يلاحقهم، ولا شك أن أعداداً كبيرة التحقت بالمغرب الأوسط حيث عبد الرحمن بن رستم[٨].

ففي هذه الفترة بالذات، ولمّا كثرت الأباضية من المغربين الأدنى والأوسط، وتمركزوا في نقطة واحدة، والتقاء السكان المعتنقين للمذهب الأباضي حول شخصية عبدالرحمن بن رستم رأوا ضرورة بناء مدينة تكون مركزاً للحكم[٩].

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص151؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص72.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج1، ص72–73؛ الشماخي، سير، ص132–133.

(٣) ابن خلدون، العبر، ج6، ص247.

(٤) أبو زكريا، سير، ص75؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص72؛ الدرجيني، طبقات، ج1، ص35.

(٥) ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 246–250؛ وانظر: دبوز، تاريخ المغرب، ج 3، ص 253–255؛ الجعبيري، فرحات، نظام العزابة عند الأباضية الوهبية في جربة، تونس، 1975م، ص43.

(٦) البكريّ، المغرب، ص 68.

(٧) الباروني، الأزهار، ج2، ص4.

(٨) ابو زكريا، سير، ص52؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص79؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص42–43.

(٩) ابو زكريا، سير، ص 85–86؛ الدرجيني، طبقات، ج 1، ص41؛ الشماخي، السير، ص 139؛ وانظر: إسماعيل، الخوارج، ص256.

وقد اختار عبد الرحمن بن رستم هذا الموقع (تاهرت)، لكي يستطيع التحكم بالسكان ومنهم القبائل البدوية الصحراوية بحيث لا يمكنها من الهروب منه[١]، وأصبحت عاصمة الدولة الرستمية ملتقى الأباضية من المغرب العربي كله[٢].

وبعد مبايعة عبد الرحمن بن رستم بالإمامة، أصبحت الدولة الأباضية يستظل بها جميع القبائل المعتنقة لهذا المذهب من المغربين الأدنى والأوسط، وتعدّ الدولة الرستمية ثمرة جهود علماء المذهب الأباضي في المشرق والمغرب، وتتويجاً لثورات الأباضية ضد الولاة الأمويين والعباسيين في المغرب العربي[٣].

ثمَّ توجه غرباً ليصل (أرض نفوسة وهم قوم عجم الألسن، أباضية كلهم، له رئيس يقال له الياس، لا يخرجون عن أمره، ورئيسهم هو عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم)[٤].

إلا أنَّ ابن حوقل (ت397هـ) يقول: (فأما أهل قسطيلية، وقفصة، ونفطة، والحامة وسماطة، وبشرى، وأهل جبل نفوسة، فشراه إما أباضية، أو وهبية)[٥].

وهكذا تكون هذه المنطقة امتداداً طبيعياً يضمن الصلة بين جبل نفوسة وتاهرت[٦].

ويصور لنا اليعقوبي المغرب الأوسط بأنه منقسم إلى زعامات قبلية، ومذهبية مختلفة، فمدينة تاهرت، والتي تسمى (عراق المغرب) فإن بها قوماً من الفرس، يقال لهم بنو محمد بن أفلح بن عبد الوهاب، فهم رؤساء أباضية المغرب[٧].

أمَّا في عهد عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (168-198هـ) إذ أن ولايته تمت بعد شهر من موت والده، ولكن المعارضين، وعلى رأسهم يزيد بن فندين أحد المرشحين الذين نازعوه في أن يكون له السلطان المطلق، وطلبوا منه ألا يبرم أمراً دون مشورة، وكان رد عبد الوهاب أنه (لا شرط للإمامة إلا الحكم بالكتاب والسنة وآثار الصالحين قبله)، ولم يقف الاختلاف الفقهي الدستوري عند المطالبة بعدم الاستبداد بالأمور، بل اتسع عندما شك المعارضون في صحة استمرار عبد الوهاب في الإمامة، بحجة عدم جواز إمامة الحاكم إذا وجد من هو أعلم منه[٨].

وكانت سياسة عبد الوهاب أو طريقته في الحكم تقوم على مبدأ إقصاء الراغبين في الولاية، وتقديم من ليست له رغبة بها من أهل الخير، وتأخير الراغبين فيها عملت على

---

(١) أبو زكريا، السير، ص 85-86؛ وانظر: دائرة المعارف الإسلامية، ج4، ص255.

(٢) ابن الصغير، سيرة الأئمة، ص 16؛ أبو زكريا، السير، ص 88؛ الدرجيني، طبقات، ج1، ص40-41؛ الشماخي، سير، ص139؛ وانظر: الباروني، الأزهار، ج2، ص101.

(٣) الكعاك، عثمان، موجز لتاريخ الجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، مطبعة العرب، تونس، 1925م، ص81-83.

(٤) اليعقوبي، البلدان، ص 97-98. ويتفق اليعقوبي مع المصادر الأباضية في تسمية العامل الرستمي على جبل نفوسة وهو أبو منصور الياس الذي تولى شؤون الجبل منذ عهد الإمام أفلح، وتوفي في عهد الإمام أبي حاتم (281-294هـ). أنظر: أبو زكريا، سير، ص 99؛ الدرجيني، طبقات،ج1، ص84؛ وانظر: الباروني، مختصر، ص48.

(٥) ابن حوقل، صورة الأرض، ص 96؛ والوهبية التي يذكرها أباضية لا غير. أنظرك ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص16؛ الرقيق، تاريخ المغرب، ص173.

(٦) باجية، صالح، الأباضية بالجريد في العصور الإسلامية الأولى، دار بو سلامة: تونس، تونس، 1972م، ص80.

(٧) اليعقوبي، البلدان، ص104-105؛ الكعاك، موجز، ص172.

(٨) زغلول، تاريخ المغرب، ص388-389.

اتساع الهوة بين خصومه، فزعم علماء المذهب في المشرق الذين قالوا كما قال أهل السنة وبعض المعتدلين من الشيعة، ويجوز إمامة من يوجد أعلم منه، فإن أنصار ابن فندين خرجوا من تاهرت وارتحلوا إلى الجبال والمنازل بالقرب منها، وأظهروا إنكار إمامة عبد الوهاب، ولهذا السبب أطلق عليهم اسم النكار أو النكارية كما سماهم خصومهم النكاث؛ لنكثهم بيعة الإمام، وهكذا انقسمت الأباضية إلى نكار: هم أصحاب يزيد بن فندين، والذين يعرفون بأنهم واصلية إلى معتزلة، وإلى وهبية، وهم أنصار عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم[١].

وعندما توفي الإمام عبد الوهاب سنة 198هـ/814م خلفه في الإمامة ابنه أفلح (198-247هـ) الذي اختير لصلاح أحواله، وعلمه، وشجاعته، وقد رفض أحد السكان المحليين واسمه خلف بن السمح الاعتراف به، وخرج عليه، ولم يحاربه بل اكتفى بأن كتب إلى نائبه في الناحية وهو أبو عبيدة بأن يخطفه[٢].

وهاجم خلف أبا عبيدة وأصحاب أفلح واستمرت الحرب حوالي عام، وانتهت بانهزام خلف، وانتهت الواقعة الحاسمة في جبل نفوسة بانتصار ممثل الإمام وأصحابه في 13رجب سنة 221هـ/4يوليو(تموز)836م[٣].

ورغم الانقسامات التي أصابت مدينة تاهرت منذ نشأتها إلا أنها بقيت في أسرة بني رستم، وعقب وفاة أفلح سنة 358هـ، ولي ابنه أبو بكر (258-261هـ) واختلفت الأمور كما يقول ابن عذاري وآخر من خرج من تاهرت، ثم عاد إليها، ومات فيها[٤].

وولي الإمامة بعده أخوه أبو اليقظان محمد بن أفلح إلى وفاته سنة 281هـ، وولى تاهرت بعده ابنه يوسف، فأقام في الإمامة عاماً، ثم اختلف عليه الناس، واضطرب أمره، فخرج ولجأ على حصن ولاته، ودارت بينه وبن أهل تاهرت حروب شديدة، قادها عمه يعقوب بن أفلح الذي أقام والياً أربعة أعوام ثم خلعوه، وقدم يوسف بن ابي يقظان تاهرت، واستتبت له الأمور، ولكن بعد ست سنوات قتله بنو أخيه سنة 294هـ، ثم ولي الإمامة يقظان بن أبي اليقظان وانتهى الأمر بقتله على يدي الداعية الشيعيّ مع جماعة من أهل بيته، وذلك في شوال سنة 296هـ، وانقطع ملك بني رستم من تاهرت[٥].

وفي ولاية يعقوب بن أفلح الذي حاول إصلاح ما فسد زمن سلفه في السلطة والإدارة/ ولكنه فشل، غير أن قبيلة كتامة التي يقودها الفارس عبدالله الصوفي هاجمت سنة 297هـ مدينة تاهرت واحتلتها، واضطر الإمام إلى ترك مدينتهم والتجأوا إلى واحات (وارغلا) الحاميات الطبيعية لجبل نفوسه، وفي هذه الأثناء وصل الزحف الفاطمي للمغرب[٦].

ومهما يكن من أمر، فإن الدولة العباسية كانت تحاول استغلال أي فرصة للسيطرة على افريقية والمغرب التابعة لها ودحر شوكة الدول التي تحاول الاستقلال، إذ كانت نهاية الإمامة

(١) الشماخي، سير، ص145؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ص389-390.
(٢) الشماخي، سير، ص183.
(٣) الشماخي، السير، ص183.
(٤) ابن عذاري، البيان، ج1، ص197.
(٥) المصدر نفسه، ج1، ص197.
(٦) المصدر نفسه، ج1، ص197.

الأباضية الثانية على أيدي العباسيين عام (280هـ/893م) بينما كانت نهاية الدولة الرستمية على يد أبي عبدالله الشيعيّ عام (296هـ/908م)(١).

والخلاصة أن الأئمة الرستميين استطاعوا بفضل بساطتهم وعلمهم، وبفضل من أحاط بهم من المخلصين أن يكتسبوا ثقة السكان المحليين من خلال الثورات التي قاموا بها أن يقيموا لهم دولة معادية للدولة العباسية، ومستقلة عنهم، إذ استمرت دولتهم ما يقارب مائة وخمسين سنة أي من 161-296هـ/761-909م (٢).

وفي عام 296هـ/909م، فتح الفاطميون افريقية، فقتل يقظان بن أبي اليقظان بن رستم مع جماعة من أهل بيته، وبذلك انهارت دولة بني رستم في تاهرت(٣).

- **موقف الدولة العباسية من الدولة الرستميـــــة:**

لما قامت الدولة العباسية سنة 132هـ استمر الأباضيون على نشاطهم الذي وجد تشجيعاً، بل ورعاية من بعض الشخصيات البارزة في الدولة الجديدة، وفي مقدمتهم عمة الخليفة المهدي وزوجها عبدالله بن الربيع الذي اعتنق المذهب الأباضي(٤).

وفي سنة 140هـ/757م بايع الأباضيون الإمام أبا الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري خارج مدينة طرابلس ثم داخل المدينة بلا حرب، وأصبحت طرابلس وافريقية تحت سيطرته(٥).

وكان أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري، من رجالات العرب، وكان على رأي الأباضية، ويحمل فكرهم، وكانت ورفجومة قد عاثت في افريقية فساداً، فامتعض من تصرفاتهم، وأعمالهم الشنيعة، وهزمهم في القيروان، وقتل عبد الملك بن أبي الجعد قائدهم سنة 141هـ(٦).

وهكذا، فقد استولى أبو الخطاب على القيروان، ورجع إلى طرابلس حيث ولي على القيروان عبد الرحمن بن رستم _أحد أبناء رستم أمير الفرس يوم القادسية_ وذهب أبو الأعلى المعافري لملاقاة جيوش الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور، التي أرادت إخراجه من افريقية(٧).

---

(١) أبو زكريا، سير الأئمة، ص 168؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 132-133؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص197؛ وانظر: امبو سعيدي، عبدالله بن سعود بن حمد، عُمان في عصر الإمامة الثانية، 177-280هـ/793-893م، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف أ.د محمد عيسى صالحية، جامعة اليرموك، إربد، الأردن 1995، ص 186.

(٢) أبو زكريا، السير، ج 1، ص165-166؛ ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص197؛ وانظر: خطاب، قادة فتح، 2002م، ص218.

(٣) أبو زكريا، السير، ج 1، ص165-166؛ ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص197؛ وانظر: خطاب، المغرب العربي، ص218.

(٤) أبو زكريا، سير، ص31؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص123.

(٥) أبو زكريا، سير، ص31؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص123.

(٦) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص123.

(٧) أبو زكريا، سير، ج 1، ص 31؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 71؛ الناصريّ، الاسستقصا، ج 1، ص123.

وقد حدثت معركة بين قوات ابن الأشعث وأبو الخطاب، وكان أبي جعفر المنصور قد كتب إلى ابن الأشعث بالخروج إلى افريقية، ومحاربة أبو الخطاب(١).
وقد هزم ابن الأشعث أبا الخطاب في هذه المعركة، وقتله وقطع رأسه وبعث به إلى الخلافة العباسية ببغداد(٢).

ولمّا علم عبد الرحمن بن رستم بما حدث لأبي الخطاب، أخذ أهله، ولحق بأباضية المغرب، ونزل على قبيلة لماية (بطن من بطون بني فاتن بن تامصيت من البربر البتر) إذ كان حلف بينه وبينهم(٣).

وقد تبعت جيوش ابن الأشعث عبد الرحمن بن رستم الذي تحصن في جبل يقال له(سوفجج)، ولكن الجدري أصاب جيش بن الأشعث، فارتحل إلى القيروان بعد أن يئس من القبض على عبد الرحمن بن رستم(٤).

وبهذا فإن جيوش ابن الأشعث والدولة العباسية، لم تستطع القبض على عبد الرحمن بن رستم الذي يعدّ بحق مؤسس الدولة الرستمية في تاهرت، وهذا يعني أن المذهب الأباضي سينتشر في المغرب(٥).

وفي سنة 160هـ بويع عبد الرحمن بن رستم بالخلافة فتولاها، حيث كانت هناك اتصالات بينه وبين الأباضيين في البصرة لجمع الأموال لبناء تاهرت عاصمة الأباضية في المغرب(٦).

وقد قام عبد الرحمن بن رستم ببناء مدينة تاهرت حتى تكون مركزاً سياسياً لحكم بني رستم فيما بعد(٧).

وكان بناء مدينة تاهرت، وجعلها مركزاً لتجمع المذهب الأباضي، ومدينة متوارثة لحكم بني رستم هو ضربة في الصميم للدولة العباسية التي أرادت أن تكون افريقية والمغرب على مذهب أهل السنة.

وكان عبد الرحمن بن رستم على علم ودراية بأن الدولة العباسية ستقوم بملاحقة ومقاتلة أصحابه من أتباع المذهب الأباضي، ولذلك فإنه قال عندما شرع ببناء مدينة تاهرت (هذا بلد لا يفارقه سفك دم ولا حرب أبداً)(٨).

وكانت دولة بني الأغلب (حليفة الدولة العباسية) تقع على الحدود الجنوبية الغربية لدولة بني رستم(٩).

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص71؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص128؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج 24، ص40.
(٢) أبو زكريا، سير، ص68-69؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص72.
(٣) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص128.
(٤) أبو زكريا، سير، ص77؛ وانظر: خطاب، قادة فتح، ص218.
(٥) ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص32-33؛ أبو زكريا، سير، ص77.
(٦) ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص32-33؛ أبو زكريا، سير، ص77.
(٧) ابن عذاري، البيان، ج1، ص196؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص128.
(٨) البكريّ، المسالك، ج2، ص736.
(٩) البكريّ، المغرب، ص68؛ الدرجيني، طبقات، ج 1، ص19؛ ابن خلدون، العبر، ج 4، ص192-193؛ وانظر: جوليان، شارل آندري، تاريخ افريقية الشمالية (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى) من البدء إلى الفتح الإسلامي، ترجمة محمد مزالي والبشر بن سلامة، الدار التونسية، تونس، 1968م، ص39-40.

وكان العداء بين الدولة الرستمية ودولة الأغالبة ــ حليفة الدولة العباسية سياسياً ومذهبيا ــ ذلك لأن الخوارج يعدون مخالفيهم من الكفار[١].

وقد بويع عبد الرحمن بن رستم بالإمامة، وقام بكل محاولة للقضاء على الفوضى والاضطرابات في المغرب الأوسط والأدنى، وأنقذ البلاد من الثورات المتعاقبة، وطبق مبدأ العدل بين الناس[٢]، وكان عبد الرحمن بن رستم قد أرسل بعثة من تاهرت إلى قرطبة إلى بني أمية في الأندلس محاولة منه للتحالف مع أعداء العباسيين[٣].

وكان أباضية المشرق ينظرون لعبد الرحمن بن رستم وعدله ومساواته بأنه منقذهم الذي سيملك المشرق ويملؤه عدلاً[٤].

وكانوا يترقبون اليوم الذي يقتحم فيه عبد الرحمن بن رستم إمام المغرب حدود المشرق ليعلن الخلافة الإسلامية من المنظور الأباضي[٥].

وكان أباضية البصرة يرسلون الأموال إلى عبد الرحمن بن رستم لدعم الدعوة الرستمية والدولة الأباضية في المغرب الأوسط، إلا أن عبد الرحمن بن رستم رفض تلك الأموال[٦] ذلك لأن أهلها في المشرق أحوج منه إليها حتى يقاوموا بها الفقر، وتكون لهم عوناً في مواجهة الدولة العباسية وولاتها[٧]، ورفض عبد الرحمن بن رستم لتلك الأموال أكسبته ثقة الأباضية في المشرق الذين ازدادوا تعظيماً له، ووصل بهم الأمر إلى الرغبة في فرض إمامته عليهم، أي أن إمامته أصبحت فرضاً عليهم[٨].

وحقاً، فقد استطاع عبد الرحمن بن رستم قبل موته من تهيئة كل أسباب الاستقرار الاقتصادي والسياسي والمذهبي لدولته[٩].

يقول ابن الصغير:(ليس أحد ينزل من الغرباء إلا استوطن معهم ((الرستميون))، وابتنى بين أظهرهم، كما يرى من رضاء البلد وحسن سيرة إمامه وعدله في رعيته، وامانه على نفسه وماله، حتى لا ترى داراً إلا قيل هذا لفلان الكوفي، وهذه لفلان البصري، وهذه لفلان القروي، وهذا مسجد القرويين، وهذا مسجد البصريين، وهذا مسجد الكوفيين)[١٠].

ويقول ابن الصغير: (وانه لمّا وصل المال، واشتروا للقوم الكراع والسلاح وقوي الضعيف، وانتعش الفقير، وحسنت أحوالهم، وضافهم جميع من اتصل به خبرهم، وأمنوا ممن كان يغزوهم، ورأوا أنهم قادرون على غيرهم، ومن كانوا يخافون أن يغزوهم) [١١]، وهذه

---

(١) البكريّ، المغرب، ص68؛ الدرجيني، طبقات، ج1، ص19.

(٢) ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص32؛ وانظر: المدني، توفيق، مدخل لدراسة الدولة الرستمية واسهامها في التطور الفكري والحضاري، محاضرة ألقيت في الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي المنعقد في بوارجلان، مطبوعات ملتقى الفكر الإسلامي، الجزائر، الجزائر، 1977م، ص1.

(٣) ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص32–33؛ وانظر: وفيقة، نشوء الدويلات، ص18.

(٤) ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص10.

(٥) الكعاك، موجز، ص189.

(٦) الكعاك، موجز، ص189.

(٧) المصدر نفسه، ص15.

(٨) المصدر نفسه، ص15.

(٩) ابن الصغير، ص36.

(١٠) المصدر نفسه، ص36.

(١١) المصدر نفسه، ص36.

إشارة إلى أعداء الدولة الرستمية الأباضية ومنهم الدولة العباسية التي كانت معارضة للدولة الرستمية، ودولة مستقلة عن الدولة العباسية.

ولمّا أحس عبد الرحمن بن رستم باقتراب أجله اقتدى بعمر بن الخطاب (رض) فصمم على اختيار خليفته عن طريق انتهاج أسلوب الشورى، باختيار سبعة من أهل الثقة لاختيار واحد منهم(١).

وتم مبايعة عبد الوهاب بن رستم بعد شهرين من المشاورات، إذ تم مبايعته مبايعة عامة(٢).

وقد انقسمت الأباضية عندما خلف عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم سنة 168هـ/784-785م، فأنكر البعض أن يرث عبد الوهاب والده في الرئاسة، ولهذا السبب أطلق عليهم اسم النكار أو النكارية، بينما تمسكت الغالبية بصحة إمامة عبد الوهاب على أساس اختيار الأفضل (مجلس الحل والعقد)(٣).

وفي سنة 171هـ/787م بلغ هارون الرشيد وفاة يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة والي افريقية، فولى الرشيد اخاه روح بن حاتم، وكان أكبر من يزيد سناً. وكانت افريقية في عهده هادئة وآمنة. وقد خافه البربر، ورغب في مهادنة عبد الوهاب بن رستم لتأمين جانب الرستميين(٤).

وكان أخوه يزيد قد أكثر القتل في الخوارج بافريقيا، ولما استعمل المنصور يزيد بن حاتم على افريقيا استعمل أخاه روحاً بن حاتم على بلاد السند، فكان روح أشهر بالشرق من يزيد ويزيد أشهر بالغرب من روح، لطول مدة ولايته، ومقاتلة الخارجين عليه(٥).

وامتدت الدولة الرستمية امتداداً واسعاً من أحواز طرابلس وجبل نفوسة شرقاً إلى تلمسان غرباً وإلى أعماق الصحراء جنوباً، وأدى بها هذا الامتداد إلى أن يصير لإقليم طرابلس قدر من الاستقلال في عهد الإمام عبد الوهاب، بل أن بعض ولاته صاروا يختارون من قبل رعيتهم، وتلقبوا بالإمامة، وهو ما يجيزه المذهب الأباضي، الذي يسمح بوجود إمامين في آن واحد في مكانين متباعدين(٦).

ولما قامت دولة بني الأغلب ـــ حلفاء العباسيين في القيروان ـــ بدأ أمراؤها ينازعون الرستميين في أملاكهم بنفوسة، فلما استغاثت قبيلة هوارة بالإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم سنة 196هـ ضد أبي العباس عبدالله بن إبراهيم بن الأغلب، وقد زحف عبدالوهاب بحشود كبيرة من بربر نفوسه، وحاصر طرابلس، فاضطر ابن الأغلب على مهادنته على ان

---

(١) أبو زكريا، سيرة الأئمة، ص 88-89؛ الدرجيني، طبقات، ج 1، ص46؛ الشماخي، السير، ص 154؛ وانظر: كحيلة، المغرب، ص54.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج1، ص197؛ أبو زكريا، سيرة الأئمة، ص89؛ الدرجيني، طبقات، ج1، ص46-47.

(٣) الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية، ص 173؛ ابن الأثير، الكامل، ج 5، ص84-85؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص48.

(٤) الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية، ص 173؛ ابن الأثير، الكامل، ج 5، ص84-85؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص48.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص85.

(٦) كحيلة، المغرب، ص55.

يحتفظ الأغالبة بمدينة طرابلس والساحل، بينما يضع الرستميون أيديهم على ضواحي طرابلس(١).

ومع أن حدود الدولة الرستمية كانت تتداخل مع حدود الدولة الأغالبية المتجاورة لها، ما أدى في بعض الأحيان إلى صدامات دامية، إلا أن الرستميين نجحوا في أن يخرجوا من هذه الصدامات وهم أكثر قوة ومنعة (٢).

وفي عهد عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ازدهر المغرب، واجتمع له من أمر الأباضية مالم يجتمع للأباضية قبله، وكثرت جيوشه، وكلمة الناس واحدة في عهده، لا خارج ولا معارض له، ولا ثائر عليه(٣).

وبعد وفاة عبد الوهاب بن عبدالرحمن بن رستم سنة 188هـ، تولى الإمامة بعده أفلح بن عبد الوهاب(٤).

وكان أفلح قد دربه والده عبد الوهاب على أن يكون خليفته، وذلك عندما انتقل عبد الوهاب إلى جبل نفوسة وأقام به سبع سنوات، وكان يقصد عبد الوهاب الذهاب إلى الحج، إلا أن أهل نفوسة منعوه من ذلك خوفاً عليه من العباسيين، إذ قالوا له: (يا أمير المؤمنين لسنا ندعك مخافة عليك من المسوّدة (العباسيين) أن يأخذوك ويحبسوك فتعطل أمور المسلمين وحدود الله وأحكامه(٥).

ولم يترك عبد الوهاب مدينة تاهرت إلا بعد أن أمن عليها ابنه أفلح، الذي تأكد فعلاً أنه قادر على حمايتها، وعلاوة على ذلك فإنه قد أظهر في إحدى المعارك البلاء الحسن، والقدرة والخبرة العاليتين والمهارة الفائقة(٦).

وكان الإمام عبد الوهاب قد أرسل إلى أهل الدعوة في المشرق يستفتيهم في مسألة الذهاب إلى الحج أو الإقامة في جبل نفوسة، وقد وصلت الكتب إلى أهل الدعوة في المشرق وعلى رأسهم الربيع بن حبيب، وابن عباد إذ أجابه الربيع (من كان مثلك في العناء في أمور المسلمين، وتحمل أمانتهم وخاف على نفسه من المسودة (العباسيين) أن يبعث وهو حي) وقال ابن عباد: (من كان على هذه الصفة المذكورة من العناء في أمور المسلمين فليس عليه حج لأن أمان الطريق من الشروط التي يجب بها الحج على من استطاعه)(٧).

وكان أمراء الدولة الرستمية يخافون على أنفسهم من فتك الدولة العباسية بهم، لأنهم كانوا يسعون إلى الاستقلال بأمور دولتهم، ذلك لأن الدولة العباسية وباستمرار كانت ترسل العيون وتستطلع أخبار الدولة الرستمية من خلال حلفائهم في افريقية وهم الأغالبة الذين كانوا على درجة عالية من الولاء والارتباط بالدولة العباسية.

---

(١) ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص 45؛ ابن الأثير، الكامل، ج 5، ص 157؛ ابن خلدون العبر، ج 4، ص421؛ الباروني، الأزهار، ص145.

(٢) كحيلة، المغرب، ص55.

(٣) ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص45.

(٤) ابن عذاري، البيان، ج1، ص197.

(٥) أبو زكريا، السير، ص116؛ وانظر: بحاز، الدولة الرستمية، ص118.

(٦) ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص55.

(٧) أبو زكريا، سير، ص116.

وكان عبد الوهاب بن عبد الرحمن عندما حاصر وجموعه طرابلس، كان بينه وبين أهل طرابلس قتال شديد، كان إذا قيل له انهزم (المسلمون) انقبض وجهه وتعبس، وإذا قالوا انهزمت (المسودة) أي العباسيين انشرح وجهه وتبسم(١).

وإن دلّ ذلك على شيء فإنما يدل على مدى العداء المستحكم بين الدولة الرستمية المستقلة والدولة العباسية، سار الإمام أفلح بن عبد الوهاب على نهج والده في سياسته وبخاصة مع مناوئيه من الأباضية وأعدائه العباسيين(٢).

والأدلّ على ذلك أن خلف بن السمح أحد الأباضيين استنكر ولاية أفلح عبد الوهاب، فاستشار أبا عبيدة بن عبد الحميد _وهو أحد رجال الإمام أفلح_ بواجب الدفاع، فأمره أفلح باستخدام اللطف واللين، إذ أن خلف بن السمح قد أقام في موضع يقال له (تيمتي)، فكان خلف بن السمح يقوم بالغارات المتواصلة على رجال الإمام أفلح، ويسفك الدماء، ويسلب الأموال(٣).

وكان أبو عبيدة لا يحبذ إراقة الدماء بين أتباع المذهب الأباضي ولكنه قال: (ما أعظم إراقة الدماء أم الترك للقيام بدين الله تعالى)، فقال له أحدهم: (إراقة الدماء أعظم، فقال لهما أبو عبيدة: لو كان الأمر على إراقة الدماء لافترق أصحاب النهر وغيرهم، ولأذعنوا بطاعة الظلمة المسودة (العباسيين))(٤).

أي أن الأمر أعظم من إراقة الدماء، وأعظم بكثير من إطاعة العباسيين الذين وصفهم بالظلمة والمستبدين، لأن الأمر يتعلق بمستقبل دولة كاملة بكل ما فيها من أرض حاكم ومحكوم.

وعندما بنى الأغالبة ــ حلفاء العباسيين ــ مدينة لهم بالقرب من تاهرت سنة 239هــ، واطلقوا عليها اسم العباسية، تيمناً بالخلافة العباسية، قام الإمام أفلح بن عبد الوهاب بعد أن كمل بناؤها بتدمير العباسية عن بكرة أبيها، وأخبر الأمويين في الأندلس بذلك، وقد كافأ الأمويون الإمام أفلح بإرسال مائة ألف درهم تقديراً لجهوده في مواجهة عدوهم المشترك(٥).

وكان من الطبيعي أن يقوم الأمويون بمكافأة الدولة الرستمية على ما قاموا به من حرق للعباسية ذلك لاتحادهم في مواجهة عدوهم العباسيين وحلفائهم بني الأغلب.

وفي سنة 258هــ توفي الإمام أفلح بن عبد الوهاب، وترك الدولة لابنه أبي بكر بن أفلح بن عبد الوهاب(٦).

وفي عهد أبي بكر بن أفلح قامت فتنة ابن عرقه، ذلك أنه قبل أن يتوفى الإمام أفلح قدّم ابنه أبا بكر للناس ليكون إمامهم، وكان في تاهرت رجل يعرف بمحمد بن عرفه، وكان ذا ثروة طائلة وكانت زوجة الإمام أبي بكر بن أفلح وهي أخت محمد بن عرفه، وكان الحاكم الفعلي للدولة الرستمية هو محمد بن عرفة، إذ كانت الإمامة رسمياً لأبي بكر بن أفلح وفعلياً

---

(١) أبو زكريا، سير، ص116.
(٢) أبو زكريا، سير، ص129-130؛ وانظر: الباروني، الأزهار، ج2، ص277.
(٣) أبو زكريا، سير، ص129.
(٤) المصدر نفسه، ص130-132.
(٥) ابن خلدون، العبر، ج4، ص429.
(٦) ابن عذاري، البيان، ج1، ص197.

لابن عرفه[١]، وهذا يعني أن محمد بن عرفة سيستغل نسبه من الإمام أبي بكر، وسيتصرف بالدولة كما يشاء، فكل شيء في الدولة أصبح الآن بين يديه.

وكان أبو اليقظان أخو الإمام أبي بكر بن أفلح غائباً في أرض المشرق إذ أن العباسيين قد قبضوا عليه في الحج، فأخذوه وحبسوه، ثم أطلقوا سراحه، فتوجه إلى تاهرت[٢].

وعندما تأكد أبو بكر بن أفلح من أن ابن عرفه لا يريد الخير له ولدولته، أوجس منه خيفة، وقام أبو اليقظان بتحريض أخيه ابي بكر على قتل محمد بن عرفه، وفعلاً قام أبو بكر خفية ودون علم العامة بقتل محمد بن عرفة[٣].

وكان أهل تاهرت قد أخرجوا أبا بكر بن أفلح بن عبد الوهاب، ثم أعادوه إليها، وتوفي في تاهرت سنة 241هـ/855م[٤].

وتولى الإمامة بعد أبي بكر بن أفلح أخوه أبو اليقظان محمد بن أفلح (241-281هـ/855-894م) وكانت مدة ولايته سبعاً وعشرين سنة[٥].

وكانت الدولة العباسية قد أغدقت المال على أبي اليقظان عندما كان مسجوناً في سجون بغداد إذ قدم إلى تاهرت ومعه المال، فصارت الدعوة والإمامة كلها لأبي اليقظان، فتوافدت عليه الأباضية من كافة الأقطار[٦].

ويبدو أن الدولة العباسية كانت تسعى من وراء إغداق الأموال على أبي اليقظان أن يكون حليفاً لها، وأن تكون الدولة الرستمية مستقبلاً تابعة، ولو اسمياً، للدولة العباسية، وأن يكون أبو اليقظان على اتصال مباشر بالدولة العباسية كما كانت دولة الأغالبة.

إلا أن أبا اليقظان كان يعي ما يقوم به، ويعي ما تفكر به الدولة العباسية، الأمر الذي جعله يقيم علاقات الود والصداقة مع أعداء الدولة العباسية وهم أمويو الأندلس.

وفي عهد ابو اليقظان محمد بن أفلح، دامت علاقات الود والصداقة والتواصل بين تاهرت وقرطبة وكان أبو اليقظان يستشير محمد بن عبد الرحمن (الأوسط) 238-273هـ وبني مدرار في سجلماسة[٧].

وقد تعرض الأباضيون إلى ضربة قوية على يد الأمير إبراهيم بن أحمد بن الأغلب _حليف الدولة العباسية_ وذلك عند خروجه لقتال ابن عمه محمد بن زيادة الله بن الأغلب،

---

(١) ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص71-72.

(٢) ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص72-73؛ أبو زكريا، سير، ص142-143.

(٣) ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص78.

(٤) ابن عذاري، البيان، ج1، ص197؛ أبو زكريا، سير، ص143.

(٥) ابن عذاري، البيان، ج1، ص197؛ ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص85.

(٦) ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص85.

(٧) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص24.

وقد خرج إبراهيم من رقادة ومعه قوة عسكرية كبيرة، وكان من الطبيعي أن يمر من جبل نفوسة(*)(١).

وفي عهد أبو اليقظان محمد بن أفلح وبالتحديد في سنة 267هـ/876م، خرج العباس أحمد بن طولون _والي مصر من قبل العباسيين_ يريد غزو القيروان والاستقلال بحكمها عن أبيه وعن الخلافة العباسية، إذ قام بالاستيلاء على الكثير من الأموال، وحشد أعداداً كبيرة من الجند لهذا الغرض(٢).

وقد كتب العباس أحمد بن طولون إلى إبراهيم بن أحمد الأغلب يخبره أنه كتب للمعتمد الخليفة العباسي(*) يخبره بتولي حكم افريقية، ويأمره بإقامة الدعوة له، وانتهى أمره إلى حصن يعرف بلبدة(*)، ففتحه أهل له، وأطلق العباس لأصحابه نهب الحصن، وقتلوا الرجال وفضحوا النساء أو ذاع الخبر، واستغاث أهل حصن لبدة بإلياس بن منصور النفوسي رئيس الأباضية(٣).

فغضب إلياس بن منصور غضباً شديداً على تلك التصرفات الرعناء، وكان العباس قد كتب إلى إلياس بن منصور النفوسي بضرورة طاعة إلياس له، وإلا سيقوم العباس بمهاجمة لبدة، الأمر الذي دفع إلياس بن منصور إلى التوجه نحو طرابلس، وفك حصارها، وقتل الكثير من جنود إلياس، وهزمهم، وبذلك فإن إلياس بن منصور قد قدم للأغالبة مساعدة كبيرة(٤).

وقد احتدم القتال بين الأغالبة ـــ حلفاء بني العباس ـــ والرستميين، الأمر الذي أدى إلى أن حلت الكارثة بالقبائل، فانقصم ظهر الأباضيين في معركة مانو سنة 283هـ/ 896م،

(*) جبل نفوسة: جبل في المغرب بعد افريقية. وفي هذا الجبل مدينتين وهما: سروس في وسط الجبل وجادو من ناحية منطقة نفزاوة وجميع أهل هذا الجبل هم أباضية (شراة ووهبية) وهم متمردون عن طاعة السلاطين، وبين جبل نفوسة وطرابلس مسيرة ثلاثة أيام وبينه وبين القيروان ستة أيام، وعندما فتح عمرو بن العاص جبل نفوسة كان أهله من النصارى. أنظر: مجهول، الاستبصار، ص144-145؛ ياقوت، معجم البلدان، ج5، ص296-297.

(١) الدرجيني، طبقات، ج 1، ص87؛ وانظر: دبوز، تاريخ المغرب، ج 3، ص352؛ إسماعيل، محمود، الأغالبة وسياستهم الخارجية، فاس، المغرب، 1978م، ص56.

(٢) ابن سعيد، علي بن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، تح زكي محمد حسن وآخرون، جامعة فؤاد الأول، القاهرة، 1953م، ج1ي، ص120. وسيشار إليه فيما بعد: ابن سعيد، المغرب؛ وانظر: بحاز، الدولة الرستمية، ص125.

(*) المعتمد: المعتمد على الله الخليفة العباسي، وقيل أبو جعفر وهو أحمد بن المتوكل على الله بن المعتصم بن الرشيد ولد سنة 229هـ وأمه رومية واسمها فتان، توفي سنة 279هـ ، وقيل أنه سمّ وخلافته دامت ثلاث وعشرين سنة، وممن مات في أيامه الإمام البخاري، والإمام مسلم والإمام أبو داود والترمذي وابن ماجة. أنظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص340-341.

(*) لبدة: مدينة بين برقة وطرابلس، وقيل بين طرابلس وجبل نفوسة وهي مدينة على البحر المتوسط شرقي طرابلس.أنظر: ياقوت، معجم البلدان، ج5، ص10.

(٣) ابن سعيد، المغرب، ج1، ص120.

(٤) المصدر نفسه، ص123؛ وانظر: بحاز، الدولة الرستمية، ص125-126.

وكانت تلك المعركة سبباً في سقوط الدولة الرستمية [١]، إذ تقدم إبراهيم بن أحمد الأغلبي بعد ذلك إلى طرابلس، وقتل ابن عمه محمد بن زيادة الله[٢].

وكان إبراهيم بن أحمد معروفاً عنه سفك الدماء، وعلى النقيض من محمد بن زيادة الله الذي كان يتصف بالأدب وحسن التصرف والظرافة، إذ كان لمحمد بن زيادة الله عدة مؤلفات، منها: (راحة القلب) و(الزهد) و(تاريخ بني الأغلب)[٣].

وفي رواية أبي اسحق الرقيق التي يذكرها ابن الآبار في (الحلة السيراء) أن بكر بن حماد التاهرتي الأباضي كان ينعت إبراهيم بن أحمد بالطاغية، والفاسق، لأنه كان مشغولاً عن رعيته وكان يحب النساء والجواري، ولا يستطيع أحد الوصول إليه، ومن أفعاله أنه منع النبيذ في القيروان، وسمح به في رقادة[٤].

كان أباضية جبل نفوسة قد أيدت سلطة الرستميين، وكان الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن قد قال فيهم: (إنما قام هذا الدين بسيوف نفوسة، وأموال مزاته)، وقد اتصلت أباضية جبل نفوسة بالأئمة الذين عاشوا مع العباسيين، وكان ذلك على عهد المتوكل (ثاني الخلفاء العباسيين)[٥].

فلما تداركت الكتب إلى الخليفة العباسي المتوكل أنفذ إلى المغرب عسكراً، وجعل إبراهيم ابن أحمد بن الأغلب، فسار إبراهيم بعسكره نحو المغرب، فلما قرّب من طرابلس سمعت بخبره نفوسة وعزموا ألاّ يتركوه، لأنه يريد الوصول إلى تاهرت[٦].

فلمّا رأى إبراهيم تصميم أباضية جبل نفوسة على ذلك أراد قتالهم، وتهيأ لذلك إذ قال لأصحابه: (خذوا عدتكم، وشمّروا على أنفسكم، وجاوزوا البحر، ولا تتعرضوا لهؤلاء القوم (أباضية جبل نفوسة)، فإنهم تركونا وطريقنا، وإلا ناصبناهم (أي استعددنا لقتالهم) [٧]، لكن أباضية جبل نفوسة قتلوه في معركة مانو [٨]، فطلب رجل من العباسيين المبارزة فخرج أفلح بن العباس، ولكن أصحابه رفضوا مبارزته، ولكن أفلح بارز الرجل العباسي وقتله[٩].

وكان أفلح بن العباس قد كره لقاء إبراهيم بن أحمد الأغلبي (الفاسق) كما يسميه الأباضية[١٠].

وكان عدد قتلى جبل نفوسة اثنتي عشر ألفاً، أربعة آلاف من نفوسة، وثمانية ممن كان معهم من البربر، وغيرهم، وفيهم أربعمائة عالم وفقيه[١١].

---

(١) بحاز، الدولة الرستمية، ص138.

(٢) مجهول، العيون والحدائق في أخبار الحقائق، تح عمر السعيدي، (د.مط)، دمشق، 1972م، ج4، ق1، ص85-86. وسيشار إليه فيما بعد: مجهول، العيون.

(٣) ابن الآبار، الحلة السيراء، ج1، ص180؛ مجهول، العيون، ج4، ص86.

(٤) ابن الآبار، الحلة السيراء، ج1، ص 172-173.

(٥) ابو زكريا، سير، ص150.

(٦) ابو زكريا، سير، ص151؛ وانظر: إسماعيل، الأغالبة، ص56.

(٧) ابو زكريا، سير، ص152.

(٨) ابو زكريا، سير، ص152.

(٩) المصدر نفسه، ص152.

(١٠) ابو زكريا، سير، ص152.

(١١) ابو زكريا، سير، ص152.

وعند فرغ إبراهيم بن أحمد الأغلبي من قتال أباضية جبل نفوسة ذكر له أن منطقة قنطرارة (وكان واليها سعد بن وسيم النفوسي)، وكان بها بقية من الأباضية، فاتجه نحوه حيث أتاهم بغتة فنزل عليهم بعد طلوع الفجر فقتلهم، واختار من علمائهم ثمانين عالماً، فأوثقهم وعذبهم[١]، وقام إبراهيم بن الأغلب باصطحاب الثمانين عالماً معه إلى مدينة القيروان، ثم قام بقتلهم بعد أن هرب أحد العلماء منهم ويدعى ابن يثوب[٢].

وفي سنة 281هـ/894م توفي محمد بن أفلح، وتولى الأمر بعده أخيه أبي حاتم يوسف بن أبي اليقظان، فأقام فيها عاماً واختلف عليه الناس، واضطرب أمره، فخرج إلى حصن لواته، وقامت بينه وبين أهل تاهرت حروب عظيمة[٣].

ثم تولى يعقوب بن أفلح بن عبد الوهاب فقام والياً أربعة أعوام، ثم خلع وتولى بعده أبا حاتم بن أبي اليقظان إذ بقي في الحكم ستة أعوام، إذ قتله بنو أخيه سنة 294هـ، ثم تولى يقظان بن أبي اليقظان فقتله أبو عبد الله الشيعيّ سنة 296هـ، وبذلك سقطت الدولة الرستمية وانقطع خبرها في هذا التاريخ[٤].

وبهذا يكون إبراهيم بن أحمد الأغلبي (حليف الدولة العباسية وممثلها في المغرب) قد وجه ضربة قوية ذات صدىً كبير للأباضيين بقيادة ابن عمه عبدالله سنة 284هـ/ 897م، وقد أسر منهم أكثر من ثلاثمائة رجل، وعاد بهم إلى تونس[٥].

ومهما يكن من أمر، فإن علاقة الدولة العباسية بالدولة الرستمية وموقفها من الدولة الرستمية كان يتصف بالسلبية، والعدائية، وعدم قبول، ورفض وجود دولة أباضية رستمية، وقد كانت الدولة الأغلبية في افريقية (القيروان) تقوم بدور الدولة العباسية في المغرب وافريقية ومضايقة الدولة الرستمية وذلك لاختلاف المذهب والولاء، إلا أن الدولة الرستمية كان همها الوحيد ومنذ تأسيسها هو تنظيم الدولة الرستمية على مبادئ الأباضية والاستقلال التام عن الدولة العباسية.

هكذا فإن الدولةالرستمية كانت دولة مستقلة عن الدولة العباسية على يد البربر الذين كانوا يناهضون الخلافة العباسية.

وقد استمرَّت الدولة الرستمية طوال فترة وجودها وهي تحاول تنظيم دولة استقلالية عن جسم الدولة العباسية بمبادئها الأباضية، واستمرت أكثر من أربعة عشر عقداً، وكانت نهايتها على يد الفاطميين عندما سار أبوعبدالله الشيعيّ إلى سجلماسة لمحاربة إليسع بن مدرار وتخليص محمد المهدي وابنه من السجن أثناء سيره إلى تاهرت عاصمة الرستميين، فدخلها بالأمان، وقتل من بها من الرستميين من بينهم يقظان بن أبي اليقظان (294-296هـ/906-909م) وجماعته من أهل بيته، وبعث برؤوسهم إلى القيروان/ ونصبت على باب رقادة، وهكذا انقضت وانتهت الدول الرستمية في تاهرت[٦].

---

(١) ابو زكريا، سير، ص152.

(٢) المصدر نفسه، ص156.

(٣) أبو زكريا، سير، ص145؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص197.

(٤) أبو زكريا، سير، ص164؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص197.

(٥) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 130؛ وانظر: إسماعيل، الأغالبة، ص 111؛ إسماعيل، الخوارج، ص145؛ الطالبي، محمد، الدولة الأغلبية، التاريخ السياسي 184-296هـ / 800-909م، تعريب المنجي الصيادي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995م، ص328.

(٦) وفيقة، نشوء الدويلات، ص38.

الفصل الثاني

دولـــــــــة الادارســــــــــــة

((172- 311 هـ / 788-923م))

▪ الأسباب التي أدّت إلى قيام دولة الأدارســـة :

في سنة 145هـــ ظهر محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (النفس الزكية) في المدينة، وخرج على الخليفة العباسيّ أبي جعفر المنصور، وكان محمد بن عبدالله بن الحسن يطالب بحقه في الخلافة، وقد ناصره أهل المدينة على ذلك[١].

ولما ورد خبر خروج محمد النفس الزكية على المنصور أراد المنصور من رجاله من يشير عليه بالرأي حول هذا الحدث، فأرسل إلى بديل بن يحيى بالكوفة (إذ كان السفاح يشاوره) فأشار عليه بشحن الأهواز بالجنود، لأنها الباب التي يؤتى منه الضعف[٢].

وقد حصلت مراسلات بين أبي جعفر المنصور ومحمد النفس الزكية، حول أحقية كل منهم بالخلافة، ففي الرسالة الأولى التي بعثها أبو جعفر المنصور إلى النفس الزكية أمنه على نفسه، وولده، واخوانه، وأهل بيته، وماله، وأن يعطيه ألف ألف درهم وأن ينزله من البلاد ما يشاء، إلا أن محمد النفس الزكية رفض ذلك، وقال للمنصور: (إنني أعرض عليك مثلما عرضت علي من الأمان، والنفس، والمال، والولد، والأهل)[٣].

وكان محمد النفس الزكية قد استعمل على مكة محمد بن الحسن بن معاوية بن عبدالله بن جعفر، والقاسم بن إسحاق على اليمن، وموسى بن عبدالله على الشام[٤].

وكان محمد النفس الزكية قد أرسل أخاه إبراهيم إلى البصرة لنشر دعوته[٥].

وخلاصة القول فإن أبا جعفر المنصور قد أرسل جيشاً بقيادة أخية عيسى بن موسى لقتال محمد بن عبدالله (النفس الزكية) والقضاء على حركته، وقد تخلى عنه أهل المدينة، وقتل محمد النفس الزكية بعد أن قاتل قتالاً عظيماً[٦].

وكان إبراهيم بن عبدالله أخو محمد النفس الزكية قد قتل في قرية باخمرى (وهي بلدة قريبة من الكوفة) على يد عيسى بن موسى إذ كان إبراهيم قد سيطر على الأهواز والبصرة، وفارس، لنشر دعوة أخيه محمد منذ عام 145هـــ[٧].

وقد كان العلويون ينتظرون الفرصة المناسبة للانقضاض على الدولة العباسيّة، والثأر منها، ففي ولاية موسى الهادي بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور، خرج في المدينة الحسين بن علي بن الحسن (المثلث) بن الحسن (المثنى) بن الحسن (السبط) بن علي بن أبي طالب وكان معه جماعة من أهل بيته، ومنهم إدريس، ويحيى، وسليمان بنو عبدالله بن الحسن

---

(١) الطبريّ، تاريخ، ص430؛ ابن الأثير، الكامل ج5، ص2، 4؛ ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، تح عبد القادرمحمد مايو، دار القلم العربي، حلب، ط 1، 1997م ، ص163. وسيشار إليه فيما بعد: ابن الطقطقي، الفخري.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص4-5.

(3) الطبريّ، تاريخ، م4، ص430؛ ابن الأثير، الكامل، ج5، ص5.

(4) الطبريّ، تاريخ، م4، 427-428؛ ابن الأثير، الكامل، ج5، ص7.

(5) الطبريّ، تاريخ، م4، ص463-464؛ ابن الأثير، الكامل، ج5، ص7.

(٦) الطبريّ، تاريخ، م 4، ص453-454؛؛ ابن الأثير، الكامل، ج 5، ص10؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص150.

(7) الطبريّ، تاريخ، م4، ص475-477؛ ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص316؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص151.

(المثنى) هم إخوة محمد النفس الزكية، فحدث بينه وبين عامل الهادي على المدينة (عمر بن عبد العزيز بن عبدالله بن عمر بن الخطاب) قتال، فانهزم عامل الهادي، وبايع الناس الحسين على الكتاب والسنة كإمام مستور حتى يظهره الله(١).

وفي سنة 169هـ حصلت مواجهات بين أتباع الحسين بن علي بن أبي طالب وجماعة من بني العباس وأتباعهم كانوا قد حجوا، حيث اقتتلوا مع أتباع الحسين يوم التروية، فانهزم الحسين وأصحابه وقتل، وقد قطعوا رأسه وجمعوه مع رؤوس أصحابه، وأحضروه أمام الهادي، وكان مقتلهم بمكان يقال له فخ(*) (٢).

وكان قد اشترك في القتال في موقعة فخ مع الحسين عماه إدريس بن عبدالله ويحيى، وكان إدريس قد نجا من القتل في تلك الموقعة(٣).

وكان إدريس بن عبدالله قد فرّ من فخ، وذهب إلى مصر، وكان على بريدها إذ ذاك واضح مولى صالح بن المنصور (ويعرف بالمسكين)، وكان واضح يتشيع لآل البيت، الأمر الذي جعل واضحاً يساعد إدريس للهروب إلى المغرب(٤).

وكان مع إدريس لحظة دخوله على لمغرب مولاه راشد، وقد نزل إدريس مدينة ومولاه

وليلي(*) وهي من أعمال طنجة(*)، سنة 172هـ، وكان بها يومذاك إسحق بن محمد بن عبد الحميد أمير أوربة من بربر البرانس، فأجاره، وأكرمه، ودعا البربر لتبني دعوته، وخلع طاعة بني العباس(٥).

وسمع الرشيد بما فعله واضح مولى صالح بن المنصور عندما أدخل إدريس بن عبدالله، وساعده في دخول مصر، فقام الرشيد بقتل واضح(٦).

وكانت قبائل البربر وعلى رأسها أوربة قد اعتنقت دعوته، ومن القبائل الأخرى التي أيدته وناصرته قبائل زناتة، وزواغة، وزواوة، ولماية، وسدراتة، وغياثة، ونفزة، ومكناسة، وغمارة فبايعوه، ودخلوا في طاعته، فقوي سلطانه(١).

---

(1) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص151.

(*) فخ: واد في مكة ويقال له وادي الزاهر. أنظر: ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص237.

(٢) ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص237-238؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص151.

(٣) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص152.

(4) البكريّ، المسالك، ص799؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص152.

(*) وليلي وقد تكتب (وليله): كما في النقود الإدريسية التي ضربت بها حيث توجد عين تحمل اسم عين وليلي، ومن المرجح أن يكون هو مولاي إدريس الحالي. أنظر: ياقوت، معجم البلدان، ج5، ص384.

(*) طنجة: وهي مدينة تنجس، وتقع على مضيق جبل طارق على مسافة 10كم من رأس شبرتال. أنظر: ابن حوقل، صورة الأرض، ص 80؛ البكريّ، المغرب، ص 108-109؛ وانظر: العربي، اسماعيل، دولة الأدارسة (ملوك تلمسان وفاس وقرطبة) مطبعة مكتبة الفلاح، الكويبت، 1989م، ص62؛ حتاملة، الأندلس، ص45،41،34،25، أيبيريا، مطابع الرأي، عمان، ط 1، 2003م، ص 166-244، جيل المولدين، ص98،90،92.

(5) البكريّ، المسالك، ص799؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص153؛ ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن عبدالله، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور، الرباط، 1972م، ص20.

(6) الرقيق القيروانيّ، تاريخ افريقية، ص215؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص153.

ولهذا فقد قامت الدولة الإدريسية، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى مؤسسها إدريس بن عبدالله بن الحسن بن علي بن أبي طالب الذي هرب إلى المغرب، نتيجة ضغط العباسيّين، وأسس هذه الدولة(٢).

ويرجع الفضل إلى راشد مولى إدريس، في وصول إدريس بن عبدالله سالماً إلى المغرب الأقصى، والدعاية له بين قبائل البربر لقبول وتبني دعوته(٣).

وقد أسس إدريس جيشاً من قبائل أوربة، وزناتة، وصنهاجة، وهوارة، وغيرهم(٤).

وبذلك تم تأسيس الدولة الإدريسية في المغرب، وسميت نسبة إلى مؤسسها إدريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، الذي هرب إلى المغرب نتيجة ضغط العباسيّين وأسس هذه الدولة سنة 172هـ(٥).

وكان والي مصر آنذاك علي بن سليمان العباسيّ الذي علم بأمر إدريس وفراره إلى مصر ثم إلى المغرب، إذ كان قد بثّ العيون على الطرقات، وكان إدريس ومولاه قد خرجا بزيّ التجار، وخرج إدريس مع أحد المصريين المتشيعين لآل البيت، فسلكا طريق البرية، إذ وصلا إلى برقة، وأقاما بها حتى لحق بهما راشد(٦)، ثم وصل إلى المغرب الأقصى(٧).

وفي رواية للكنديّ في (الولاة والقضاة) أن علي بن سليمان العباسيّ كان قد تستر على قريبه العلويّ، الأمر الذي أدى بالرشيد أن يعزله(٨).

وكان إدريس بن عبدالله قد واصل رحلته من برقة إلى تلمسان، حيث استراح بها أياماً ثم ارتحل نحو بلاد طنجة فقد عبر وادي ملوية، ودخل بلاد السوس الأدنى، وتقدم إلى مدينة طنجة، وهي يومئذ مركز المغرب الأقصى، ومركز مدنه، ثم تابع سيره حتى وصل مدينة وليلي(٩).

وكان إدريس قد لحق بتاهرت عاصمة الرستميين بالمغرب الأوسط، وذلك قبل أن يرحل إلى المغرب الأقصى، ويستقرّ بمدينة وليلي في سنة 172هـ/788م(١٠).

ويمكن الاستفادة من تاريخ عزل الوالي علي بن سليمان وذلك لتوقيت وصول إدريس بن عبدالله إلى المغرب، وظهور أمره هذا، ولو أن هناك رواية في (البيان المغرب في أخبار المغرب) لابن عذاري تذكر أن دخول إدريس للمغرب كان سنة 170هـ/ 786م، ولكن الأستاذ سعد زغلول عبد الحميد في (تاريخ المغرب العربي) يقول (نعتقد أنه يقصد بذلك خروجه من مصر إلى المغرب)(١١).

---

(1) البكريّ، المسالك، ص 801؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص155؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص20. وسيشار إليه فيما بعد: ابن أبي زرع، روض القرطاس.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص82؛ ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، ط4، 2007م، ص49. وسيشار إليه فيما بعد: ابن حزم، جمهرة.

(5) البكريّ، المغرب، ص 122؛ مجهول، الاستبصار، ص 4؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج 2، ص424.

(6) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص20.

(7) ابن عذاري، البيان، ج1، ص82.

(1) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص154؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص18.

(2) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص154؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص18.

(3) الكندي، الولاة، ص131؛ وانظر: نبيلة، محاضرات، ص264-265.

(4) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص154؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص19.

(١٠) البكريّ، المغرب، ص118؛ مجهول، الاستبصار، ص194؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ص54-55.

(١١) زغلول، تاريخ المغرب، ص412، وهامش ص4.

وهذا يرجع للرواية التي تقول أن الذي تولى قتل واضح هو الرشيد، وليس الهادي موسى الذي مات في منتصف ربيع الأول سنة 170هـ، حسبما تقول رواية الواقديّ الذي ينقلها الطبريّ(١).

وعندما نزل إدريس مدينة وليلي ــ وهي قاعدة جبل زهرون في أراضي طنجة ــ نزل على صاحبها الأمير إسحق بن محمد بن عبد المجيد الأوربيّ ــ نسبة إلى قبيلة أوربة البربرية ــ حيث أكرم إدريس وبالغ في بره فأظهر له إدريس أمره، وعرفه على نسبه، فوافقه على حاله وأنزله بداره، وأقام عنده ستة أشهر، يقول ابن خلدون في (العبر): (فأجاره وأكرمه وجمع البربر على القيام بدعوته، وخلع الطاعة العباسيّة، وكشف القناع، واجتمع عليه البربر بالمغرب، فبايعوه، وقاموا بأمره)، وفي يوم الجمعة من شهر رمضان سنة 172هـ/788م، جمع عبد المجيد (زعيم أوربه) اخوته من قبائل أوربه، فعرّفهم بنسب إدريس، وفضله، وقرابته من الرسول (ص) وشرفه، وعلمه، ودينه، والفضائل المجتمعة فيه، فقالوا: (الحمد لله الذي أتانا به وشرفنا بجواره، ورؤيته فهو سيدنا، ونحن عبيده، نموت بين يديه، فما تريد منا، قال: تبايعونه فقالوا: سمعاً وطاعة، ما منا يتوقف عن بيعته)، فبايعته قبائل أوربه، وكانوا في ذلك الوقت أعظم قبائل المغرب، وأكثرها عدداً، وأشدهما قوة وبأساً، فكانوا هم أنصاره الأولين(٢).

فبويع إدريس سنة اثنتين وسبعين ومائة (٣). وخطب إدريس بالناس يوم بيعته، فكان مما قال في خطبته ((أيها الناس لا تمدوا الأعناق إلى غيرنا، فإن الذي تجدونه من الحق عندنا لا تجدونه عند غيرنا))(٤).

وبعد انضمام كل هذه القبائل إلى الدعوة العلوية بدأ إدريس في تأسيس الدولة الإدريسية، وذلك حسب الأهداف التي أخذ الإمام على عاتقه القيام بها، والتي تتفق ورسالة آل البيت وهي العمل على نشر الإسلام، والجهاد في سبيل الله، أما عن مجال هذا العمل فكانت الأقاليم لم ترسخ أقدام الإسلام فيها بعد، أو التي عرف أهلها بالزيغ، وانحراف في العقيدة(٥).

وتزوج إدريس بن عبدالله ابنة صاحب مدينة وليلي الذي استضافه، وأكرمه الأمير اسحق بن محمد بن عبد المجيد الأوروبيّ، واسم ابنته كنزه أو كنيزة المرضية، وكانت ذات جمال وحسن، وبهاء وكمال، واعتدال. ولما استقام أمره أخذ جيشاً عظيماً من وجوه قبائل زناته وأوربه، وصنهاجة، وهواره، وخرج غازياً إلى بلاد تامسنا(٦).

---

(١) الطبريّ، تاريخ الرسل، م4، ص600 .

(٢) البكريّ، المغرب، ج1، ص116؛ الرقيق القيروانيّ، تاريخ افريقية، ص215؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص83؛ إما ابن زرع فإنه ذكر أن وصول إدريس إلى مدينة وليلي كان في غرة ربيع الأول سنة 172هـ/788م، روض القرطاس، ص 7؛ ولم يرد ذكر لتاريخ بيعة إدريس في كتاب ابن خلدون، العبر، ج4، ص24.

(٣) البكريّ، المغرب، ج 1، ص116؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص83؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص7؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص24.

(٤) الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص62؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 4؛ ابن خلدون، العبر، ج 4، ص24.

(٥) زغلول، تاريخ المغرب، ص416؛ نبيلة، محاضرات، ص265؛ وفيقة، نشوء الدويلات، ص21.

(٦) ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 147–148؛ وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص 62؛ مؤنس، تاريخ المغرب، م1، ص381؛ وفيقة، نشوء الدويلات، ص21.

وبهذا فإن إدريس افتتح تامسنا[١]، وافتتح كذلك منطقة تادلا، وشالة في المغرب الأقصى في أواخر سنة 173هـ/ 788م[٢]. ثم زحف سنة 173هـ إلى تلمسان[٣]، وكان بتلمسان أميرها محمد بن خزر المغراوي، فخرج إليه مبايعاً مطيعاً، فأمنه وأبقاه أميراً بتلمسان، ورجع إدريس إلى مدينة وليلي[٤].

وهكذا نرى أن السوس الأقصى أول من غلب عليها وافتتحها وسيطر عليها هو إدريس بن عبدالله مؤسس الدولة الإدريسية[٥].

وعندما اشتهر ذكر إدريس، وعلا صيته، وأمره، وفشا خبر غزواته وفتوحاته، ودخول الناس في طاعته واستجابتهم لدعوته، خاف الرشيد من ذلك، واغتمَّ، حتى أنه امتنع عن النوم، لأنه خشي من تفاقم سلطان الأدارسة في المغرب الأقصى، فعمل على التخلص منه[٦].

وفي سنة 177هـ فكَّر الرشيد في إنفاذ جيش كبير للقضاء عليه، لكنه عدل عن هذه الفكرة، ذلك لبعد المسافة ووعورة الطريق، فبعث إلى وزيره يحيى بن خالد البرمكيّ يستشيره، فقال له: (إن الرجل قد فتح تلمسان، وهي باب افريقية، ومن ملك الباب بوسعه أن يدخل الدار، وقد هممت أن أرسل جيشاً، ولكني عدلت عن ذلك)[٧].

وأشار يحيى بن خالد البرمكيّ على الرشيد أن يبعث داهية من رجاله ليسمه [٨]. فبعث إليه سليمان بن جرير المعروف بـ (الشماخ)[*] مولاه، وذلك سنة 177هـ[٩].

---

(١) البكريّ، المغرب، ص 118؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج 1، ص84؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص156؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص7؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص24.

(٢) الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص156؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 7؛ ابن خلدون، العبر، ج 4، ص24.

(٣) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 7–8؛ انفرد ابن أبي زرع بذكر حركة لإدريس الأكبر إلى منطقة فازاز ونواحيها، بعد الحركة إلى تامسنا وتادلا مباشرة، وجعل تاريخها من أوائل سنة 173هـ إلى منتصف جمادى الآخرة سنة 173هـ/789م. أنظر: ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص7–8.

(٤) لم يتحدث ابن عذاري والبكريّ عن حركة إدريس الأكبر إلى تلمسان، وإنما تحدثا عن حركته إلى تازا، وجعلها ابن عذاري في سنة 174هـ. أنظر: ابن عذاري، البيان، ج 1، ص84. والبكريّ في جمادى الآخرة سنة 174هـ. أنظر: البكريّ، المغرب، ص 8. وانظر كذلك: ابن خلدون، العبر، ج 4، ص 24–25؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص57.

(٥) البكريّ، المغرب، ص8؛ وانظر: وفيقة، نشوء الدويلات، ص22.

(٦) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص157؛ حسن، تاريخ الإسلام ص224.

(٧) الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص157–158؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 21؛ وانظر: حسن، تاريخ الإسلام، ج2، ص224؛ وفيقة، نشوء الدويلات، ص22.

(٨) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص76؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص158؛ وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص67؛ العربي، دولة الأدارسة، ص 67؛ حسن، تاريخ الإسلام، ج 2، ص224؛ وفيقة، نشوء الدويلات، ص22.

(*) الشماخ: كان هذا الرجل من أهل الشجاعة، والدهاء، والفصاحة، وهو مولى للمهدي العباسيّ والد الرشيد. أشار يحيى بن خالد البرمكي على هارون الرشيد بارساله للقضاء على المولى إدريس بإظهار المكر والخداع. واستعمال المكيدة والحيلة. ويتصف بالشجاعة والتدبير وقوة المنطق الجدلي والحجة الكلامية. فنزل إلى المولى إدريس مظهراً التبرؤ من الدعوة العباسيّة ورافقه في رحلته هذه رجل موثوق بإخلاصه وشجاعته، يساعده على الهروب. مزوداً بالمال، فانتحل الطب لانجاز مكيدته. ولمّا وصل إلى المولى إدريس ادعى أنه من بعض موالي أبيه عبدالله وأنه قصده حباً، دليلاً لأهل بيته، فسُرَّ به المولى إدريس وأنس بقربه وسكن إليه، فكان لا يأنس لغيره، وهكذا مهّد سليمان لمهمته .أنظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص 160؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص158.

(٩)البكريّ، المغرب، ج 1، ص120؛ الرقيق القيروانيّ، تاريخ افريقية، ص 219؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص83؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص158؛ ابن خلدون، العبر، ج 4، ص25؛ وانظر: العربي، دولة الأدارسة، ص 67؛ حركات، المغرب عبر التاريخ، ص97؛ وفيقة، نشوء الدويلات، ص22.

وعن كيفية قتل إدريس الأول تذكر الرواية أن سليمان بن جرير (الشماخ) كان متوشحاً بالذهب، وطلب الدخول في خدمته ، وعرفه بنفسه أنه من وطنه، وأهل بلده، فحنَّ إليه إدريس وأقبل عليه وقرّبه ، وكان يخلو معه، إلى أن وجد سليمان الشماخ الفرصة المواتية فسممه[١]. فسممه[١].

واختلفت الآراء والأقوال في تسممه، فبعضهم قالوا إنه سممه في تفاحة كان قد استعد له بها من عند هارون الرشيد، فمات إدريس حين شمّها[٢].

وبعضهم يقول: إنه قدم قارورة من المسك مسمومة، فشمها، فصعد السم في خياشيمه إلى دماغه، فغشي عليه وسقط على الأرض ميتاً[٣].

ورواية تقول إن الشماخ قد سمَّ إدريس الأول بأن قدَّم له سواكاً، وكان إدريس يشكو من ألم في أسنانه ولثته، وقيل أنه قدم له عنباً مسموماً[٤].

ومهما يكن من أمر، فإنه لمَّا حقق الشماخ الغرض الذي أتى من أجله هرب، وقدم على إبراهيم بن الأغلب، فأخبره بما فعل، وجاءته الأخبار بموت إدريس، فولى الرشيد سليمان بن جرير (الشماخ) بريد مصر[٥]، وكانت وفاة إدريس سنة 177هـ/793م [٦].

ولم يترك إدريس عقباً له غير حمل من جاريته كنزة، فجمع راشد مولاه البربر، وكان من الدعاة، وقال: (ما رأيكم) فاتفقوا على توقيف الأمر على وضع الحمل فإن كان ذكراً بايعوه، وإن كان أنثى نظروا حينئذ لأنفسهم، فلما ولدت كنزة وضعت ذكراً بعد أيام من موت إدريس[٧].

وعمد إبراهيم بن الأغلب إلى الكيد براشد بوصفه قائماً بأعمال دولة الأدارسة، فاستمال بعض الأشخاص لاغتياله، وانتهى ذلك بمقتل راشد سنة 186هـ/802م[٨].

غير أن مقتل إدريس الأول لم يحقق آمال الرشيد للحيلولة دون قيام الدولة العلوية في المغرب، ذلك أن البربر كانوا مجمعين على الاستمرار في دولتهم الاستقلالية [٩]، ومن الأخطاء الشائعة القول بأن دولة الأدارسة دولة شيعية ذلك لأن مؤسسها وأئمتها كانوا من أهل البيت، وأن آل البيت لا يمكن أن يكونوا شيعة، لأن الشيعة هم الذين يتشيعون لهم وهم

---

(١) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص158؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص23؛ وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص68.

(٢) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص158–159، وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص68.

(٣) الطبريّ، تاريخ الرسل، ج 10، ص29؛ وانظر: حسن، تاريخ الإسلام، ج 2، ص225؛ العربي، دولة الأدارسة، ص69.

(٤) الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص158–159؛ وانظر: وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص 12؛ حسن، تاريخ الإسلام، ج2، ص255؛ العربي، دولة الأدارسة، ص69.

(٥) ابن الابار، الحلة السيراء، ص199؛ وانظر: وفيقة، نشوء الدويلات، ص22.

(٦) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص23.

(٧) ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص199؛ وانظر: وفيقة، نشوء الدويلات، ص22.

(٨) ابن الابار، الحلة السيراء، ج 1، ص186؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج 3، ص197؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص13 وما بعدها.

(٩) زكار، تاريخ العرب، ص486.

(الأدارسة)، فهم على سنة جدهم محمد (ص) [١]، ولم يعرف الأدارسة في بلادهم غير مذهب المالكية[٢].

ومن هنا فإنني أرى أن إدريس مؤسس الدولة الإدريسية هو سنيّ، لأنه دعا البربر إلى كتاب الله وسنة نبيه (ص)، ودعا إلى العدل في الرعية، وأمانة، وإماتة البدعة، وانفاذ حكم كتاب الله على القريب والبعيد. كما ورد في مطلع عهده اليهم، ثم إن في تقديم نفسه للبربر، والشهادة على استجابته هو للدعوة هو تعبيراً واضحاً على ذلك. وبايعه البربر على القيام بأمرهم، وولوه صلاتهم، وأحكامهم، وغزوهم. ثم إنه لم يدع لنفسه إلا بعد أن قتل أخوه يحيى الذي له الحق قبله. صحيح أنه لم يلقب (بالإمام)، ولم يصرح به حتى أيامه الأخيرة ولم يكن هناك إشارات تدل على أنه تلقب بلقب (الإمام)، غير أن إدريس كان يسمع من يدعوه بهذا اللقب، وكان اهتمام إدريس منذ اللحظة الأولى هو نشر الإسلام على نطاق واسع بين مختلف قبائل البربر المغربية، التي كان أغلبها يدين باليهودية، والنصرانية، وظل يدعو حتى أسلمت له بلاد تامسنا (تامنسا) وتادلا (تادلة)، وأرسى أسس دعوته وكذلك في تلمسان.

وكان إدريس قد قال للبربر: (أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه (ص) وإلى العدل في الرعية، والقسم بالسوية، ورفع المظالم، والأخذ بيد المظلوم)، ثم يختمها بالقول: (هذه دعوتي العادلة غير الجائرة، فمن أجابني فله ما لي، وعليه ما عليّ، ومن أبى فحظه أخطأ، وسيرى ذلك عالم الغيب والشهادة أني لم أسفك دماً، ولا استحللت محرماً، ولا مالاً).

وكان من الأسباب القوية التي أدت إلى قيام دولة الأدارسة في المغرب هو نصرة مذهب السنة والجماعة للأدارسة، وقيام إمامة الأدارسة [٣]، والوصف الصحيح لهذه الدولة أنها كانت كانت دولة علوية هاشمية[٤].

وبعد موت إدريس بن عبدالله خلت الإمامة، إذ لم يكن يومئذ لإدريس ولد، إلا أنه ترك كما ذكرنا سابقاً جارية اسمها كنزه (كنيزة)، وقد ولدت، وقام راشد مولى إدريس الأول بجمع واستمالة القبائل، وأخبرهم بذلك، فقالوا له: أيها الشيخ المبارك تقوم بأمرنا كما كان إدريس يفعل فينا حتى تضع الجارية، فإن وضعت غلاماً ربيناه تبركاً بأهل البيت، وذرية رسول الله (ص)، وإن كانت جارية نظرنا (أنفسنا)، فكان ذكراً، وكان ميلاده يوم الإثنين من شهر ربيع الآخر سنة 177هـ/793م[٥].

وقد قام راشد مولى إدريس الأول بإدارة مقاليد الأمور في الدولة خير قيام، وقد سمّى راشد المولود الجديد إدريس، تيمناً بأبيه، وكفله، ورعاه، وقام بأمره، وأحسن تأديبه، وأقرأه القرآن وحفظه وهو ابن ثماني سنين، وعلمه السنة والفقه، وأشعار العرب وأيام الناس، وسير الملوك كما علمه ركوب الخيل، والمجاولة بها، وإحكام الرمي بالسهم[٦].

---

(١) مؤنس، تاريخ المغرب، ص372.

(٢) المرجع نفسه، ص372.

(٣) مؤنس، تاريخ المغرب، ص372.

(٤) المرجع نفسه، ص372.

(٥) الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص159؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 25؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج3، ص195-196؛ وانظرالسنوسيّ، الدرر السنية، ص80؛ العربي، دولة الأدارسة، ص73.

(٦) البكريّ، المغرب، ص 22؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص159؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص25؛ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج3، ص196؛ وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص 81؛ وفيقة، نشوء الدويلات، ص23.

وكانت ولاية إدريس الثاني سنة 188هـ/804م وهو ابن (إحدى عشرة سنة) [١]، وتتفق الروايات على أن إمامة إدريس الأصغر تمت بعد وفاة راشد مولى أبيه إدريس **الأول، فابن** أبي زرع في (روض القرطاس) يقول: إن راشداً اغتيل بتدبير إبراهيم بن الأغلب قبل مبايعة إدريس الثاني سنة 186هـ/802م [٢].

وقام بأمر إدريس بعد راشد أبو خالد يزيد بن إلياس العبدي، فأخذ له البيعة من جميع قبائل البربر، وذلك يوم الجمعة غرة ربيع الأول 188هـ/804م، بعد أن قتل راشد بعشرين يوماً[٣].

وقد اتصف إدريس الثاني بعدة مزايا، وصفات من صلاح وتقوى في الدين [٤]، وقد وفد إليه الكثير من قبائل العرب والأندلس، حتى اجتمع إليه منهم خمسمائة شخص، فرحب بهم، واختصهم دون البربر وكانوا له بطانة وحاشية واستفحل بهم سلطانه[٥].

واتخذ إدريس الثاني له وزيراً من الأزد هو عمير بن مصعب بن عيسى الأزدي المسمى (الملجوم)[٦]. وعيّن عامر بن محمد بن سعيد القيسيّ من قبيلة الأزد قاضياً، وكان عالماً ورعاً، سمع عن مالك، وسفيان الثوري، وروى عنهما الكثير، والذي كان قد دخل الأندلس

مجاهداً واختار العدوة [*] ودخل إلى مدينة وليلي [٧]. وكاتبه كان أبو الحسن عبد الملك بن مالك الخزرجي[٨].

ولم تزال الوفود العربية تنزع إليه بكثرة حتى ضاقت وليلي بهم [٩]، وكانت الوفود بداية هي هجرة العرب من الأندلس وافريقية نحو إدريس الثاني، حيث وقعت اضطرابات في الأندلس وافريقية؛ الأمر الذي دفع الكثيرين من العرب على الهجرة إلى المغرب الأقصى[١٠].

---

(١) البكريّ في كتابه المغرب، ص 23 (يذكر أنه تولى قيام الولاية يوم الجمعة 7 ربيع الأول سنة 187هـ الموافق 5 مارس 803م)؛ أنظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص210.

(٢) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص13.

(5) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص160؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص27.

(٤) البكريّ، المغرب، ج1، ص122؛ وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص83-84.

(٥) ابن خلدون، العبر، ج 4، ص13؛ وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص 85؛ العربي، دولة الأدارسة، ص76؛ الروضان، عبد عون، موسوعة تاريخ العرب، الدار الأهلية، عمان، ط1، 2004م، ج2، ص53.

(٦) سمي بالملجوم وذلك لإصابته بضربة من بعض حروبهم وسمته على أنفه وكأنها خطام. أنظر:ابن خلدون، العبر، ج4، ص13؛ وانظر: العربي، دولة الأدارسة، ص77.

(*) العدوة تعني البر من حيث يجتاز البحر، واطلقت الكلمة على ضفتي بحر الزقاق بين الأندلس والمغرب. وفيها عدوتان: عدوة الأندلس وعدوة المغرب أو افريقية. والكلمة في روض القرطاس تعني هنا البر المغربي أو بلاد المغرب التي أصبحت مركز الثقل على أيام الكاتب في القرن الرابع عشر. أنظر: ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص14.

(٧) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 29؛ وانظر: العربي، دولة الأدارسة، ص 77؛ كحيلة، المغرب، ص67؛ مؤنس، تاريخ المغرب، ص384.

(٨) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 29؛ ابن خلدون، العبر، ج 4، ص13؛ زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص442.

(٩) ابن خلدون، العبر، ج4، ص13؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص14؛ مؤنس، تاريخ المغرب، ص384.

(١٠) حول الاضطرابات في المغرب وافريقية. أنظر: ابن عذاري، البيان، ج1، ص157 وما بعدها؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص442.

وفي هذه الظروف أعلن إدريس الثاني في سنة 190هـ/805م عزمه على الانتقال **من** مدينة وليلي، والبحث عن مدينة جديدة له ولجنوده وخاصته، فاختار موقع، يمتاز بطيب تربته واعتدال هوائه(١)، وقد بدأ ببناء السور، وبنى جزءاً منه، ولكنه اتضح أن اختيار الموقع لم يكن موفقاً إذ اجتازته السيول، وهدمت ما بني من السور، وخرب السيل خيام العرب، وقرر إدريس ترك هذا الموقع، والبحث عن موقع آخر(٢).

وفي سنة 191هـ/807م خرج إدريس في رحلة صيد، واختار هذه المرة موقعاً مناسباً جداً لبناء عاصمته الجديدة، ويمتاز بالينابيع الساخنة المعروفة بحمة خولان ــ التي تعرف اليوم باسم سيد حرازم ــ كما أنه قريب الموقع من الماء العذب(٣).

بنيت مدينة فاس على مرحلتين: الأولى ابتداءً من سنة 191هـ/807م، بنى جزءاً من المدينة، وعرف هذا الجزء بعدوة الأندلس على الضفة الشرقية نهر فاس في غرة رمضان 192هـ/808م(٤)، وأسس به جامع الأشياخ(٥).

وقد بدأ ببناء الأساس ثم دور الإمام والمسجد الجامع، كما نصبت الخيام وحولها جدر من الخشب والقصب في الموضع الذي عرف بجراوة(*) (كراوة)(٦).

يقول ابن خلدون:((واختط عدوة القرويين، وبني مساكنه، وانتقل إليها، واستقام له أمر الخلافة))(٧). ثم المرحلة الثانية حيث بنيت عدوة القرويين سنة 193هـ/809م، إذ أخذ في بناء الجامع وهو المسجد المعروف الآن بجامع الشرفاء (٨)، وقد بنيت عدوة القرويين على الضفة الأخرى المقابلة في موضع يقال له (زواغة)، وكان هذا الموضع أشبه بقرية رعوية، وترك الإمام الموضع الأول واتجه للنزول في موضع آخر يعرف (بالمقرمدة)(٩).

اتسعت المدينة لكثرة أشجارها التي ساعدت في بناء المساكن (١٠)، ومدينة فاس كانت تضم بالإضافة إلى العرب والبربر اليهود الذين سكنوا بالقرب من باب حصن سعدون(١١).

---

(10) ابن عذاري، البيان، ج1، ص210؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص29.

(٢) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص29؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص445؛ وفيقة، نشوء الدويلات، ص23.

(٣) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص30؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص445.

(٤) البكريّ، المغرب، ص 115-123؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 30؛ ابن خلدون، العبر، ج14ص13-15.

(9) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص166.

(*) جراوة باللغة المحلية كانت تعني الجدار أو السياج. أنظر: ليفي بروفنسال حول (تأسيس مدينة فاس) الذي يفسر كلمة جدر (جمع جدار) على أنها تعريب للإسم البربري الفينيقي أجادير وأنها تعني المخازن الجماعية أو المجلس، ومنها اشتقت كلمة اجراو التي أطلقت على بعض مجالس إقليم الريف والتي اشتق منها اسم جراوا (موقع فاس) الذي يعني المعسكر، أنظر: ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص32.

(٦) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص32؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص12.

(٧) ابن خلدون، العبر، ج4، ص13؛ وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص100-101.

(٨) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص166؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 38؛ البكريّ، المغرب، ج1، ص115؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص13.

(٩)البكريّ، المغرب، ج1، ص115؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص166.

(١٠) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص31-32.

(١١) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص5؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص39.

وتأتي أهمية مدينة فاس من ترسيخ سلطان الأدارسة في المغرب، والعمل الحضاريّ الذي يمثّل رسالة الأدارسة الطالبيين في بلاد المغرب الأقصى، إذ أن إدريس الثاني بعد أن أقام بفاس إلى سنة 197هـ/812-813م، خرج في السنة المذكورة لغزو بلاد المصامدة وأخضع قبائلهم، ووصل في غزوهم حتى السوس الأقصى، إذ أخضع مدينة نفيس ومدينة أغمات، ثم عاد إلى فاس[١].

وتذكر الرواية أنه في المحرم من سنة 197هـ خرج لغزو بلاد المصامدة، فأخضع قبائلهم، وانتهى حتى السوس الأقصى، إذ أخضع مدينة نفيس، ثم عاد إلى فاس[٢].

وفي خطوة جديدة لتأكيد سلطانه في أقاليم المغرب الأوسط الغربية خرج سنة 198هـ إلى المغرب الأوسط، لغزو قبائل نفزة وأخضع قبائلها، ودخل مدينة تلمسان، وأقام ثلاث سنوات لتدبير أمورها، وإصلاح أحوالها، ثم رجع إلى مدينة فاس[٣].

واستطاع إدريس الثاني بحزمه وحكمته إحباط مؤامرات الأغالبة حلفاء العباسيّين، ومن ورائهم الخليفة هارون الرشيد، وتمكن من تثبيت سلطانه على قبائل البربر[٤].

وتمكن في فترة وجيزة من توسيع القاعدة التي وضعها أبوه والتي تشكل أوربة دعامتها، ومد حكومة مملكته عبر جبال الأطلس الأعلى في جنوب مراكش حتى درعة، التي تمثل مناجم الذهب فيها موارد ذات قيمة كبيرة، وضمن لنفسه موانئ المحيط الأطلسي، والسيطرة على مضيق جبل طارق من طنجة وسبتة، اللتان كانتا تشكلان قاعدة الأندلس[٥].

وفي سنة 213هـ/828م توفي إدريس الثاني، وكان عمره ثماني وثلاثين سنة في مدينة وليلي، وقد كان أبناؤه اثني عشر ولداً وخلفه محمد بن إدريس[٦].

وقسم محمد بن إدريس الدولة بين إخوانه على النحو التالي[٧]:

1ـ محمد: وقد احتفظ بولاية فاس، وولي القاسم سبتة، وقلعة النسر[٨].

2ـ عمر: ولي بلاد صنهاجة، وغمارة[١].

---

(١) البكريّ، المغرب، ص123؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص211؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص 169؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 50؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج 2، ص201؛ ابن خلدون، ج 4، ص13؛ وانظر: نبيلة، محاضرات، ص273.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص211؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج 2، ص201؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص4، ص13.

(٣) ابن أبي زرع، روض القرطاس؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص13.

(٤) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص171؛ وانظر: العربي، دولة الأدارسة، ص 119.

(٥) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص171.

(٦) الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص171؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 50؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج3، ص201؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص14؛ وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص 13؛ مؤنس، تاريخ المغرب، ج2، ص457-458.

(٧) الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص173؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 51؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج3، ص204-205.

(٨) البكريّ، المغرب، ص124؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص31؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص14.

3ــ داوود: ولي بلاد هوارة وما وراءها(٢).

4ــ يحيى: ولي مدينة البصرة(*)، ومدينة أصيلا(*) (٣).

5ــ وولي أحمد مدينة مكناسة، وجبال فازاز، وتادلا (٤)، وولي عبدالله بلاد السوس الأقصىوبلاد نفيس، وأغمات(٥)، وولي عيسى مدينة شاله وتامسنا وبرغواطة، وولي حمزة(٦) مدينة تلمسان، واختص هو بمدينة فاس فكانت دار ملكه (٧). ومن أبنائه أيضاً عمران وحمدون(٨).

وقد انتهى هذا التقسيم بالنزاع بين الأخوة، وكان أول من خرج عن طاعة الإمام عيسى هو الذي ولاه، فكتب الإمام إلى أخيه قاسم صاحب سبتة وطنجة يأمره بمحاربته، فامتنع عن ذلك وخالف أمره، بينما أطاع عمر أمر أخيه إدريس، فأوقع بعيسى، وهزمه، وولي جميع عمله، ثم أنه سار إلى القاسم، فكانت بينهما حرب شديدة هزم فيها القاسم الذي انتهى أمره إلى المسير إلى البحر مما يلي مدينة (أصيلا)، فبنى لنفسه مسجداً، وزهد في الدنيا (٩)، وضم عمر بلاده إلى يده واستمرّ عاملاً لأخيه إلى أن توفي سنة 220هــ، وخلف أبناءه أملاكه، إذ خلف علي بن عمر والده(١٠).

---

(١)البكريّ، المغرب، ص 124؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 211؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص51. ويذكر ابن أبي زرع تيجناس بدلاً من تيجساس.

(٢)البكريّ، المغرب، ص 134؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 211؛ بن أبي زرع، روض القرطاس، ص51. ولا يذكر ابن أبي زرع (تازا) ويضيف ابن عذاري تامليت. أنظر: ويضيف البكريّ (تاسلمت).

(*) البصرة: مدينة في المغرب الأقصى تعرف ببصرة الكتان، لأن أكثر تجارة أهلها الكتان وتعرف أيضاً بالحمراء، لأنها حمراء التراب. وكان سورها مبنياً بالحجارة والطوب. ولها عشرة أبواب، ولجامعها سبع بلاطات وبها حمامان كبيران. وقيل أنها قرية على وادي سبوا، بينها وبين فاس مرحلة. ومن مدينة البصرة طريق آخر إلى فاس ومنها إلى منطقة ورغة مرحلة، ثم إلى وادي ماسنة مرحلة، وهي مدينة عيسى بن حسين الحسني المعروف بالحجام ثم إلى مدينة سداك، وهي قاعدة خلوف بن محمد المغيلي، ثم إلى فاس. ويقال لها كرت. أنظر: ابن عذاري، البيان، ج2، ص 135، 336 ؛ ابن حوقل، صورة الأرض ص 81.

(*) أصيلا: مدينة في المغرب الأقصى، وقد أسست في الوقت الذي أسست فيه مدينة البصرة وعلى بعد ثمانية أميال منها جبل يقال له صرصر وهي كثيرة المياه والتجارة؛ أنظر: ابن عذاري، البيان، ج 2، ص 336.

(٣) ابن خلدون، العبر، ج4، ص14. ولا يذكر ابن خلدون البصرة ضمن بلاد يحيى.

(٤) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج3، ص204–205.

(٥) ابن خلدون، العبر، ج4، ص14.

(٦) البكريّ، المغرب، ص124، ابن عذاري، البيان، ج1، ص211.

(٧) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 51؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج 3، ص204 –205؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص14.

(٨) ابن خلدون، العبر، ج4، ص13.

(٩) البكريّ، المغرب، ص24؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج 1، ص 33 وما بعدها؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص52 وما بعدها؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص14.

(١٠) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص52.

وعلي بن عمر هذا هو جد الحموديين من الأدارسة، الذين دخلوا الأندلس بعد سنة 400هـ/1009م عند انهيار الدولة الأموية[١].

أما عن الإمام محمد فقد توفي بعد أخيه عمر بسبعة أشهر في شهر ربيع الثاني سنة 221هـ، وخلفه ابنه علي الذي توفي في رجب سنة 234هـ، ثم خلفه أخوه يحيى، الذي أساء السيرة، وخالف طريق سلفه، فثار عليه الناس، واعتصم منهم بعدوة الأندلس، وانتهى الأمر بانتقال الملك عن بني محمد إدريس إلى بني عمهم عمر بن إدريس[٢].

توفي يحيى بن محمد بن إدريس في تاريخ غير معروف، وخلفه ولده يحيى بن يحيى، ولم يكن له شيء من الفضل الذي كان لأسلافه، إذ انهمك في ملذاته، فثارت العامة ضده وعزلوه، ومات في ظروف غامضة، وبموته انتقلت الإمامة من بيت محمد بن إدريس إلى عمر بن إدريس[٣].

واجه علي بن عمر بن إدريس (الإمام السابع للأدارسة) ثورة قام بها الصفرية من قبيلة مديونه البربرية، بزعامة أحد المهاجرين الأندلسيين، يدعى عبد الرزاق الفهريّ الذي استولى على عدوة الأندلسيين، واستعصت عليه عدوة القرويين، وكان هرب الإمام وتخاذله من العوامل التي أدت إلى ثورة الخوارج عليه، وخلعه، وتولية يحيى بن القاسم بن إدريس، إلا أنه تمكن من القضاء على الثورة حتى توفي سنة 292هـ/905م[٤].

وبعد وفاته خلفه يحيى بن إدريس بن عمر بن إدريس، ويصفه ابن خلدون بأنه (أعلى بني إدريس ملكاً وأعظمهم سلطاناً، وكان فيهاً عارفاً بالحديث، ولم يبلغ من الأدارسة مبلغه في السلطان والدولة)[٥].

وممَّا تجدر ملاحظته أن المغرب لم يخلص كله للأدارسة، فلئن استطاع الأدارسة أن يمدّوا نفوذهم شرقاً إلى تلمسان، فقد كانت ناحية تامسنا خارجه عن ملكهم، يتحكم في شؤونها البرغواطيون، وهم قبيلة من البربر، وكان في سجلماسة بنو مدرار ، وبنو صالح في منطقة نكور وبنو عصام في سبتة[٦].

وهكذا صار الأمراء الأدارسة يتوارثون الحكم في الدولة، فخلف يحيى بن محمد يحيى الرابع بن إدريس بن عمر وحكم مدة خمسة عشر عاماً، وكان أقدر ملوك الأدارسة وأبعدهم ذكراً، وأوسعهم ملكاً، وأقواهم سلطاناً، وأكثرهم عدلاً، يقول ابن خلدون: (ولم يبلغ أحد من الأدارسة مبلغه في الدولة والسلطان، إلى أن قضى على ملكه عباب العبيديين الفاطميين بافريقية فأغرقه)[٧].

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج1، ص211؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص53.

(٢) البكريّ، المغرب، ص 125؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص212؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص51؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج 3، ص207–208؛ ابن خلدون، العبر، ج 4، ص15؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص471–477.

(٣) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص178؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص52؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص14–16.

(٤) الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص179؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 52؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص114–16.

(٥)الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص181–182؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص80؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص14–16.

(٦) ابن عذاري، البيان، ج1، ص246–252.

(٧) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص182؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص18.

غزا بلاد الأدارسة مصالة بن حبوس قائد عبدالله المهدي الفاطمي سنة 305هـ/917م وفتح تاهرت، والتقى بيحيى بالقرب من مكناسة، فألحق الهزيمة بيحيى، وعاد منهزماً إلى فاس، فتبعه مصالة، وحاصره في المدينة، فاضطر يحيى إلى طلب الصلح على أن يؤدي بعض الأموال، وبايع للمهدي الفاطمي، فولى مصالة يحيى بن إدريس فاساً، كما ولى موسى بن أبي العافية ابن عم مصالة على سائر بلاد المغرب[١].

وبذلك امتدّ نفوذ الفاطميين إلى بلاد الأدارسة، وصار المغرب الأقصى في ملك العبيديين، ولما عاد مصالة إلى فاس عام 309هـ حرّض موسى بن أبي العافية على يحيى بن إدريس، فقبض عليه، وأخذ أمواله، ثم نفاه، ولكن ابن أبي العافية حبسه ولم يطلق سراحه إلا بعد عشرين سنة وتوفي في مدينة المهدية سنة 332هـ[٢].

وهكذا زالت دولة الأدارسة على يد موسى بن أبي العافية من ناحية، وعلى أيدي الفاطميين من ناحية أخرى، وأصبحت بلاد المغرب تحت حكم آل العافية، وأمر بنفي من تبقى من الأدارسة على قلعة بجبال الريف المغربي، تدعى بحجر النسر ليبدأ الأدارسة تاريخاً جديداً لهم[٣].

ولم يلبث أن عاد الأدارسة على مسرح الأحداث، ويرتبط دورهم هنا بالصراع بين الخلافتين الأموية والفاطمية على المغرب الأقصى، كما أن بعض الأدارسة ويدعون بالحموديين استطاعوا أن يصلوا إلى كرسي الخلافة في قرطبة، عندما اضطرب أمر بني أمية في مطلع القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي[٤].

أرى أن من الأسباب الرئيسية التي أدت إلى قيام دولة الأدارسة ما يلي:

١. ملاحقة الدولة العباسيّة الرئيسة للطالبيين المطالبين بحقهم في الخلافة.
٢. الوصول إلى ملجأ آمن للتبشير بمذهبهم لآل بيت رسول الله (ص) بعيداً عن الخلافة العباسيّة.
٣. البعد المكاني سهّل للطالبيين إقامة دولتهم.
٤. ضغط العباسيّين والتنكيل بالطالبيين.

- المبادئ التي نادوا بهـــا :

كان السواد الأعظم من المسلمين يرون أن بني هاشم أحق بالأمر من بني أمية، لأن بني هاشم آل بيت النبي (ص) وعشيرته الأقربون، وهم أهل العلم والدين والخصوصية الذين اجتباهم الله وأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وهم أحق بمنصب رسول الله (ص) من غيرهم، غير أن ذلك ليس بطريق الوجوب بل بطريق الأحقية والأولوية[٥].

---

(١) البكريّ، المغرب، ص 125؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص182؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص80؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص16؛ ابن الخطيب، أعما الأعلام، ج3، ص202-210.

(٢) البكريّ، المغرب، ص125؛ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 80؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص16؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص455-479.

(٣) البكريّ، المغرب، ص 125؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 80،81؛ ابن خلدون، العبر، ج 4، ص16؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص455-479.

(٤) كحيلة، المغرب، ص69.

(3) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص148.

ولما انقرضت دولة بني أمية سنة 132هـ، وجاءت دولة بني العباس، وصار الأمر إلى أبي جعفر المنصور، أظهر عداءه لآل البيت، خاصة وأن دعاة محمد بن عبدالله قد ظهروا بخراسان، فأمر المنصور عامله على المدينة رباح بن عثمان المري بحبس عبدالله بن الحسن ومن يقبض عليهم من آل الحسن بن علي بن أبي طالب، فحبس جماعة من بنيه وإخوته، وبني عمه قدروا بخمسة وأربعين، وسيقوا إلى العراق، وحبسوا حتى ماتوا في السجن، وأصبح يبحث عن محمد بن عبدالله (النفس الزكية) وأخيه إبراهيم؛ لأنهما لم يكونا من جملة من حبسوا[١].

وأصبح محمد (النفس الزكية) يدعو الناس إلى بيعته، وقد بايعوه[٢].

واستفتى أهل المدينة الإمام مالكاً في الخروج مع محمد بن عبدالله، وذكروا في أنهم قد بايعوا أبا جعفر المنصور، فأفتى لهم مالك بأن بيعتهم للمنصور كانت إكراهاً، ولهذا فإن الناس قد قاموا ببيعة محمد النفس الزكية[٣].

ونستدل من موافقة الإمام مالك على بيعة محمد النفس الزكية أن المبادئ التي قامت عليها دولة الأدارسة هي مبادئ أهل السنة والجماعة.

وكان شيعة علي بن أبي طالب يوجبون الخلافة لبنيه دون سواهم، ويزعمون أن ذلك كان بوصية النبي (ص) لعلي، وهذه الوصية لم تثبت عند أهل السنة[٤].

كان بنو علي كثيراً ما يثورون في البلاد شرقاً وغرباً، طالبين حقهم في الخلافة، منازعين فيها لبني أمية أولا، ثم لبني العباس من بعدهم ثانياً، إلى أن جاء عبدالله بن الحسن السبط وكان من سادة أهل البيت، وكان له عدة أولاد منهم محمد النفس الزكية، وإبراهيم، ويحيى، وسليمان، وإدريس[٥].

ولما انهارت دولة بني أمية أيام آخر خلفائهم مروان (الحمار) اجتمع أهل البيت في المدينة فيمن يختارونه للخلافة، فوقع اختيارهم على محمد النفس الزكية، إذ قاموا بمبايعته للخلافة، وسلموه أمرهم، وحضر هذا العقد أبو جعفر المنصور الخليفة العباسيّ، وذلك قبل أن تنتقل الخلافة لبني العباس، فبايع للنفس الزكية فيمن بايع له من أهل البيت[٦].

ولهذا كان الإمام مالك بن أنس وأبو حنيفة يؤيدانه حين خرج وأظهر دعوته بالمدينة، ويرى كل منهما أن إمامته أصح من إمامة أبي جعفر المنصور لانعقاد هذه البيعة أولا، وكان أبو حنيفة يقول بفضله، ويؤيد حقه ثانياً[٧].

إنَّ الدولة الإدريسية قد ظهرت فجأة دون تمهيد أو دعاية سابقة كتلك التي مهدت لقيام الدولة العباسيّة من قبل، والدولة الفاطمية من بعد أو حتى بالنسبة لإمامة تاهرت الرستمية، وبناء على ذلك فهي لم تقم حسب مبادئ سياسية أو دينية معينة، بل قامت على أكتاف رجل واحد يمثل هيبة الأسرة العلوية القديمة كما يمثل مناقب أهل البيت[٨].

---

(4) المصدر نفسه، ج1، ص149.
(5) المصدر نفسه، ج1، ص150.
(6) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص150.
(5) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص148.
(1) المصدر نفسه، ج1، ص148–149.
(2) المصدر نفسه، ج1، ص149؛ وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص64.
(3) المصدر نفسه، ج1، ص149.
(٨) المصدر نفسه، ج1، ص148؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص423.

إن دولة الأدارسة قد قامت تحت شعار الإسلام، وكانت تسعى منذ البداية للاستقلال عن الدولة العباسيّة تحت مبدأ أحقية الطالبيين بالخلافة من أبناء عمومتهم بني العباس(١).

وكان ذلك دافع الإمام إدريس، بل إن إدريس لم يكن يقصد بالعمل على ظهور الروح الاستقلالية بين العرب، الذين هو من أشرافهم وأهاليهم وبين البربر، الذين قامت على أكتافهم دولته(٢).

قامت الدولة الإدريسية في المغرب الأقصى على أساس أنها دولة علوية هاشمية طالبية(٣)، وأنه من الخطأ القول إنها كانت دولة شيعية؛ لأن مؤسسها من آل البيت النبويّ(٤). النبويّ(٤).

والحقيقة أن الأدارسة رغم علويتهم وطالبيتهم، بل وهاشميتهم لم يكونوا أبداً شيعة، بل كانوا على مذهب السنة والجماعة، ولا يعرفون شيئاً عن الآراء الشيعية التي شاعت على أيام الفاطميين 297-365هـ/909-975م(٥).

إن الدولة الإدريسية، رغم انتمائها إلى آل البيت العلوي الحسني، لم تكن دولة شيعية بالمعنى المتداول، إذ كان لمذهب مالك حضوره الواضح في هذه الدولة، وإدريس الأول يقول عن مالك (نحن أحق باتباع مذهبه وقراءة كتبه)، وذهب بعض أهل العلم إلى أن دولة إدريس كانت دولة زيدية، وللإمام إدريس بن عبدالله رسالة تعد في أدبيات المذهب الزيدي، والمعروف أن هذا المذهب هو أقرب مذاهب الشيعة إلى مذهب أهل السنة.

ولم يعرف الأدارسة في بلادهم المغربية غير الفقه السني المالكي، ومن المعروف تاريخياً وإسلامياً أن آل البيت جميعاً بطوائفهم لم يكونوا شيعة لأحد، بل أن الشيعة كانوا من أنصارهم(٦).

فالدولة الإدريسية التي قامت على يد مؤسسها الأول إدريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، كانت دولة علوية طالبية هاشمية. وهي أول تجربة نجح فيها آل البيت في إمامة دولة كبيرة لأنفسهم(٧).

والأحداث توضح ذلك إذ ان إدريس الأول عندما وصل مع مولاه راشد إلى طنجة ثم إلى مدينة وليلي لم يصل مع قوة عسكرية تفرضه، كما قامت الدولة العباسيّة مثلاً، والملاحظ أن الدولة الإدريسية لم تدخل على الناس بمكر، أو دهاء، وأساليب غير واضحة.

ومن المؤكد أن مذهب مالك بن أنس قد دخل في عهد الأدارسة بفضل الأندلسيين والمغاربة، أما في الأندلس نفسها فقد أدخله يحيى بن يحيى الليثي الذي درس على مالك،

---

(١) الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص148؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج 2، ص423؛ الغنيمي، عبد الفتاح مقلد، موسوعة تاريخ المغرب العربي، مكتبة مدبولي،القاهرة، ط1، 1994م، ج1، ص245-246.

(٢) زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص423؛ الغنيمي، موسوعة، ج1، ص245.

(٣) الغنيمي، موسوعة، ج1، ص245.

(٤) كحيلة، المغرب، ص69؛ الغنيمي، موسوعة، ج1، ص245.

(٥) الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص 150؛ وانظر: كحيلة، المغرب، ص 69؛ الغنيمي، موسوعة، ج 1، ص245.

(٦) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص150؛ وانظر: مؤنس، تاريخ المغرب، م1، ص373.

(٧) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص150-151؛ وانظر: مؤنس، تاريخ المغرب، م1، ص373.

وهو بربري من طنجة، قوي نفوذه لدى بني أمية في الأندلس أواخر القرن الثاني حتى أصبح تعيين القضاة بمشورته[١].

يقول ابن أبي زرع في روض القرطاس: (أن إدريس بن عبدالله الحسني (الإمام الثاني لدولة الأدارسة)، كان راوياً لحديث النبي (ص)، عارفاً بالفقه، والسنة، والحلال، والحرام، وفصول الأحكام)[٢].

وعندما أخذ راشد البيعة لإدريس بن إدريس الأول سنة 188هـ، صعد إدريس المنبر، وخطب بالناس في يوم الجمعة 7 ربيع الأول 188هـ، وكان عمره آنذاك إحدى عشرة سنة، إذ ركز في خطبته على التمسك بكتاب الله، وسنة نبيه (ص)، وآل بيته[٣].

وتذكر عدة مصادر من جهة أخرى أن أحد قضاة إدريس الثاني وهو عامر بن سعدي بن محمد القيسي كان قد تلقى دراسته على يد كل من: مالك، وأبي سفيان الثوري[٤].

لقد اهتم مؤسس الدولة الإدريسية بالسنة، كأحد المبادئ التي قامت عليها دولة الأدارسة، ولإثارة عاطفة السكان المغاربة حتى يتجاوبوا مع الدعوة الجديدة[٥].

ومن المبادئ الأخرى التي كانت الأساس في قيام الدولة الإدريسية نذكر العدل والمساواة، والأمان، وتنفيذ الوعد، وعدم نقض العهود، والمحافظة على أهل البيت، وعدم تعطيل الحدود، وتنفيذها، وعدم سفك الدماء، والمحافظة على الإسلام[٦].

وكان إدريس الأول إمام من أئمة أهل السنة، وأنه هو وإخوته كانوا أبعد الناس عن التشيع[٧].

وأرى أن إدريس الأول كان سنياً، ودليل ذلك دفاعه عن حق آل البيت في الخلافة، ولكن الظروف اقتضت أن يساير قبيلة أوربة البربرية في اعتزالها، ولو كان إدريس قد تبنى الزيدية ولو ظاهرياً فالزيدية من أكثر الفرق الإسلامية اعتدالاً، باعتراف أهل السنة أنها أقرب إليهم من جميع الفرق الإمامية، لأنهم يوجبون الإمامة بالانتخاب لا بالنص، ولا يقولون بعصمة الإمام، ويجيزون تقديم المفضول على الأفضل، ويأخذ أكثرهم بالفقه الحنفي.

وقد يكون إدريس زيدياً من الوجهة السياسية لا الدينية، ولأسباب تتعلق ببناء واستقلال دولته دولة الأدارسة.

فكان إدريس الثاني ملازماً للحق، ولا ينحرف عن السنة، فألف الناس منه ذلك حتى عمهم الهناء، وأمنوا الجور، فكان يأخذ الجزية، وزكاة الأموال على منهاج الحق، ثم يصرف ذلك إلى مستحقيه[٨].

وقد انتشرت المبادئ الإدريسية السنية في المغرب، وخاصة في فاس، وتلمسان، وبسرعة كبيرة.

---

(١) حركات، إبراهيم، المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 2000م، ص115.
(5) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص25.
(6) المصدر نفسه، ص25.
(٤) المصدر نفسه، ص35، 38؛ وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص62.
(٥) حركات، المغرب، ج1، ص116.
(٦) حركات، المغرب، ج1، ص114.
(٧) المرجع نفسه، ج1، ص 116-117.
(1) السنوسيّ، الدرر السنية، ص86.

وما بناء مدينة فاس إلا تأكيد على هيبة وسلطان الدولة الإدريسية في المغرب، هذا العمل الإنساني الحضاري الذي يمثل رسالة الأدارسة في بلاد المغرب الأقصى، وقد قام إدريس الثاني بغزو بلاد المصامدة، وأخضع قبائلهم، ووصل في غزوهم إلى بلاد السوس الأقصى، إذ أخضع مدينة نفيس (١)، وإن دلَّ ذلك على شيء فإنما يدل على سرعة انتشار مبادئ دولة الأدارسة التي قامت عليها.

وعندما أراد إدريس الثاني الشروع ببناء مدينة فاس سنة 191هـ رفع يديه بالدعاء وقال: (اللهم اجعلها دار علم وفقه يتلى بها كتابك، وتقام بها حدودك، واجعل أهلها مستمسكين بالسنة والجماعة ما أبقيتها)(٢).

ويورد ابن أبي زرع في(روض القرطاس) حديثاً يرويه أبو هريرة عن النبي (ص) إذ يقول (ص): (ستكون مدينة تسمى فاس، أهلها أهل المغرب قبلة وأكثرهم صلاة، أهلها على السنة والجماعة، ومنهاج الحق، ولا يزالون متمسكين به، لا يضرهم من خالفهم، يدفع الله عنهم ما يكرهون إلى يوم القيامة)(٣).

ويكفي ذلك للاستدلال على أن الدولة الإدريسية دولة سنية وليست شيعية أو غير ذلك.

قامت دولة الأدارسة على نظام الوراثة إذ خلف يحيى بن محمد أخاه علياً، وكان أقدر ملوك الأدارسة، وأبعدهم ذكراً، وأوسعهم ملكاً، إذ شهدت فاس في عصره القصير ازدهاراً في العمران من حمامات، وفنادق، وبنيت الأرباض، ورحل إليها الناس من الثغور البعيدة. وتوفي وخلفه ابنه يحيى ابن يحيى، ولكنه حاد عن أهل السنة ومبادئ آل البيت، وكان ماجناً، محباً للشراب، معجباً بالنساء، فأساء السيرة، وخالف طريق سلفه، إذ راود إحدى النساء وكانت جارية من بنات اليهود، على نفسها، فثارت عليه العامة وعلى رأسهم عبد الرحمن بن أبي سهل الجذامي فأخرجوه من عدوة القرويين إلى عدوة الأندلسيين، وقد توارى بهذه العدوة إلى أن توفي(٤).

وقد بلغ خبر وفاة يحيى بن يحيى بن إدريس صاحب الريف، واستدعاه أهل الدولة من العرب، والبربر، والموالي، فقدم إلى فاس، ودخلها، وبايعه أهلها بالإمامة، وخطب له بمنابر أعمال المغرب، وقد انتقلت الإمامة من بني محمد بن إدريس إلى بني عمر بن إدريس، إلى أن ثار عليه عبد الرزاق الفهري الخارجي الصفري، الذي زحف إليه من جبل مديونه وقامت حرب بينهما أدت إلى فرار علي إلى بلاد أوربة، واستولى عبد الرزاق على عدوة الأندلسيين ولم يستطع الاستيلاء على عدوة القرويين، وولى أهالي عدوة القرويين يحيى بن القاسم المعروف بالعدام، حتى قتله ربيع بن سليمان سنة 292هـ/905م(٥).

ولما قتل يحيى بن القاسم خلفه يحيى بن إدريس بن عمر سنة 292هـ، وكان يحيى هذا أعلى أبناء إدريس ملكاً، وأعظمهم سلطاناً، وكان فقيها، عارفاً بالحديث، ولم يزل يحيى قائماً

(١) البكريّ، المغرب، ص123؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص28، 29،30؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص454.

(3) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص36.

(4) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص37.

(٤) الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص178؛ وانظر: مؤنس، تاريخ المغرب، م 1، ص 389؛ سالم، تاريخ المغرب، ص 397.

(٥) الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص180؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 79–80؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص 397؛ مؤنس، تاريخ المغرب، م1، ص 390.

بأمر الدولة حتى قدم مصالة بن حبوس الكتامي قائد عبيد الله المهدي سنة 305هـ/917م(١).

وفي هذا الشأن يقول ابن خلدون: (ولم يبلغ أحدٌ من الأدارسة مبلغه في الدولة والسلطان إلى أن طغى على ملكه عباب العبيديين (الفاطميين) الفاتحين بافريقية فأغرقه)(٢).

والتقى مصاله مع يحيى في منطقة مكناسة الزيتون، فهزمه مصالة، ودخل يحيى مدينة فاس مهزوماً، وكتب مبايعة عبيدالله الشيعي صاحب افريقية، وعاد مصاله إلى القيروان سنة 307هـ(٣).

وقبيل رحيل مصالة عين موسى بن أبي العافية المكناسي أميراً على منطقة تسول وبلاد تازه، وترك يحيى أميراً على فاس، وعندما عاد مصالة سنة 309هـ/921م قبض على يحيى وكبله بالأغلال، وأطلقه بعد عشرين سنة، ومات في المهدية سنة 322هـ/934م(٤).

وهكذا كما رأينا فإن الأمر استقر لموسى ابن أبي العافية، في المغرب الأقصى، وجزء كبير من المغرب الأوسط، وأصبحت هذه الأجزاء والنواحي تتحول شيئاً فشيئاً إلى المذهب الشيعي الفاطمي.

وقام ابن أبي العافية بحبس يحيى وأطلقه بعد عشرين سنة، ومات في المهدية سنة 332هـ/934م(٥).

وقام بعد يحيى الحسن بن محمد الحجام، واستولى على فاس، وبايعه الناس سنة 310هـ ولكنه مات سنة 313هـ/925م، فاستولى موسى بن أبي العافية على ملك الأدارسة ببلاد المغرب، وشايع الفاطميين في افريقية(٦).

وهكذا نرى أن دولة الأدارسة قد زالت على يد موسى بن أبي العافية من ناحية، وعلى أيدي الفاطميين من ناحية أخرى، وانتظم المغرب الأقصى إلى آل العافية.

وهكذا بقي حكم الأدارسة ببلاد المغرب قرنين وثلاث سنوات من 172-373هـ، وكانت الدولة الإدريسية أول دولة سنية المبادئ في تلك البلاد.

يلاحظ ممَّا سبق، أن الدولة الإدريسية، وعلى الرغم من انتمائها إلى آل البيت العلوي الحسني، فلم تكن دولة شيعية بالمعنى الشائع كما يظن بعض الناس، إذ كان لمذهب مالك

---

(١) الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص181؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 80؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص 398؛ مؤنس، تاريخ المغرب، م1، ص 390.

(٢) ابن خلدون، العبر، ج4، ص 16.

(٣) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 80؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص 398.

(٤) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 81؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص 399؛ مؤنس، تاريخ المغرب، م1، ص 395 وما بعدها؛ حاجيات، عبد الحميد، تاريخ دولة الأدارسة من خلال كتاب (نظم الدرر القِقيان) لأبي عبدالله التنسي (ت 899هـ/1494م)، تح عبد الحميد حاجيات، مجلة التاريخ، النصف الثاني من سنة 1980م، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، 1980م، ص 40-41.

(٥) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 52-53، ابن خلدون، العبر، ج 4، ص16؛ وانظر: وفيقة، نشوء الدويلات، ص24.

(٦) البكريّ، المغرب، ج 1، ص125؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 53؛ ابن خلدون، العبر، ج 4، ص16؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج 2، ص478-479؛ حركات، المغرب، ص 101؛ وفيقة، نشوء الدويلات، ص24.

حضوره الواضح في هذه الدولة، وإدريس الأول نفسه يقول عن مالك (نحن أحق باتباع مذهبه، وقراءة كتابه).

وخلاصة القول: إن المبادئ التي قامت عليها دولة الأدارسة هي مبادئ أهل السنة والجماعة والعدل والمساواة وحسن المعاملة، والفضل، وإقامة الحق، وإقامة حدود الله والتقوى، وقد نهجوا في حكمهم نهج الشورى، ولم يرهقوا رعاياهم بجبايات ثقيلة، كما أن الأدارسة قد عاشوا حياة بسيطة بعيدة عن الترف، ولم تكن لهم عصبية تسندهم، ولا أجناد مرتزقة يعتزون بهم، واختلطوا بأهل البلاد من البربر وغيرهم، وحاصروهم، حتى انتشر نسلهم، وما زال أحفادهم يحظون بمكانة عالية في نسيج المجتمع المغربي حتى هذا اليوم.

ومما يدل على أن دولة الأدارسة قامت على مبادئ أهل السنة والجماعة، أن إدريس الثاني عندما فرغ من بناء مدينة فاس خطب خطبة قال فيها: (اللهم انك تعلم أني ما اردت بناء هذه المدينة مباهاة، ولا مفاخرة، ولا سمعة، ولا مكابرة، وإنما أردت ببنائها أن تعبد بها ويتلى بها كتابك، وتقام بها حدودك، وشرائع دينك وسنة نبيك (ص) ما أبقيت الدنيا)[١].

- موقف السكان المحليين من دولة الأدارســـــة :

لم تكن لتقام دولة الأدارسة في المغرب الأقصى لو لم تقف قبائل البربر بقوة مع إدريس ابن عبدالله العلوي الذي سار مع مولاه راشد، وأسس دولته (172-177هـ/788-793م)[٢].

وكانت قبيلة أوْرَبَة البربرية مدت يد العون والتأييد عند تأسيس إدريس بن عبدالله لدولة الأدارسة[٣]، وعلى رأسها أميرها إسحق بن محمد الأوْرَبيّ[٤].

إن استقرار النفوذ العباسيّ في افريقية قد شجع على الهجرة إلى بلاد المغرب. ونرى أن استقرار النفوذ العباسيّ في افريقية شجع الهجرة إلى هذه البلاد وكانت مدداً مستمراً، إذ بالعرب الذين يصلون إلى المغرب الأقصى لا يكاد يستقر بهم المقام حتى يفكروا في العبور إلى الأندلس حتى تنتظرهم فرص مغرية للعمل والثراء[٥].

وهذا الاعتبار قلل كثافة العنصر العربي، وضيق الرقعة التي كان الإسلام منتشراً فيها لدى مجئ إدريس الأول واستقراره وعدم انتشار اللغة العربية (لغة القرآن بشكل واضح) وكلا الأمرين شكل مهمة صعبة لدولة الأدارسة[٦].

---

(1) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص49.

(٢) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص154؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص19؛ وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية،، ص61-62؛ حسن، تاريخ الإسلام، ج2، ص224.

(٣) البكريّ، المغرب، ص118؛ مجهول، الاستبصار، ص194؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص68؛ وأنظر: حسن، تاريخ الإسلام، ج2، ص224.

(٤) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص154؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص19؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص147؛ أنظر: حركات، المغرب، ص 97؛ زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص428؛ حسن، تاريخ الإسلام، ج2، 224.

(٥) العربي، دولة الأدارسة، ص 40؛ السعداني،عبد اللطيف، إدريس الإمام وباعث الدعوة، مجلة كلية الآداب، ع4-5، جامعة محمد بن عبدالله، فاس، المغرب، 1981-1982م، ص 18-19.

(٦) العربي، دولة الأدارسة، ص 40؛ السعداني، إدريس الإمام، ص 18-19.

ولذلك فقد عملت الدولة الإدريسية على نشر الإسلام في ربوع المغرب الأقصى حيث بنو سياستهم على الجهاد باللسان أولاً والدعاء إلى الله بالموعظة الحسنة والنصيحة، والحض على طاعة الله، والتوبة عن الذنوب بعد الإنابة والإقلاع، ونشر مبادئ الإسلام الأساسية كالحق والصدق والصبر والرحمة والرفق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا وصلوا إلى هذه المرحلة من نشر مبادئ الإسلام قاموا بالدعوة إلى مبادئهم وإظهار دعوتهم(١).

وقد ناصرت قبائل أوربة، ومغيلة، وصيدنه، وبعض القبائل البربرية الأخرى إدريس، وبايعته، وقوت من شوكته، وعملت على استتباب أمره، واستجابت لدعوته، وناصرت أهل البيت العلوي(٢)، وبذلك دخلت في طاعة إدريس بن عبدالله قبائل زواغة، وزناته، وزوارة، ولماية، وسدراته، وغياثه، ونفزه، ومكناسة، وغمارة، وقد أتاه الناس من كل حدب وصوب، لإعلان الطاعة والمناصرة للثائر العلوي الهاشمي إدريس بن عبدالله(٣).

منذ أن انطلق إدريس في رحلته إلى المغرب كان يهدف إلى الدعوة، وكان خائفاً يترقب، ينتقل في حيطة وحذر، وحفت به المخاطر، وقد وصف حاله قائلاً **(**واعلموا معاشر البربر أني أتيتكم وأنا المظلوم، الملهوف، الطريد، الشريد، الخائف، الموتور، الذي كثر واتره، وقل ناصره، وقتل أخوته، وأبوه، وجده، وأهلوه**)**(٤).

فكان هذا من الأسباب التي جعلت البربر يتعاطفون مع قضية المولى إدريس، ويرحبون به، ومن الأسباب الأخرى التي جعلت البربر يرحبون بالأدارسة في المغرب الدعوة إلى الله بالموعظة الحسنة، والمبادئ التي نادت بها دولة الأدارسة من الحض على طاعة الله، والتوبة عن الذنوب، والصبر، والرحمة، والصدق، والحق، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر وغيرها من المبادئ السمحة التي استمالت قلوب قبائل البربر.

ولمّا استقام أمر مؤسس الدولة الإدريسية أقام جيشاً عظيماً من مناصريه من القبائل البربرية، ومنها: زناتة، وأوْرَبَة، وصنهاجة، وهوارة، وغيرهم(٥).

وخرج إدريس بن عبدالله غازياً إلى بلاد تامسنا، ثم إلى بلاد تادلا **(**قرب تلمسان وفاس**)**، وفتح معاقلها، وحصونها، وكان أكثر سكان هذه البلاد من برغواطه من المجوس والنصرانية، وقد أسلموا على يديه طوعاً وكرهاً، وهدم معاقلهم، وحصونهم، وما زال يدعو إلى اِلإسلام، ويقنع الناس بقضية أهل البيت العلوي(٦).

---

(١) حسن، تاريخ الإسلام، ج2، ص 224؛ السعداني، إدريس الإمام، ص 18.

(٢) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص155؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص20؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص12، ج6، ص147،: أنظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص62.

(٣) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص155؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص20؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص12؛ ج6، ص147؛ وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص62.

(٤) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص153؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص18–19.

(٥) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص156؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص20؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص149؛ وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص 62؛ سالم، تاريخ المغرب، ص383؛ وفيقة، نشوء الدويلات، ص21.

(٦) ياقوت، معجم البلدان، ج 2، ص 5–6؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص 156؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص 192؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص20؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص149.

وقد أقام إدريس بن عبدالله في تلمسان إلى سنة 174هـ/790م ثم عاد إلى وليلي، ومر أثناء عودته بمنطة تازا، إذ أطاعته قبائلها، وكملت له الإمارة(١).

وعاد إلى مدينة وليلي منتصراً، فدخلها في أواخر سنة 172هـ، وأقام بها خلال شهر محرم أول سنة 173هـ ريثما استراح الناس، ثم خرج غازياً على من بقي من قبائل البربر بالمغرب على دين المجوسية مثل برغواطة، والنصرانية، ولم يزل يحاصرهم في حصونهم حتى دخلوا الإسلام طوعاً وكرهاً(٢).

وكانت البلاد التي غزاها كثيرة الحصون فندلاوة، وحصون مديونة وقلاع غياثة وبلاد فازاز ثم عاد إلى مدينة وليلي، فدخلها منتصف جماد الآخرة من سنة 173هـ(٣).

وكان إدريس بن عبدالله يسعى لتوسيع نطاق دولته، ومد نفوذه السياسي، وإطواء القبائل تحت رايته، وكان يسعى من خلال تأسيس الجيش الذي عوّل عليه الكثير لتحقيق الهدف الأول من دعوته وهو تأسيس قواعد الدولة على أساس إسلامي صحيح، ولإزالة ما علق بالإسلام من شوائب، وبدع، وخرافات، وشعوذة، وخزعبلات، التي لا زال البربر يؤمنون بها(٤).

وكانت وجهة حملته الأولى إلى الجنوب والشرق من جهة تامسنا، وتضم قبائل شتى، منها: برغواطة، ومطماطة، وبنو تسلت، وبنو يعمران، وغيرها من القبائل، ثم بلاد تادلا ففتح إدريس حصونها، ومعاقل قبائل شالة، وفندلاوة، وبهلوانه، ومديونه، ورجع بجيشه إلى وليلي أواخر سنة 172هـ/30أيار789م(٥).

وأخذ راشد البيعة له من جميع قبائل المغرب فبايعوه كما بايعوا أباه من قبله، وكانت بيعته في جامع وليلي يوم الجمعة شهر ربيع الأول 181هـ/الموافق العاشر من شهر آذار عام 802م، وكان عمره أحد عشر عاماً وخمسة أشهر(٦).

إن انتساب إدريس الثاني إلى بيت النبوة وآل البيت والأسرة العلوية، وصفاته الخلقية إذ كان يتصف بالتقوى، وحسن التربية، والصلاح، وإيثار العدل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كل ذلك كان له دوره في إيجاد المناصرين والمؤيدين له(٧).

وأدى ذلك إلى استقبال الأعداد الكبيرة من الداخلين في طاعته، والمتلقين لدعوته من عرب افريقية والأندلس (من القيسية، والأزد، ومدلج، وبني يحصب، والصدف في نحو خمسمائة رجل)(١).

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص84؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج 1، ص100، أنظر: العربيّ، دولة الأدارسة، ص65؛ سالم، تاريخ المغرب، ص285؛ وفيقة، نشوء الدويلات، ص22.

(7) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص156؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص21؛ وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص63.

(1) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص156؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص21؛ وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص63.

(٤) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص7؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص434.

(٥) البكريّ، المغرب، ص135؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج1، ص431.

(٦) البكريّ، المغرب، ص 123؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص161؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص27؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص13؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص239.

(٧) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص84؛ وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص 84؛ زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص441.

وكانت هناك أعداداً كبيرة من المناصرين لإدريس الثاني من المهاجرين العرب للأندلس وافريقية، ذلك لوجود اضطرابات في الأندلس وافريقية، الأمر الذي دفع الكثير من العرب إلى الهجرة إلى المغرب الأقصى حتى ضاقت بهم وليلي[٢].

لذلك قرر إدريس الثاني البحث عن مكان آخر غير وليلي حتى يتخذها مدينة له، ولخاصته، ولجيشه، ووجوه مملكته، ولذلك اتخذ مدينة فاس[٣].

وقد قام وزيره عمير بن مصعب الذي خرج سنة 191هـ/806م، ونجح في اختيار موقع فاس، إذ أنه قام بفحص الأرض وقربها من الماء، وكان الموقع فيه سكنى قبيلتي زواغه (بني الخير) وبنو يزغتن، وكل قبيلة منهما على ضفة من نهر فاس[٤].

وقام إدريس الثاني بالمصالحة بين القبيلتين، إذ كان بينهما حروب ونزاعات، ذلك أن بعض البربر في ذلك الموضع كانوا على ديانات اليهودية، والنصرانية، والمجوسية، وقام إدريس بإدخال هذه القبائل إلى الإسلام بعد أن كانوا أشتاتاً[٥].

أمَّا عن عناصر السكان في مدينة فاس عاصمة الأدارسة، فقد كانت تضم العرب القيسية، والأزد، والحفصيين والفرس على حد القيسية. أما صنهاجة ولواته ومصمودة، فقد كانت في مختلف الأحياء في المدينة[٦].

ومهما يكن من أمر، فإن الأدارسة استطاعوا نشر الإسلام، واللغة العربية، والحضارة العربية الإسلامية، في المغرب الأقصى، فكان الفضل لقادة الفتح العربي الأول معاوية بن حديج، وحسان بن النعمان الغساني، وواصل إدريس الأول دورهما حينما هرب من موقعة فخ المشهورة إلى مصر ثم إلى المغرب، وقد كان لانتمائه إلى البيت الهاشمي دوره في نشر الإسلام في المغرب الأقصى، إذ أن قبائل البربر ناصرت الأدارسة والذي استطاع من بناء دولته في المغرب الأقصى.

وعندما قسم محمد بن إدريس الذي تولى الحكم بعد والده إدريس بن إدريس الأول بلاد المغرب بين اخوته حدثت فتنة بين اخوانه، إذ خرج على محمد بن إدريس أخوه عيسى بمدينة آزمور ورفض طاعته، فكتب محمد إلى أخيه القاسم صاحب طنجة، بمحاربة عيسى فامتنع من ذلك[٧].

---

(١) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص163؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص13.

(٢) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص163؛ وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص85؛ زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص442.

(٣) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص164-165؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص445-446.

(٤) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص165؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص445-446.

(٥) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص165؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص445-446.

(٦) العربيّ، دولة الأدارسة، ص86.

(٧) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص173؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص51.

ثم كتب محمد إلى أخيه عمر صاحب تيكساس بمحاربة عيسى، فأطاعه، وزحف إلى عيسى في قبائل البربر، وأمده محمد بألف فارس من زناته، فأوقع عمر بعيسى فهزمه، وطرده من عمله، فشكره محمد، وولاه حكم بلاد أخيه عمر[١].

ثم زحف عمر إلى القاسم، ونزل بظاهر طنجة، واستولى على ما بيد القاسم من بلاد فصار الريف البحري كله تحت سيطرة عمر من تيكساس، وبلاد غمارة إلى سبته ثم إلى طنجة ثم إلى أصيلا والعرايش، ثم على سلا، ثم إلى آزمور، وبلاد تامسنا [٢]، وظلت هذه البلاد تحت حكم عمر بن إدريس حتى وفاته سنة 220هـ[٣].

وعندما توفي محمد بن إدريس سنة 221هـ تولى الخلافة ابنه علي، وقد بايعه السكان وكان يلقب على (بحيدرة)، وكان عمره تسع سنين وأربعة أشهر، فقام الأولياء والحاشية من العرب والبربر بكفالته، وكانت أيامه أيام ازدهار للدولة الإدريسية، وكان السكان المحليون في عهده يعيشون في أمن ورخاء حتى وفاته سنة 234هـ[٤].

وتولى الخلافة بعده يحيى بن محمد بن إدريس، إذ امتد سلطانه، وعظمت دولته، وجاء الناس من الأندلس، وافريقية، وجميع بلاد المغرب[٥].

وفي عهد يحيى بن يحيى بن محمد حدثت فتنة، حين دخل على إحدى اليهوديات وهي في الحمام، حيث أشارت عليه زوجته عاتكة بنت علي بن عمر بن إدريس بالاختفاء بعدوة الأندلس، ريثما تسكت الفتنة، فمات من ليلته[٦].

وفي عهد علي بن عمر بن إدريس خرج عليه عبد الرزاق الفهري الخارجي، وكان من أهل وشقة من بلاد الأندلس قام بجبال بويبلان من أعمال مدينة فاس، إذ تبعه الكثير من البربر المؤيدين والمناصرين له، وقام عبد الرزاق ببناء قلعة بجوار بلاد مديونه أطلق عليها وشقه على اسم بلده في الأندلس[٧].

وكان عبد الرزاق قد زحف إلى قرية صفرون، فبايعه أهلها من البربر، وحصلت معركة بين علي بن عمرو وجماعة عبد الرزاق، ودخل عبد الرزاق مدينة فاس وامتنع أهل عدوة القرويين في فاس على تأييده[٨].

وكان أهل عدوة القرويين قد بعثوا إلى يحيى بن القاسم بن إدريس (المقدم)، إذ وصل إليهم، فبايعوه، وولوه على أنفسهم، وقاتل عبد الرزاق الخارجي حتى هزمه، وأخرجه من عدوة الأندلس، فدخلها وبايعه أهلها وجميع من بها من الأندلسيين، واستعمل يحيى بن القاسم على عدوة الأندلس ثعلبة بن محارب بن عبدالله من أهل الربض من شذونه، وعندما توفي ولى ابنه عبدالله[٩].

---

(١) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص173؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص52.
(٢) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص173؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص52.
(٣) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص173؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص52.
(٤) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص174–175؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص53.
(٥) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص175؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص54.
(٦) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص178؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص77.
(٧) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص179؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص79.
(٨) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص179؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص80.
(٩) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص180؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص79.

وفي عهد يحيى بن القاسم بن إدريس في سنة 260هـ عمَّ القحط، والغلاء جميع بلاد الأندلس، والمغرب، وافريقية، ومصر، والحجاز حتى رحل الناس عن مكة إلى الشام، ثم كان بالمغرب والأندلس وباء عظيم مع غلاء الأسعار، إذ عدمت الأقوات، ومات الكثير من الناس وذلك سنة 285هـ[١].

وفي سنة 292هـ خرج ربيع بن سليمان لقتال يحيى بن القاسم بن إدريس فقتله[٢].

وفي عهد يحيى بن إدريس بن عمر 292هـ بايعه أهل عدوة فاس، وامتد حكمه على سائر بلاد المغرب، وخطب له على جميع منابر المغرب، وكان قوي السلطان، واوسع بني إدريس ملكاً، ولم يزل على حكم المغرب الأقصى إلى أن جاء مصالة بن حبوس المكناسي قائد عبيدالله الشيعي القائم بافريقية سنة 305هـ، وهزم على يد مصالة، إذ دخل مصالة مدينة فاس وحاصر يحي بن إدريس بن عمر إلى أن صالحه يحيى على مال وكتب بالبيعة لعبيد الله الشيعي صاحب افريقية، ولذلك ارتحل مصالة إلى القيروان[٣].

وكان مصالة قد عقد لابن عمه موسى بن أبي العافية على بقية بلاد المغرب، بعد أن ترك فاس ليحيى بن إدريس بن عمر، وبذلك صار المغرب في ملك العبيديي، وأصبحت دولة الأدارسة ضمن دولة العبيديين الفاطميين[٤].

إلا أن موسى بن أبي العافية حرض مصالة بن حبوس على يحيى بن إدريس بن عمر سنة 309هـ، فقام بتعذيب يحيى، وصادر أمواله، وممتلكاته، ثم نفاه إلى نواحي آصيلا، ثم قبض عليه موسى بعد ذلك وسجنه عشرين سنة بمدين الكاي[*]، ومات سنة 332هـ[٥].

وفي سنة 311هـ عاد المغرب الأقصى لحكم دولة الأدراسة، فقد ظهر الحسن الحجام[*] بن محمد بن القاسم بن إدريس، وخرج لقتال موسى بن أبي العافية، فالتقى به في منطقة تسمى فحص الزاد على مقربة من وادي المطاحن ما بين فاس وتازا، فأوقع الحجام بموسى، وقتل ألفين وثلاثمائة من جماعة موسى بينهم ابن موسى، واسمه منهال، وقتل من عسكر الحجام سبعمائة رجل، ثم عاود موسى الكرة، وانقض على عسكر الحجام، وتبع قواته حتى مدينة فاس.

إلا أن حامد بن حمدان الهمداني ندم على فعلته مع الحجام، وكره المجاهرة بسفك دماء آل البيت، وفك حامد قيد الحجام ليلاً، ورحل الحجام إلى عدوة الأندلس حتى توفي سنة 313هـ، وأراد موسى الانتقام من حامد الذي كان قد فرَّ إلى المهدية[٦].

وفي سنة 313هـ انقرضت دولة الأدارسة من فاس، وأصبح المغرب الأقصى تحت حكم العبيديين أصحاب افريقية والمروانيين من بني أمية حكام الأندلس[١].

---

(١) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص180-181.

(٢) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص79-80.

(٣) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص182؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص80.

(٤) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص183؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص81.

(*) الكاي: أو الكاي، قلعة منيعة يظن أنها كانت بناحية جبالة حيث قبيلة جاية (سجاية) الحالية. أنظر: ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص81.

(٥) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص183؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص81.

(*) الحجام: كان عامل الحسن الحجام حامد بن حمدان الهمداني ويقال له الأوربي قد غدر بالحسن الحجام حيث دخل عليه ليلاً في داره فقيده وأخذه إليه وأغلق المدينة في وجه جند الحجام وأخبر موسى بن أبي العافية بذلك. أنظر: الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص185؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص83.

(٦) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص185-186؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص83.

واستولى موسى بن أبي العافية على جميع بلاد المغرب، وبايعته القبائل، وشيوخها، وأجلا جميع الأدارسة عن بلادهم وأخرجهم من ديارهم وملك مدينة أصيلا وشاله، ولجأوا إلى قلعة حجر النسر (*) واستولى موسى على تلمسان، ونكور (*)، وأصبح المغرب الأقصى بقبائله تحت حكمه، وسيطرته(٢).

▪ موقف الدولة العباسيّة من دولة الأدارســــة :

كانت الغالبية العظمى من المسلمين ترى أن بني هاشم أحق بالخلافة من بني أمية، ذلك لأن بني هاشم هم آل بيت النبي (ص)، وعشيرته الأقربون، وهم أهل العلم، والدين، وتصديقاً لقول النبي (ص): (أن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين)، وقال (ص) أيضاً: (لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي فيهم اثنان)(٣).

وبعد أن قامت الدولة العباسيّة، أراد العباسيّون أن تكون الخلافة مقصورة عليهم دون غيرهم من بني هاشم، وكان بنو علي بن أبي طالب ينازعون بني أمية وبني العباس في هذا الأمر (الخلافة)(٤).

وكان بنو علي (الطالبيون) يثورون في بعض المناطق ويدعون لانتزاع حقوقهم طالبين حقهم في الخلافة، ومنهم عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب(٥).

وقيام الدولة العباسيّة يعني أن الطالبيين سيزاولون ثوراتهم ضد الدولة العباسيّة، خاصة وأن أهل البيت في المدينة قد اختاروا محمد بن عبدالله بن الحسن (النفس الزكية)، وبايعوه بالخلافة(٦).

وقفت الدولة العباسيّة موقفاً عدائياً من قيام دولة الأدارسة في المغرب، ويرجع هذا العداء إلى بداية قيام الدولة العباسيّة سنة 132هـــ، وذلك بعد القضاء على دولة بني أمية حيث استأثر العباسيّون بالحكم، واعتبروا الخلافة من حقهم وحدهم دون غيرهم من الطالبيين، الأمر الذي أدى إلى الخصومة والعداء بينهما.

وكان الخليفة العباسيّ المنصور (أول من أوقع الفتنة بين العباسيّين والطالبيين)، كما يقول السيوطي في كتابه تاريخ الخلفاء(٧).

---

(١) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص186؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص83-84.

(*) قلعة حجر النسر: في إقليم تطوان في المغرب الأقصى. أنظر: ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص84.

(*) نكور: مدينة مغربية قديمة تقع قرب فردي نكور وهي غير بعيدة عن منطقة الحسيمة. أنظر: ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص84.

(٢) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص186-187؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص83-84.

(٣) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص148،147.

(٤) المصدر نفسه، ج1، ص 148.

(٥) المصدر نفسه، ج1، ص 148.

(٦) المصدر نفسه، ج1، ص 148.

(٧) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص209.

وفي سنة 145هـ قام جماعة من الطالبيين، وعلى رأسهم محمد (النفس الزكية) وأخوه إبراهيم بالخروج على الخليفة المنصور لكن المنصور استطاع القضاء عليهما. ومن إخوة محمد (النفس الزكية) كان إدريس الأول[١].

وخلال الفتنة بين الخليفة المنصور ومحمد (النفس الزكية) جرت مراسلات، إذ يقول ابن فضل العمري: (ودارت بينهم كتب بديعة في إقامة الحجج وكان المنصور فيها الألد الخصم، والأشد عقداً لا ينفصم)[٢].

وكان الخليفة المنصور يتحدث بمنطق القوة والسلطة، وأن العباسيّين هم أولى بالخلافة من الطالبيين، لأنهم أبناء عم الرسول (ص) وليس الذكر كالأنثى.

إذ أن الطالبيين استندوا في حجتهم على أنهم أبناء علي وفاطمة بنت الرسول. ومما جاء في أقوال محمد (النفس الزكية) في ذلك: (فأنا أحق بهذا الأمر منكم، وأنتم إنما وصلتم إليه بنا، فإن علياً كان الوصي وكان الإمام، فكيف ورثتم ولايته وولده أحياء؟)[٣].

واستمر العداء بين العباسيّين والطالبيين وأخذ يزداد من قبل العباسيّين الذين لاحقوا الطالبيين في مختلف الأماكن، سنة 169هـ، وفي عهد الخليفة الهادي خرج جماعة من الطالبيين في مكة والمدينة، وعلى رأسهم الحسين بن علي بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب على الخليفة العباسيّ، الذي لم يتردد في القضاء عليهم، إذ استطاع القائد العباسيّ محمد بن سليمان من إلحاق الهزيمة بالحسين ومن معه من الطالبيين في موقعة فخ[٤].

وقد ظهر محمد بن عبدالله بن الحسن (النفس الزكية) في المدينة في جمادى الآخرة سنة 145هـ، وقد بايعه خلق كثير وتسمى بالمهدي، وعندما علم أبو جعفر المنصور بظهوره وجه إليه عيسى بن موسى الهادي بجيش عدده أربعة آلاف، وحصلت معركة بينهما في ظاهر المدينة، فقتل محمد النفس الزكية في رمضان سنة 145هـ[٥].

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص201؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص164-165؛ ابن الطقطقي، الفخري، ص164-165؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص4؛ السنوسيّ، الدرر السنية، ص66.

(٢) ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح محمد عبد القادر خريسات وحسن محمد النابورة، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربيّة المتحدة، ط1، 2004م، ج24، ص11.

(٣) الطبريّ، تاريخ، ج 4، ص430-431؛ ابن كثير، الحافظ أبو الفداء، البداية والنهاية، تح أحمد بعد الوهاب فتيح، دار الحديث، القاهرة، (د.ت) ج 10، ص92-93،؛ ابن خلدون، العبر، ج 4، ص4؛ مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد، كتاب تجارب الأمم، تح أبو القاسم إمامي، دار سروش، طهران، إيران، 2001م، ج1، ص394-400.

(٤) الطبريّ، الرسل والملوك، ج 4، ص596؛ ابن الأثير، الكامل، ج 5، ص75؛ ابن خلدون، العبر، ج 4، ص13؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ج 1، ص 51؛ اليافعي، عبدالله بن سعد بن علي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، علق عليه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، ج1، ص278. وسيشار إليه فيما بعد: اليافعي، مرآة الجنان؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص21.

(3) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، التنبيه والإشراف، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1981م، ص311. وسيشار إليه فيما بعد: المسعودي، التنبيه؛ ابن الأثير، الكامل، ج 5، ص201؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص164-165؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 4؛ وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص66.

(4) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1988م، ج 3، ص 336-337؛ ياقوت، معجم البلدان، ج 4، ص327-328؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص16.

وكان ظهور أخيه إبراهيم في البصرة، إذ سيطر على البصرة، والأهواز، وواسط، وكثر

مؤيدوه، وقد حدثت معركة بينه وبين جيش المنصور بقيادة عيسى بن موسى في مكان يقال له باخمرى، إلا أن إبراهيم قتل، وانهزم من كان معه(١).

وكان أهل المدينة قد استفتوا الإمام مالك بن أنس حول تأييد محمد (النفس الزكية) في ثورته ومبايعتهم لأبي جعفر المنصور، فأجابهم الإمام مالك بأن بيعة أبي جعفر المنصور كانت بالإكراه، وأن محمد بن عبدالله هو أحق منه، ذلك أنه من آل البيت الهاشمي، وهو أحق بالخلافة من غيره(٢).

وكان أبو جعفر المنصور قد أعدّ جيشاً لحرب محمد بن عبدالله، وكان وقائد جيشه ابن عمه عيسى بن موسى العباسيّ، وقد قدمت جيوش العباسيّين المدينة وحدثت معركة بينهما(٣).

وقام محمد (النفس الزكية) فأحرق الديون التي كان مسجلاً فيها أسماء من بايعه، وقتل رباح بن عثمان عامل العباسيّين على المدينة، ثم عاد إلى المعركة، إذ تفرق عنه أصحابه ولم يبق إلا ثلاثمائة رجل، فقاتل حتى قتل(٤).

أما إبراهيم بن عبدالله أخو محمد (النفس الزكية)، فقد قتل على يد عيسى بن موسى في منطقة بخمرة في ذي القعدة سنة 145هـ، وكان مؤيدوه يزيدون عن مائة ألف(٥).

وكانت موقعة (فخ) شديدة على الطالبيين، إذ قتل الكثير منهم، وبقيت أجسادهم على الأرض حتى أكلت منها السباع والطير، وفي ذلك يقول الشاعر(٦):

فلا بكيت على الحسيـــــــن بعولة وعلى الحســـــــــن
وعلى ابن عاتكة الـــــــــذي وارده ليس بذي كفـــــــن
تركوا بفخ غـــــــــــــدوة في غير منزلة الوطـــــــن

وكان من ضمن الذين خرجوا مع (الحسن بن علي) على الخليفة الهادي يحيى بن عبدالله، وإدريس بن عبدالله. وقد نجا من موقعة فخ، أما يحيى فقد هرب إلى بلاد الديلم، وجمع حوله كثيراً من الأنصار، إلا أن الخليفة العباسيّ هارون الرشيد أرسل إليه بالأموال

---

(1) المسعودي، التنبيه ص311.
(2) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص150.
(3) المصدر نفسه، ج1، ص150.
(4) المصدر نفسه، ج1، ص150؛ ابن الأثير، الكامل، ج5، ص9–10.
(5) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص151؛ ابن الأثير، الكامل، ج5، ص19؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص16.
(6) ابن الطقطقي، الفخري، ص164.

والهدايا، وطلب منه الرجوع إلى طاعة الخليفة، ونجحت جهود هارون الرشيد في ذلك، إذ رجع يحيى إلى بغداد، ومات فيها[١].

إلا أن هارون الرشيد وخوفاً من امتداد سلطانه وازدياد أعداد مؤيديه ومناصريه قد بعث إليه جيشاً وعدده خمسون ألفاً بقيادة أحد قواده واسمه الفضل بن يحيى، إذ كان الرشيد قد ولاه جرجان، وطبرستان والري، وكان الفضل بن يحيى قد رهبه ورغبه في الصلح، وطلب يحيى الصلح والأمان من الرشيد، وأن يشهد عليه القضاة، والفقهاء، ومشايخ بني هاشم، وقدم إليه بن عبدالله، فاستقبله الرشيد بداية الأمر، ثم أمر بحبسه ثم قتله[٢].

أما إدريس بن عبدالله فقد تمكن بعد النجاة من موقعة (فخ) من الهرب، والوصول سراً إلى بلاد المغرب الأقصى، إذ استطاع أن يؤسس دولة الأدارسة التي وقفت لها الدولة العباسيّة بالمرصاد، وحاولت القضاء عليها قبل أن تنمو وتكبر[٣].

ولم تكن موقعة (فخ) سنة 169هـ نهاية مطاردة وملاحقة العباسيّين للطالبيين، بل استمرت هذه الملاحقة للذين هربوا، وكان من أشهرهم إدريس بن عبدالله الذي استطاع مع مولاه راشد الوصول إلى مصر، وكان الوالي فيها علي بن سليمان العباسيّ، وتمكن إدريس بمساعدة صاحب البريد في مصر ويدعى (واضح) وهو مولى صالح بن المنصور، من التخفي والفرار إلى أرض المغرب، إذ نزل مدينة وليلي من أعمال طنجة حيث أسس دولة الأدارسة[٤].

ونلاحظ مما سبق أن إدريس بن عبدالله لم يكن يصل إلى أرض المغرب ويقيم دولة الأدارسة إلا بعد السرية والحذر الشديد، وتوافر الأعوان، مثل: والي مصر العباسيّ الذي سهل خروجه[٥]، وكذلك صاحب البريد واضح الذي حمله إلى أرض المغرب [٦] وذلك خوفاً من سلطة الخليفة العباسيّ[٧].

ولم تترك الخلافة العباسيّة ممثلة بالخليفة من ساعد إدريس بن عبدالله مؤسس دولة الأدارسة، فقد جاء في رواية الكندي أن الخليفة هارون أمر بعزل والي مصر العباسيّ علي بن سليمان لمساعدته إدريس في الهرب[٨].

---

(7) ابن الأثير، الكامل، ج 5، ص291؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ج 1، ص51؛ ابن خلدون، العبر، ج 4، ص12.

(1) ابن الطقطقي، الفخري، ص193.

(2) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص82؛ ابن حزم، جمهرة، ص 49؛ ابن فضل العمري، مسالك الأبصار، ج24، ص51.

(٤) ابن خياط، تاريخ خليفة، ج 2، ص478؛ الطبريّ، تاريخ، ج4، ص597-598؛ المقدسي، شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن بكر المعروف بالبشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، ص242-244. وسيشار إليه فيما بعد: المقدسي، أحسن التقاسيم؛ الرقيق القيروانيّ، تاريخ افريقية، ص215؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ج1، ص50؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص152.

(٥) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص94؛ الكندي، الولاة، ص131-132؛ زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص425.

(٦) الرقيق القيروانيّ، تاريخ افريقية، ص 215؛ابن الآبار، الحلة السيرا، ج 1، ص54-52؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص12.

(٧) السنوسيّ، الدرر السنية، ص10.

(٨) الكندي، الولاة، ص132.

وكذلك لم يفلت صاحب بريد مصر (واضح) من العقاب، لأنه ساعد إدريس أيضاً، فقد تم قتله وصلبه سنة 169هـ/785م، بناءً على أمر الخليفة الهادي [١]، وفي رواية أخرى أن الذي أمر بقتله هو الخليفة هارون الرشيد [٢]، يصف الطبري واضحاً فيقول: (وكان رافضياً خبيثاً)[٣].

وبعد رحلة طويلة من الهرب والخوف ترك إدريس بن عبدالله مدينة وليلى _قاعدة جبل زهرون في أراضي طنجة_ وحل على صاحبها الأمير إسحق بن محمد بن عبد المجيد زعيم قبيلة أوربة[٤].

وبعد أن عرف إدريس بنفسه، وأنه من أهل البيت، وما هي دعوته أكرمه اسحق، وأحسن ضيافته، وجمع البربر حوله بعد أن أخبرهم بحاله، يقول ابن خلدون: (واجتمعت عليه _إدريس_ زواغة، ولواته، وسراته، ونفراوة، ولمناسة، وغماره، وكافة بربر المغرب، فبايعوه، واعترفوا به)[٥]، وفي ذلك يقول إدريس حين بايعو[٦]:

وأصبحت في شماء بالمغرب عند من　　يذبون عني بالمنقفة الملـــــــــــد

دعوني لما ضيعتني أقاربـــــــــــي　　وما اطرحوا ما كان أوصى به جدي

ونلاحظ من خلال هذين البيتين كيف يمدح إدريس بن عباالله من وقف معه من البربر في المغرب، وكانت مبايعة إدريس بن عبدالله من قبائل البربر قد تمت في شهر رمضان سنة 172هـ[٧].

وقد خطب في الناس يوم البيعة، ومما قاله: (أيها الناس، لا تمدوا الأعناق إلى غيرنا، فإن الذي تجدونه من الحق عندنا لا تجدونه عند غيرنا)[٨].

وكانت هذه البيعة لإدريس بن عبدالله سنة 172هـ تعني قيام دولة جديدة مستقلة عن دولة الخلافة العباسيّة التي سوف تبادلها العداء، إذ أن الأدارسة قد قطعوا صلاتهم تماماً بالخلافة، وهذا يعني أن لا تذكر أسماء الخلفاء العباسيّين في الخطبة، ولا على الشكة، ولا يكون للعباسيين، دور في تقليد وتفويض أمور الدولة الناشئة[٩].

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج6، ص93.

(٢) الطبريّ، تاريخ، ج 4، ص60؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 195-196؛ ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص93؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، ص52.

(٣) الطبريّ، تاريخ، ج4، ص599.

(٤) البكريّ، المغرب، ج1، ص116؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص83؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص19؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص24؛ المقريزي، أبي العباس تقي الدين أحمد بن علي، المقفى الكبير، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991م، ج2، ص10. وسيشار إليه فيما بعد: المقريزي، المقفى.

(٥) ابن خلدون، العبر، ج 6، ص147؛ وانظر: الإدريسي، الدرر السنية، ص 62؛ مؤنس، تاريخ المغرب، وفيقة، نشوء الدويلات، بروكلمان، تاريخ الشعوب، ص98-99.

(٦) النويريّ، نهاية الإرب، ج24، ص51؛ المقريزي، المقفى، ج2، ص11.

(٧) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص20؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص24.

(٨) ابن خلدون، العبر، ج4، ص24.

(٩) ابن خلدون، العبر، ج 4، ص 24؛ وانظر:اسماعيل، الأدارسة، ص 103؛ الغنيمي، موسوعة تاريخ المغرب، ص270.

وبعد أن تمت مبايعة إدريس من قبائل البربر وجد في تلك المبايعة والنصرة القوة اللازمة للسير في تحقيق أهدافه، والتي تتفق ورسالة آل البيت وهي العمل على نشر الإسلام، والجهاد في سبيل الله، فزحف بجيشه نحو القبائل التي كانت تدين بالمجوسية، والنصرانية، واليهودية، واستطاع أن يفتح مدنهم مثل: تامسنا، وشالا، وتادلا، ثم وصل إلى مدينة تلمسان، إذ استسلم أميرها، ودخل في طاعة إدريس بن عبدالله، أبقى إدريس أمير تلمسان السابق عليها، ثم رجع إلى وليلي(١).

وعندما علم هارون الرشيد بمبايعة قبائل المغرب لإدريس بن عبدالله وفتح البلاد، وخوفاً من أن يتعاظم أمر إدريس ومحبة الناس له وخاصة وأنه من آل البيت الهاشمي، وأنه قد أسس جيشاً وعزم إدريس على فتح افريقة، الأمر الذي شكل قلقاً لدى الخليفة العباسيّ هارون الرشيد وانه إذا لم يتدارك هذا الأمر فإنه سيكون له عواقب وخيمة في المستقبل، ولذلك فإن الرشيد قرر الانتقام من إدريس بن عبدالله(٢).

ومن خلال الفتوحات والانتصارات التي حققها إدريس استطاع أن يصل إلى بلاد السوس الأقصى حيث كان أول من وصل إليها(٣).

ولم تكن انتصارات ونجاحات إدريس بن عبدالله في المغرب غائبة عن الدولة العباسيّة، إذ تذكر بعض الروايات التاريخية أن الخليفة هارون الرشيد فكر في إرسال جيش إلى المغرب لمحاربة إدريس بن عبدالله والقضاء عليه، لكن بُعد المسافة حال دون ذلك(٤).

واستشار الخليفة هارون الرشيد يحيى بن خالد البرمكي وكان من المقربين إليه في كيفية التخلص من إدريس فأشار عليه يحيى بن خالد برجل داهية ماكر وهو (سليمان بن جرير) المعروف بن (الشماخ)، واستطاع سليمان أن يصل إلى إدريس، ويتقرب منه، حتى أصبح من أقرب الناس إليه ولما وجد الفرصة مناسبة قام بقتله بواسطة السم، كما ذكرت كثير من المصادر ذلك(٥).

---

(١)ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 20–21؛ ابن خلدون، العبر، ج 4، ص12؛ وانظر: مؤنس، تاريخ المغرب، ص372.

(٢) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص157؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص21؛ وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص64؛ كحيلة، المغرب، ص64.

(٣) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص223؛ وانظر: وفيقة، نشوء الدويلات، ص22.

(٤) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 22؛ الناصريّ، الاستقصاء، ج 1، ص 67–68؛ وانظر: حسن، تاريخ الإسلام، ج2، ص224؛ وفيقة، نشوء الدويلات، ص22.

(٥) الطبريّ، تاريخ، ج4، ص599؛ الرقيق القيروانيّ، تاريخ افريقية، ص 180؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ج1، ص52؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص210؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 22–23؛ الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، العبر في خبر من عبر، تح صلاح الدين المنجد وفؤاد سيد، سلسلة التراث العربيّ، الكويت، 1960م، ج1، ص256؛ ؛ المقريزي، المقفى، ج2، ص12.

وكانت وفاة إدريس سنة سبع وسبعين ومائة [١]، وفي رواية أخرى سنة خمس وسبعين ومائة[٢]، وقال المقريزي: (وكان وفاة إدريس سنة تسع وستين ومائة)[٣].

وبعد أن أنجز الشماخ مهمته في اغتيال إدريس بن عبدالله، عرج على افريقية لإعلام حليف العباسيّين إبراهيم بن الأغلب بنجاح مهمته، وذلك بالقضاء على نواة الدولة الإدريسية إدريس بن عبدالله الحسني[٤].

وكان إبراهيم بن الأغلب قد كتب إلى الخليفة العباسيّ الرشيد يخبره بمقتل إدريس على يد سليمان بن جرير (الشماخ)، فقام الرشيد بتولية الشماخ بريد مصر، وكافأه على ذلك[٥].

وكان للأغالبة الدور الرئيس في محاولة القضاء على دولة الأدارسة، إذ كان الأغالبة يشهرون القدح في نسب الأدارسة، ويشككون به أمام الناس[٦].

إن عملية اغتيال مؤسس دولة الأدارسة في المغرب إدريس بن عبدالله، والتي تكاد تجمع المصادر التاريخية على دور الخليفة هارون الرشيد في ذلك، لدليل على الموقف العدائي الشديد الذي وقفته الدولة العباسيّة من دولة الأدارسة[٧].

ولقد دلت هذه المحاولة على متابعة الخليفة هارون الرشيد لما يجري من أحداث في الأجزاء البعيدة من الخلافة العباسيّة، وأن الخليفة لديه القدرة على الوصول إلى الأعداء، وهذا ما نلاحظه من الأبيات الشعرية التي قالها أنصار الخليفة من الشعراء[٨].

أتظن يا إدريس أنك مفلـــــــت كيد الخلافة أو يقيك فــــــــرار

إن السيوف إذا انتقاها سخطـــــه طالت وقصر دونها الأعمـــــــار

ملك كأن الموت يتبع أمـــــــــره حتى تخال تطيعه الأقــــــــــدار

كانت الدولة العباسيّة تكافئ من يقف إلى جانبها ضد أعدائها، ومثال ذلك مكافأة الخليفة هارون الرشيد للشماخ بتوليته بريد مصر[٩].

أما في ولاية افريقية فقد كانت هناك شخصية بارزة لعبت دوراً في تثبيت سلطة العباسيّين في افريقية، والوقوف ضد أعداء الخليفة، كان هناك إبراهيم بن الأغلب الذي شارك

---

(١) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص10.

(٢) البكريّ، المغرب، ص121؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص25.

(٣) المقريزي، المقفى، ج2، ص10؛ وقال محقق كتاب المقفى: بل سنة 175.

(٤) البكريّ، المغرب، ص121؛ الرقيق القيروانيّ، تاريخ افريقية، ص215.

(٥) الرقيق القيروانيّ، تاريخ افريقية، ص215.

(٦) ابن خلدون، العبر، ج4، ص13-14.

(٧) محمود إسماعيل، الأدراسة، ص109-110؛ الغنيمي، موسوعة تاريخ المغرب، ص270-271.

(٨) الطبريّ، تاريخ، ج4، ص60؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأمصار، ج 24، ص51-52 المقريزي، المقفى، ج2، ص12.

(٩) الرقيق القيروانيّ، تاريخ افريقية، ص180؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ج1، ص199.

الدولة العباسيّة في عدائها لدولة الأدارسة، إذ ذكرت الروايات التاريخية أن إبراهيم بن الأغلب شارك وسهل علمية اغتيال إدريس بن عبدالله[١].

ولم تنته دولة الأدارسة بمقتل مؤسسها إدريس بن عبدالله، الذي لم يكن له أولاد حيث قتل، بل استمرت هذه الدولة تحت رعاية وإدارة راشد مولى إدريس، حتى وضعت زوجة إدريس (كنثرة) طفلها الذي يُسمى أيضاً (إدريس)[٢].

ولم يتوقف عداء الدولة العباسيّة في الكيد والنيل من الأدارسة، إذ قام والي افريقية (إبراهيم بن الأغلب) وهو من أنصار الخليفة هارون الرشيد، قام إبراهيم بدفع الأموال، وإغراء بعض الأعوان حتى تمكنوا من قتل راشد، وكان ذلك سنة 186هـ/802م[٣].

وفي ذلك يقول إبراهيم بن الأغلب[٤].

ألم ترني بالكيد أوديت راشــــــداً	وإني بأخرى لابن إدريس راصـــــد
تناوله عزمي على نـــــأي داره	بمختومة في طيثن المكـــــــــائد

وكان محمد بن مقاتل العكي والي افريقية قد كتب إلى هارون الرشيد أنه هو الذي قتل راشد، إلا أن صاحب البريد كتب إلى الرشيد حقيقة الأمر، وولى عليها افريقية، إذ كان ابن الأغلب قبل ذلك عاملاً لابن العكي على بعض كور افريقية[٥].

وبعد مقتل إدريس بن عبدالله مؤسس دولة الأدارسة حلَّ مكانه في الحكم ابنه إدريس الثاني، والذي تمت مبايعته من قبل قبائل البربر، وقد تمتع إدريس الثاني بصفات حميدة جعلت الناس يقبلون عليه مثل العلم، والفقه، والحلم، والعدل، وحب الجهاد، ونشر الإسلام، وحسن التربية، والأخلاق الحسنة[٦].

وبعد موت إدريس بن عبدالله مؤسس دولة الأدارسة أصبح راشد مولى إدريس هو الذي يسير أمور الدولة، إذ أن إدريس عندما توفي لم يترك ولداً إلا حملاً من زوجته البربرية (كنزة)، وقد عمل إدريس الثاني على تثبيت أركان دولته، وإرساء دعائم حكمه، إذ قام ببناء مدينة فاس، والتي أصبحت مركزاً لدولة الأدارسة، ومنارة للعلم، فقد هاجر إليها كثير من العرب والبربر من افريقية والأندلس[٧].

---

(١) الرقيق القيروانيّ، تاريخ افريقية، ص 180؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 195؛ وانظر:إسماعيل، الأدارسة، ص116.

(٢) ابن الآبار، الحلة السيراء، ج1، ص199؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص24.

(٣) ابن الآبار، الحلة السيراء، ج 1، ص186؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج 3، ص197؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص13.

(٤) الرقيق القيروانيّ، تاريخ افريقية، ص178؛ ابن فضل العمري، مسالك الأمصار، ج24، ص52.

(٥) الرقيق القيروانيّ، تاريخ افريقية، ص216؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص162؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص28؛ وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص84-85.

(٦) ابن عذاري، البيان، ج1، ص84؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص25.

(٧) ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص230-231؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص25.

وفي الوقت الذي كان إدريس الثاني يعمد على تقوية دولته وتدعيم أركانها كانت الدولة العباسيّة بالتعاون مع حليفها في افريقية إبراهيم بن الأغلب ينشرون الأكاذيب حول صحة نسب إدريس بن إدريس بن عبدالله(١).

وكانت الدعاية العباسيّة وبمساعدة الأغالبة في افريقية قد عملت على نشر الطعن والقدح في نسب إدريس بن إدريس بن عبدالله، إذ قامت هذه الدعاية على أن إدريس الثاني ليس ابن إدريس بن عبدالله، بل هو ابن راشد مولى إدريس. وقد دافع ابن خلدون عن نسب إدريس بن إدريس، ومما قاله في هذا المقام: (ومثل هذا وأبعد منه كثيراً ما يتناجى به الطاعنون في نسب إدريس بن إدريس بن عبدالله .. الإمام بعد أبيه بالمغرب الأقصى .. قبحهم الله وأبعدهم؛ ما أجهلهم! كلا، والله، إنما صدرت هذه الكلمات من بني العباس أقتالهم ومن بني الأغلب عمالهم.. فليس في المغرب فيما نعلمه من أهل هذا البيت الكريم من يبلغ في صراحة نسبه ووضوحه مبالغ أعقاب إدريس هذا من آل الحسن)(٢).

وفي عهد إدريس الثاني (177-213هـ/793-828م) ذكر بعض الروايات إلى أن إبراهيم بن الأغلب حاول بنفسه التوجه لمحاربة إدريس الثاني، ولكنه رغب عن ذلك نزولاً عند رغبة مستشاريه(٣).

وكذلك قام إبراهيم بن الأغلب باستمالة أحد الرجال المقربين من إدريس، وهو بهلول بن عبد الواحد المطغري، الذي كان معظماً في قدمه، وقدم له إبراهيم بن الأغلب الأموال حتى جعله ينقلب ويتمرد على إدريس الثاني، وقد حاول إدريس إرجاع بهلول إلى الطاعة وعدم الانخداع والسير وراء الأغالبة(٤).

ولما كان إبراهيم بن الأغلب حليفاً للدولة العباسيّة ووقف معها ضد الأدارسة، إذ عمل على إضعاف هذه الدولة، كتب إليه إدريس الثاني أن يكف عن ذلك، ويتذكر قرابة إدريس من الرسول الكريم(٥).

وكان زيادة الله بن الأغلب حليف الدولة العباسيّة يحاول كأسلافه الانقضاض على الدولة الإدريسية، وحينما أراد منه المأمون الدعاء لعبدالله بن طاهر بن الحسين وهو ابن من قتل الأمين، قال زيادة الله في هذا الشأن: (قد علم أمير المؤمنين طاعتي له، وطاعة آبائي لآبائه، وتقدم سلفي في دعوتهم، ثم يأمرني الآن للدعاء لعبد خزاعة) ويقصد عبدالله بن طاهر بن الحسين، إذ رفض ذلك، وقد بعث إلى الخليفة العباسيّ المأمون بكيس فيه ألف دينار مضروبة باسم إدريس الحسني، يعلمه ما هو عليه من فتنة المغرب، ومجاهدة الأدارسة الطالبيين(٦).

---

(١) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون المغربي، المقدمة، تح حامد أحمد الطاهر، دار الفجر الحديث، القاهرة، 2004م، ص55. وسيشار إليه فيما بعد: ابن خلدون، المقدمة.

(٢) ابن خلدون، العبر، ص55، 56، 57.

(٣) الرقيق القيروانيّ، تاريخ افريقية، ص225؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص79.

(٤) الرقيق القيروانيّ، تاريخ افريقية، ص225؛ ابن كثير، الكامل، ج6، ص156؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ج1، ص55.

(٥) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج3، ص14-15؛ ابن خلدون، العبر، ج4، 196.

(٦) ابن الآبار، الحلة السيراء، ج1، ص165.

استمرت حالة العداء بين الدولة الإدريسية وبين الأغالبة حلفاء العباسيّين حتى بعد وفاة إدريس الثاني سنة 213هـ/828م، وتذكر بعض الروايات أن الأمير زيادة الله بن الأغلب هو الذي احتال حتى قتل(١).

وقيل أنه مات بدس السم، ولم يتعدَّ عمره السادسة والثلاثين، وما مات إلا بعد أن تمكن من تثبيت دعائم دولة الأدارسة(٢).

لقد أوكل العباسيّون إلى الأغالبة مهمة مراقبة دولة الأدارسة، وانصرف العباسيّون إلى أمور الشرق، كما انصرف الأدارسة إلى إتمام نشر الإسلام، واللغة العربية، ونشر الحضارة والآداب العربية الإسلامية في المغرب الأقصى، الذي كان من أهم أهدافهم، الأمر الذي جعل البربر يقبلون عليها ويتعلمونها، وقد ساعدت اللغة العربية في توحيد عناصر مجتمع الأدارسة(٣).

وبعد وفاة (إدريس الثاني)، بن إدريس بن عبدالله، والذي كان له الدور الكبير في تثبيت قواعد دولة الأدارسة في المغرب، تولى الحكم من بعده ولده الأكبر محمد بن إدريس، ولم يحافظ (محمد) على وحدة وسلامة الدولة، بل عمل على تقسيمها بين إخوته، وجعل كل واحد منهم على جزء من البلاد.

وقد أدى تقسيم الدولة الإدريسية بين أبناء إدريس الثاني إلى ظهور الخصام والصراع بينهم، ودبَّ الفساد والضعف في جسم الدولة، والتي أصبحت مع تقادم السنين تزداد ضعفاً وهزلاً، حتى طمع بها الأعداء وما لبثت أن تغلب عليها الفاطميون، ودخلوا فاساً عاصمة ملكهم(٤).

فقد غزا الفاطميون بقيادة (مصالة بن حبوس) قائد عبيد الله المهدي بلاد الأدارسة، والتقى مصالة مع أمير الأدارسة يحيى بن إدريس في معركة انهزم فيها يحيى، وتحصن في مدينة فاس، إذ حاصره مصالة، ثم اضطر يحيى إلى الصلح على أن يؤدي بعض الأموال، ويبايع للمهدي العبيديّ، وبعد أن انسحب مصالة ترك مكانه ابن عمه موسى بن أبي العافية الذي سيطر على بلاد المغرب، وقبض على يحيى بن إدريس، وسجنه مدة تصل إلى عشرين سنة ثم أطلقه، حيث مات يحيى بن إدريس في مدينة المهدية سنة 327هـ(٥).

وهكذا زالت دولة الأدارسة على يد الفاطميين، إذ أصبحت بلادهم تحت حكم ابن أبي العافية، والذي قام بنفي من تبقى من الأدارسة إلى قلعة حجر النسر(٦).

وكان الأمويون في الأندلس يتدخلون في شؤون المغرب، ولهم دور في سقوط دولة الأدارسة، إذ أن العداء بين الأمويين والعباسيّين قديم، وكان حكام الأندلس من الأمويين

---

(١) ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، ص54؛ وانظر: إسماعيل، الأغالبة، ص112.

(٢) ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، ص54؛ ابن فضل العمري، مسالك الأبصار، ج24، ص52.

(٣) الطالبي، الدولة الأغلبية، ص411–412؛ موسوعة تاريخ المغرب العربيّ، ج2، ص323.

(٤) ابن خلدون، العبر، ج4، ص16؛ وانظر: إسماعيل، الأدارسة، ص127.

(٥) البكريّ، المغرب، ص125؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص53؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص16؛

(٦) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 53؛ ابن خلدون، العبر، ج 4، ص16؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص455–479.

يخافون تسرب نفوذ الفاطميين إلى بلادهم، إذ يرون في ذلك تمهيداً لاستيلاء الفاطميين على الأندلس، وهذا ما جعل الأمير (عبد الرحمن الناصر) الأموي يعلن نفسه خليفة؛ لمواجهة خطر الفاطميين الشيعة، وهو يمثل السنة(١).

ولقد حرص الأمويون على أن يجعلوا من بعض مدن شمال المغرب مراكز عسكرية، تسمح لهم بمنع كل تسرب عسكري من المغرب إلى الأندلس، وقد استولى الأمويون على مدينة سبتة من يد الموالين للأدارسة، وقد أرسل الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر، وكذلك المنصور بن أبي عامر الجيوش للمغرب لصد الخطر عن الأندلس(٢).

وبعد سقوط دولة الأدارسة في المغرب الأقصى خرج بعض من أفراد هذه الأسرة إلى الأندلس، وقد استطاع علي بن حمود الإدريسي وأخوه القاسم من الاستيلاء على الحكم في قرطبة، وقتل الخليفة الأموي سليمان بن الحكم الملقب بـــ (المستعين) سنة 407هـــ(٣).

وتلقب علي بن حمود بالناصر، ثم جاء بعده أخوه القاسم، والذي تلقب بالمأمون، ولم يدم حكم أسرة بني حمود في قرطبة ومدنا أخرى من الأندلس طويلاً، إذ دب النزاع والخلاف بين أفراد هذه الأسرة، الأمر الذي تمكن الأمويون من طردهم من قرطبة، واسترجاع الحكم فيها بمساعدة البربر(٤).

ومن المزايا التي امتاز بها حكام أسرة بني حمود أنهم قد تلقبوا بألقاب الخلافة العباسيّة، إذ قال المقرّي في نفح الطيب: (وقد كان بنو حمود من ولد إدريس العلوي الذين توثبوا على الخلافة أثناء الدولة المروانية بالأندلس يتعاظمون، ويأخذون أنفسهم بما يأخذها خلفاء بني العباس)(٥).

ومن الحكايات الطريفة التي تدل على تعاظم وكبرياء حكام أسرة بني حمود ما جاء عن الشاعر ابن مقانا الأشبوني، والذي مدح الخليفة الحمودي الملقب بـــ (العالي) بقصيدته النونية المشهورة والتي أولها:

البرق لا ئح من أندريـــــــــــن   ذرفت عيناك بالماء المعيـــــــــــن

حتى وصل الشاعر إلى قولـــه:

أنظرونا نقتبس من نوركـــــــــم   أنه من نور رب العاليمـــــــــــن

(١) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ج1، ص116-137؛ وانظر: حركات، إبراهيم ، ج1، ص106.

(٢) حركات، إبراهيم ، ج1، ص106.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص98-99؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ج24، ص55؛ المقري، أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، علق عليه مريم قاسم الطويل، ويوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م، ج1، ص411. وسيشار إليه فيما بعد: المقري، نفح الطيب.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج 8، ص 106؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ج 24، ص56-63؛ المقري، نفح الطيب، ج1، 414-416.

(٥) المقري، نفح الطيب، ج1، ص206.

وعندما سمع الخليفة العالي هذا البيت كشف الحجاب وطلب من الشاعر أن ينظر إلى وجهه، وأجزل له العطاء(١).

نخلص مما سبق أن الدولة العباسيّة وقفت منذ البداية موقفاً معادياً من دولة الأدارسة، الذين هم أبناء عمومة للعباسيين هذا الموقف المعادي للأدارسة، ولم يستطيعوا القضاء على دولتهم، بل استمرت هذه الدولة مدة من الزمن حتى قضى عليها الفاطميون أعداء العباسيّين.

ومهما يكن الصراع بين العباسيّين والأدارسة فقد كان للأدارسة الدور الهام في نشر الإسلام في أجزاء كبيرة من المغرب، إذ يقول حسن إبراهيم: (وكان لانتسابهم إلى الرسول الكريم أثر كبير في توحيد القبائل المعادية، وتأييد الأهلين لهم، بعد أن كادت فتن الخوارج تحرق شعلهم، واستطاع المولى إدريس لأول مرة أن يوحّد بين إقليم السهول الساحلية (المغرب الأقصى)، وإقليم المراعي أي بين الحضارات القديمة، وإقليم البداوة، كما استطاع الأدارسة بفضل هذه الوحدة أن يوجهوا أنظارهم إلى حركة جهاد مقدس، بقصد إتمام نشر الإسلام في البلاد، ومحاربة العقائد الشاذة، والقضاء على بقايا اليهودية، والنصرانية بين قبائل المغرب)(٢).

---

(١) ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م،ج2، ص467-468؛ المقري، نفح الطيب، ج 1، ص414-416؛ ابن سعيد، المغرب، ج1، ص413.

(٢) حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام، ج2، ص184.

الفصل الثالث

دولـــــــــة الأغالبـــــــــــــــة

((184-296هـ / 799- 908م))

▪ الأسباب التي أدَّت إلى قيام دولة الأغالبـــــة :

في جمادى الثانية سنة 184 هـ (800م) قامت في أفريقية إمارة وراثية، بدأت مع إبراهيم بن الأغلب ابن المؤسس الحقيقي لدولة الأغالبة الأغلب بن عقال، وعملت جاهدة للإستقلال عن السلطة المركزية في بغداد(١).

وظهرت النزعة الاستقلالية قبل قيام دولة الأغالبة، ذلك عندما أراد عبد الرحمن بن حبيب (127-137هـ/744-754م) والي أفريقية التملص من سلطة بغداد، التي بدأت تتفكك وتتلاشى، لزيادة مساحتها وأقطارها البعيدة الخاضعة لها، ومحاولات العصيان من قبل الولاة وقواد الجيش، وكذلك بسبب عامل الشعوبية الذي تميزت به الدولة العباسية، والنزاعات الدينية والقبلية(٢).

وكانت ثورات البربر وحركاتها من الأسباب التي أتاحت للأغلب بن عقال أبرز قادة أبي جعفر المنصور وابنه إبراهيم بن الأغلب 184-195هـ/800-811م استغلال الفوضى السائدة في أفريقية، واعتبارها فرصة لإقامة الإمارة الأغلبية، وبرعاية شرعية من الدولة العباسية، التي أيدته صورياً، وبمباركة هارون الرشيد(٣).

وأرادت الدولة العباسية من قبول إقامة الإمارة الأغلبية أن تقضي على القلاقل والثورات للولاة والجند، والتي راهنت الدولة العباسية أنه لن يستطيع الأغلب بن عقال القضاء عليها، ولكنه تغلب عليها لحنكته السياسية وحصوله على المعاضدة من الجيش، ولاعتماده على حرسه الخاص، ولنقل مقر عاصمته من القيروان إلى العباسية(٤).

وكان سبب نشوء دولة الأغالبة نتيجة لثورات البربر (*)، وعجز الخلافة العباسية عن إرسال الجيوش والأموال والعدة للقضاء عليهم، لذلك قبل الخليفة هارون الرشيد ولاية إبراهيم

---

(١) الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص5؛ مؤنس، تاريخ المغرب، م1، ص 257، وما بعدها.

(٢) الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص5؛ مؤنس، تاريخ المغرب، م1، ص 258.

(٣) المرجع نفسه، ص5.

(٤) المرجع نفسه، ص5.

(*) ثورات البربر: استطاع العرب خلال فتحهم أفريقية أن يجذبوا أهل هذه البلاد من البربر إلى الإسلام، ولكن سرعان ما أخذ هؤلاء البربر يثيرون الخلاف على العرب حتى غدت بلادهم مسرحاً للفتن والقلاقل، وقد زادت ثورات البربر خاصة بعد انتشار مذهب الخوارج بينهم، وقد كانت ثورتهم أيام المنصور عندما التفوا حول أبي الخطاب المعافري الخارجي فوجه المنصور محمد بن الأشعث بأربعين ألفاً لمحاربة الخوارج البربر وصحب معه الأغلب بن سالم التميمي فلقيهم ابو الخطاب بمنطقة سرت وتصادم الفريقان وقتل أبو الخطاب واستسلمت جموعه ودخل الأشعث القيروان سنة 144هـ وضبط المغرب أحسن ضبط وفتح طرابلس وولى عليها المفارق بن عفار الطائي وعلى طنجة والزاب ولى الأغلب بن سالم وهو جد الأغالبة ملوك افريقيا فيما بعد وعاد الأشعث إلى المشرق بعد أن بقي والياً على المغرب أربع سنوات. وقد ثار الخوارج البربر سنة 150هـ وفي سنة 178هـ ولى المنصور على المغرب هرثمة بن أعين، وعلى الرغم من أنه استطاع أن يضعف الثوار رأى أن إخضاعهم من الصعوبة بمكان لتأصل العداء في نفوسهم وكراهيتهم لولاتهم العرب لفرضهم الضرائب التي أثقلت كواهلهم، وعاد من المغرب سنة 188هـ، بعد أن استعفى عن الولاية من الرشيد لما رآه من الخلاف، وقد كره السكان هذه الثورات وحملوا صاحب الشرطة إبراهيم بن الأغلب على طلب الولاية لنفسه من الرشيد فكتب على الخليفة واعداً إياه بهدوء الأحوال و يكف عن المطالبة بما كانت ترسله مصر إليها من الأموال التي اعتادت أن ترسلها إليه في كل سنة، ومقدارها أربعون ألف دينار على أن تكون الولاية وراثية في أولاده وأحفاده واستشار الرشيد من يثق بهم ولا سيما هرثمة بن أعين الذي اختبر أحوال البلاد وعرفها فأشار عليه بالقبول وامتدح مقدرة ابراهيم وأثنى عليه لما رآه في عقله وكفايته فولاه الرشيد إياها في شهر محرم سنة 184هـ/800م. انظر: ابن أبي دينار، المؤنس، ص 62،63؛ وانظر: حسن،السياسي، ج2، ص 177؛ وفيقة، نشوء الدويلات، ص 25.

ابن الأغلب، وجعله يحكم أفريقية مستقلاً ومتوارثاً، على أن يدفع للخليفة خراج البلاد، والدعاء للخليفة وسك العملة باسم الدولة العباسية، ويقضي على حركات البربر، ومن الأسباب الأخرى التي أدت إلى قيام الدولة الأغلبية هو الوقوف في وجه الأدارسة والرستميين (الأباضيين)، إذا سوّلت لهم أنفسهم التسرب إلى أملاك الإمبراطورية الإسلامية [١]. وقد كان للبعد عن مركز الخلافة دور في نشوء دولة الأغالبة[٢].

لهذه الأسباب كانت دولة الأغالبة دولة مستقلة منفصلة عن الدولة العباسية رسمياً، بشروط متفق عليها بين الطرفين العباسي والأغلبي، ومن تلك الشروط إرسال الخراج، وذكر اسم الخليفة في الخطبة، وضرب اسمه على النقود.

ومن الأسباب الأخرى لقيام دولة الأغالبة بُعدُ أفريقية عن مركز الدولة العباسية واتساعها، إذ أنها تضمّ طرابلس وأفريقية والزاب، ولذلك فإن الدولة العباسية اتسعت مع ابراهيم بن الأغلب في حكم الولاية على أن يلتزم بالشروط، رغم الاتفاق إلا أن الدولة الأغلبية وتعدّ دولة الأغالبة دولة استقلالية عن الدولة العباسية، لوجود ولاة ونظام حكم وراثي من الأغلب إلى ابنه إبراهيم إلى ورثته[٣].

ولم يمانع بنو الأغلب من أن يعين الخلفاء قضاة القيروان كجزء من سيادتهم على بلاد بنو الأغلب، وعلى أن يؤدي كذلك بنو الأغلب جزءاً من المال للدولة العباسية[٤].

يقول ابن خلدون (فمن قصرت عصبيته مثل حماية الثغور، أو جباية الأموال، أو بعث البعوث فهو ملك ناقص، ولم تتم حقيقته، كما وقع كثير لملوك البربر ولدولة الأغالبة في القيروان)[٥]، ويرجع أصل الأغالبة إلى بني تميم[٦].

سمّي الأغالبة بهذا الاسم نسبة إلى الأغلب بن سالم بن عقال الذي وُلد في مروا الروذ من أعمال خرسان ولي أفريقية سنة 148-150هـ/765-767م[٧].

وكان الأغلب من الجند العربي الخراساني الذي وفد مع القوات العباسية إلى مصر وأصبح من جنودها [٨]، ودخل الأغلب أفريقية في قوات محمد بن الأشعث سنة 144هـ/761م وعهد اليه المنصور بولاية أفريقية في أواخر سنة 148هـ/765م وأوائل 149هـ/766م[٩]. والأغلب هو والد إبراهيم بن الأغلب (مؤسس دولة الأغالبة) إذ قدم القيروان سنة 147هـ وسرعان ما ثار عليه البربر، وقتل الأغلب على أبواب مدينة القيروان سنة 150هـ/767م، وقبره هناك يعرف بقبر الشهيد[١٠].

---

(١) ابن خلدون، المقدمة ، ص 42، 43؛ وانظر: وفيقة، نشوء الدويلات، ص 33.
(٢) وفيقة، نشوء الدويلات، ص 35.
(٣) مؤنس، تاريخ المغرب، م1، ص 258.
(٤) المرجع نفسه، م1، ص258.
(٥) ابن خلدون، المقدمة ص 21.
(٦) ابن حزم، جمهرة، ج1، ص221.
(٧) ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص 69-70؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص27.
(٨) البلاذريّ، فتوح البلدان، ص 233؛ حسن، تاريخ، ج2، ص 208.
(٩) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 26؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص27.
(١٠) ابن الأثير، الكامل، ج 5، ص 26؛ وانظر: زكار، سهيل، تاريخ العرب والإسلام (منذ ما قبل البعث وحتى سقوط بغداد)، دار الفكر: بيروت، ط 3، 1979، ص 387، وسيشار إليه فيما بعد: زكار، تاريخ العرب.

ولقد كان الأغلب بن سالم بن عقال من كبار رجال الجيش، ويستدلّ على ذلك أن الخلافة العباسية عندما أرسلت الوالي محمد بن مقاتل العكيّ إلى أفريقية كلفت الأغلب بن سالم بن عقال بالمسير معه في نفر من جند مصر فدخل أفريقية، واستقر بها والياً على إقليم الزاب (*)، إذ كان يعيش في ذلك الإقليم جمع كثير من قبيلة بني تميم، لكن الأغلب بن سالم بن عقال قتل في إحدى المعارك ضد خوارج بني رستم، لمحاولتهم الاتجاه شرقاً إلى أفريقية، فما كان من هرثمة بن أعين كما أسلفت إلا أن قام بتعيين الأغلب خلفاً لوالده على إقليم الزاب[١].

ومن المرجح أن إبراهيم كان في أفريقية عندما قتل والده، الذي خرج لقتال الحسن بن حرب الكنديّ[٢]، وكان معه أهل بيته وخاصته[٣]، وبعد مصرع الأغلب رجع ابراهيم مع أهله أهله إلى مصر، وكان أحد قادة جيش الأغلب سالم بن سوادة التميمي قد عين والياً عليها سنة 164هـ/780م من قبل الخليفة المهدي 158-169هـ/774-785م[٤].

كما كان عبدالله أخو إبراهيم يعيش في مصر، ويتمتع بثروة عظيمة [٥]، وقد تتلمذ في مصر على يد الفقيه الليث بن سعد[٦]، ويبدو أن الليث بن سعد قد أعجب به، فوهب له جارية اسمها جلاجل[٧]، كما قال عنه (ليكونن لهذا الفتى شأن) [٨]، ولم يبق إبراهيم في مصر، فقد تركها والتجأ إلى أفريقية، ولا تفصل مصادرنا في سبب ذلك، وأحاطت المصادر ذلك الحدث بالغموض فقد أشار اليعقوبيّ إلى ذلك بقوله (وكان إبراهيم بن الأغلب بن سالم أحد الجند الذين أخرجوا من مصر إلى أفريقية) [٩]. كما انفرد اليعقوبيّ برواية مفادها أن ابراهيم بن الأغلب تولى شرطة أفريقية، فلمّا توفي ابن مقاتل العكيّ استخلف إبراهيم على البلد[١٠].

لكن هذه الرواية لا يمكن الأخذ بها، لأن المصادر الأخرى لا تشير إلى أن إبراهيم تولى الشرطة لصاحب أفريقية، كما أن إبراهيم لم يتولّ أيّ منصب إلا بعد قدوم هرثمة بن أعين إلى أفريقية، لا بل تم تعيينه (إبراهيم بن الأغلب) على إقليم الزاب، في حين يوضح البلاذريّ هذا بشكل أكبر بقوله: (وكان إبراهيم بن الأغلب من وجوه جند مصر، فوثب ومعه اثنا عشر رجلاً، فأخذ من بيت المال مقدار أرزاقهم ولم يزدادوا على ذلك شيئاً فلحقوا بموقع يقال له الزاب، وعامل الثغر يومئذ هرثمة بن أعين)[١١].

(*) اقليم الزاب: ويشمل الزاب الأعلى (طرابلس) وهي بلاد الجريد ويلي هذه البلاد بلاد الزاب الأسفل على مدينة تاعوت في المغرب الأوسط (الجزائر) ثم المغرب الأدنى، انظر : ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص71،70؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص 87.

(١) ابن الأثير، ج5، ص95؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ص ج1، ص71،70؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص 74؛ الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص91.

(٢) الحسن بن حرب : هو أحد المتمردين على الأغلب بن سالم سنة 150هـ/767م. انظر:ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص 72.

(٣) ابن عذاري، البيان، ج1، ص75،74؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 55.

(٤) الكنديّ، الولاة، ص 123؛ الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص 213؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج2، ص 46.

(٥) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص 213.

(٦) ابن خلكان، أبو العباس، شمس الدين أحمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1977م، ج4، ص 129-132. وسيشار إليه فيما بعد: ابن خلكان، وفيات الأعيان.

(٧) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص 213؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص 92.

(٨) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 94-95.

(٩) اليعقوبيّ، تاريخ، ج2، ص 211.

(١٠) المصدر نفسه، ج2، ص211.

(١١) البلاذريّ، فتوح البلدان، ص 231.

ولكن الرقيق القيرواني يشير إلى أن إبراهيم وصل إلى الزاب وعلى أفريقية الفضل بن روح (177-178هـ/793-794م) فلقي من شعبه، وسوء مجاورته عظيماً، على حين يذكر في موضع آخر بأن والي أفريقية سنة 174هـ /790م وهي السنة التي جاء بها ابن الأغلب إلى مصر، وكان النصر بن حبيب وليس الفضل بن روح الذي كان والياً على الزاب عند وفاة والده روح بن حاتم الذي تولى أفريقية سنة (171-174هـ/787-790م)(١)، وكان نصر بن بن حبيب قد بادر بتعيين العلاء بن سعد والياً على الزاب(٢)، وعند ذلك خرج الفضل بن روح روح من أفريقية إلى هارون الرشيد، ليرجع إليها بعد ذلك من قبل الرشيد (سنة 177هـ/793م)(٣)، وحال تسلمه الإمارة أقرّ العلاء بن سعد على ولايته في الزاب(٤).

لكنَّ الكنديّ في كتابه (الولاة والقضاة) يذكر أن محمد بن زهير الأزدي الذي ولّي مصر سنة (سنة 173هـ/789م)، عين على الخراج عمران بن عيلان، الذي منع أعطيات الجند فثاروا ضده، لذلك عزله الخليفة هارون الرشيد (170-193هـ/786-808م)، وولي على مصر داود بن يزيد (174هـ/790م) فقام هذا الوالي بطرد هؤلاء الجند إلى المغرب والمشرق(٥)؛ ولهذا فإن إبراهيم غادر مصر منفياً، لأنه كان ضمن الجند الذين وثبوا على بيت بيت المال بمصر حسب رواية البلاذريّ(٦).

وبهذا يكون إبراهيم بن الأغلب قد عاصر في الزاب كلاً من الفضل بن روح، والعلاء بن سعيد(٧).

ويبدوا أن إبراهيم بن الأغلب خصص وقته في الزاب، ليمحو بعض الأحداث الماضية من ذهنه، وليقوي من وضعه، وليكون ذا شخصية بين الجند، وسيداً على منطقته، لا سيَّما وأن الأحداث كانت تسير لصالحه، وذلك لأن العلاء بن سعيد كان مشغولاً في خضم الأحداث التي بدأت بعد مقتل الفضل بن روح(٨).

ولهذا فإن إبراهيم أصبح يكثر من إرسال الهدايا إلى هرثمة عند قدومه إلى أفريقية سنة 179هـ/795م، كما صرح له بأنه لم يمد يده إلى بيت المال إلا لحاجته للنقود، وأنه على الطاعة(٩). فولاه هرثمة على الزاب(١٠)، وهنا أثبت إبراهيم مدى إخلاصه للخلافة، فقد شارك

---

(١) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص 183، 213.

(٢) المصدر نفسه، ص 183.

(٣) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص 183؛ ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 94؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص 86؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج22، ص 242؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام ، ج3، ص11.

(٤)الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص 185؛ وانظر: عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، طبعة دار الكتب الشرقية: تونس، ط3، 1373هـ، ص 64 وما بعدها؛ زكار، تاريخ العرب، ص 487 وما بعدها.

(٥) الكنديّ، الولاة، ص 33؛ أبن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج2، ص 75-76؛ وانظر: الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 111-112.

(٦) البلاذريّ، فتوح البلدان، ص 231؛ وانظر: محب، الحياة الفكرية، ص 44.

(٧) الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 114-115.

(٨) المرجع نفسه، ص 114-115؛ قاسم، الحياة الفكرية، ص 45.

(٩) البلاذريّ، فتوح البلدان، ص 231.

(١٠) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 95؛ إبن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج2، ص 89-90، وقد أشار ابن خلدون في العبر، ج4، ص 195، على أن إبراهيم بن الأغلب كان عاملاً على الزاب.

بمؤامرة اغتيال إدريس الأول مؤسس دولة الأدارسة في المغرب الأقصى سنة 179هـ/795م(١).

ومهما يكن من أمر، فإن ولاية إبراهيم لأفريقية لم تتم بسهولة، وأنه حدث بينه وبين الوالي السابق محمد بن مقاتل العكيّ صراع مرير. فهناك رواية في (تاريخ المغرب) للرقيق القيرواني تقول: أنه بعد أن أعاد ابن الأغلب إلى الولاية محمد بن مقاتل العكيّ كتب صاحب البربر في أفريقية يحيى بن زياد إلى هارون الرشيد بخبر إبن العكيّ وتمّام(*)، فلما قرأ الرشيد الكتاب على أصحابه وعرفهم ما فعل إبراهيم بن الأغلب، وشاورهم في الأمر، واستشار على وجه الخصوص هرثمة بن أعين والي المغرب السابق، الذي أكد أنه ليس بأفريقية (أحد أفضل طاعة، ولا أبعد صيتاً، ولا أرضى عند الناس من إبراهيم)، فكان ذلك سبباً أن كتب الرشيد عهده على أفريقية إلى إبراهيم بن الأغلب(٢).

وهناك رواية أخرى في الكامل لابن الأثير تقول: إن ابن الأغلب كان قد كتب إلى الرشيد بناءً على طلب أهل البلد يطلب منه ولاية أفريقية، وأنه عرض على الرشيد الاستغناء عن المعونة السنوية التي كانت تحمل إلى أفريقية وتقدر بمائة ألف دينار، وأنه تعهد أن يحمل كل سنة أربعين الف دينار إلى بيت مال الخلافة(٣).

وإذا اعتبرنا أن اتصال ابن الأغلب بالرشيد كان عن طريق عمّال الخليفة مثل صاحب البربر، ويمكن أن نكون قد وفقنا بين الروايتين.

وفي هذا الشأن يجب التمييز بين نوعين من الإمارات، إمارة استكفاء، وإمارة استيلاء، وتعقد الأولى بعقد عن اختيار، وتوافق مهام الوالي التقليد المولى، والمراقب، والمنقول، والمعزول، بحسب ما تقوله السلطة المركزية من رغبة(٤).

---

(١) رواية الرقيق القيروانيّ في تاريخ أفريقية والمغرب تقول : أن وزير الرشيد يحيى بن خالد البرمكي اشترى أحد شيعة الطالبيين وهو سليمان بن جرير (الشماخ) وأرسله إلى المغرب وتقول الرواية أن الشماخ حمل رسالة من الرشيد إلى ابن الأغلب وأنه قدم إلى إبراهيم – بعد اغتيال إدريس الأول – فأخبره بما كان منه. ومهما يكن من أمر، فإن الشماخ أعطى إدريس سنوناً مسموماً قاتلاً وأمره أن يستن عند طلوع الفجر ـــ حيث أن إدريس قد شكا ألماً في أسنانه، وهرب الشماخ فلما طلع الفجر كان إدريس قد مات من السنون المسمومة بعد أن سقطت أسنانه، وبحث عن الشماخ فلم يظفر به. انظر : الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية والمغرب، ص 215؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 8؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج 22، ص 252؛وانظر: مصطفى، شاكر، دولة بني العباس، دار الفكر: دمشق، ط 1، 1973م، ج 1، ص 695؛ الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 122.

(*) تمام بن تميم: هو أحد الثائرين على محمد بن مقاتل العكيّ سنة 183هـ/799م في تونس. انظر: ترجمة حياته في ابن الابار، الحلة السيراء، ج 1، ص 69–70. ومما هو جدير بالذكر أن تماماً هذا، هو جد أبي العرب: محمد بن تميم صاحب كتاب طبقات أفريقية، ابن الابار، الحلة السيراء، ج 1، ص 90؛ وانظر: قاسم، الحياة الفكرية، ص 46؛ نبيلة؛ محاضرات، ص 170؛ زغلول، تاريخ المغرب، ج 2، ص 29؛ الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 116–118؛ قاسم، الحياة الفكرية، ص46.

(٢) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص 220؛ ابن الابار، الحلة السيرا، ج1، ص 70.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج 5، ص 104؛ ابن خلدون، العبر، ج 4،ص196؛ ابن أبي الضياف، اتحاف، ج1، ص 10؛ دبوز، تاريخ المغرب، ج 3، ص13؛ عبد الوهاب، خلاصة، ص 64؛ الجيلاني، تاريخ الجزائر، ج1، ص 94؛ بونار، رابح، المغرب العربي (تاريخه وثقافته)، ط2، الجزائر، 1981م، ص30. وسيشار إليه فيما بعد: بونار، المغرب.

(٤) الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 377.

وتطابق إمارة الاستكفاء الوضع السابق لانتصاب الأغالبة في الحكم، وهي النوع الذي يكتسب تماماً الصبغة الشرعية المرضية(١).

وتناط الإمارة الثانية بعقد عن اضطرار، وترمي إلى إخفاء الصفة الشرعية على وضع سيء في الواقع، طبقاً لمبدأ الضرورة (٢)، ويعني ذلك أن يستولي الأمير بالقوة على بلاد الخليفة، ويفوض إليه تدبيرها وسياستها، فيكون الأمير باستيلائه مستبداً بالسياسة والتدبير، والخليفة بإذنه منفذ أولاً أحكام الدين ليحرم من الفساد إلى الصحة، ومن الحظر إلى الإباحة)(٣).

وهناك رواية أخرى يذكرها البلاذريّ مفادها أن الرشيد عندما علم بأحداث أفريقية، استشار هرثمة فاقترح عليه الأخير بتعيين إبراهيم بن الأغلب، فكتب له الرشيد العهد، وأنه قد صفح عنه(٤).

وتشير مصادر أخرى إلى أن الرشيد ولى إبراهيم أفريقية، إلا أن إبراهيم تمكن من قتل أحد موالي إدريس الثاني ويدعى راشداً، فنسب العكيّ ذلك لنفسه، وعندما علم الرشيد بحقيقة الأمر عزل العكيّ، وولى إبراهيم على أفريقية (٥)، وهذه الرواية غير واقعية، لأنها تشير إلى مقتل راشد سنة 184هـ/800م على حين أن مقتله كان سنة 186هـ/802م(٦).

ومهما اختلفت الروايات في مسالة تعيين إبراهيم بن الأغلب على أفريقية، فإن تعيينه كما يرى بعض المحدثين جاء بناءً على موافقة الرشيد، لا سيما بعد أن عرض عليه أن يدفع له أربعين الف دينار، ويستغني عن المائة ألف دينار التي كانت ترسلها خزينة مصر لأفريقية(٧).
لأفريقية(٧).

وكانت سياسة الرشيد في تلك الفترة ترمي إلى الحدّ من نفوذ البرامكة، الذين كانوا يدعمون محمد بن مقاتل العكيّ(٨).

فعزل محمَّد بن مقاتل العكيّ وتعيين إبراهيم بن الأغلب مكانه يندرج ضِمن سياسة الخلافة في الشرق(٩).

ويجب أن لا نغفل أيضاً أن هناك مسألة مهمة كنا قد ذكرناها، وهي وجود دولة الأدارسة في المغرب الأقصى، وقد كانت قد بدأت تزاحم الخلافة أملاكها في المغرب، بل وامتدت مزاحمتها إلى مصر، فقد راسل إدريس الأول أهل مصر(١٠).

ولهذا فمن الطبيعيّ أن تقوم بالدفاع عن أراضيها، ولكن نتيجة الثورات ووجود حركات انفصالية أخرى تزاحم الدولة العباسية على أراضيها قبلت الدولة العباسية بوجود دولة أخرى

---

(١) الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 377.

(٢) المرجع نفسه، ص 377.

(٣) المرجع نفسه، ص 377.

(٤) البلاذريّ، فتوح البلدان، ص 231؛ وانظر: الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 122.

(٥) ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص 90-91؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 27-28.

(٦) الطبريّ، تاريخ، ج8 ص 302؛ ابن عذاري، البيان، ص 82.

(٧) ابن أبي دينار، المؤنس، ص 63؛ وانظر: الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 123.

(٨) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص 221؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ج1، ص89.

(٩) الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 125-126؛ قاسم، الحياة الفكرية، ص50.

(١٠) ابن الخطيب، أعمال الأعلام ج3، ص 17-18؛ وانظر: سالم، المغرب الكبير، ج2، ص 374؛ قاسم، الحياة الفكرية، ص 50.

تدافع عن أراضيها، ضمن شروط تم الاتفاق عليها مسبقاً، وفي الوقت نفسه منفصلة عن الخلافة بإنشاء دولة تكون جاهزة [١]، أي تكون حاجزة بين ممتلكاتها وبين مناطق المغرب العربي[٢].

وبمعنى آخر إن الخلافة اتعظت من مشكلاتها في المغرب، ومن تعيين الولاة بين فترة وأخرى، فقررت إيجاد أسرة موالية لها في المغرب[٣].

وهكذا عيّن إبراهيم على أفريقية، وعاد محمد العكيّ إلى المشرق، بعد أن أقام عدة أيام في القيروان، نزولاً عند رغبة إبراهيم بن الأغلب[٤]. وفي طريق عودته إلى المشرق لقي في طرابلس حماداً السعوديّ رسول الخليفة الرشيد إلى أفريقية [٥]، فعمد محمد العكيّ إلى تزوير كتاب كتبه له داوود القيرواني [*]، بعزل إبراهيم وإقرار محمد العكيّ على أفريقية وأرسل الكتاب إلى القيروان[٦].

وعندما تسلم إبراهيم الكتاب، امتثل لما جاء فيه، فرجع إلى الزاب[٧]، وما أن علم الرشيد الرشيد بذلك حتى أرسل كتاباً شديد اللهجة إلى محمد بن مقاتل العكيّ يأمره بالقدوم إليه[٨].

وعند ذلك خرج العكيّ (من أفريقية وأعمالها، على هذه الحال لم يكافيء إبراهيم بن الأغلب على حسن ما أسلفه في جانبه إلا بأقبح الأفعال)[٩].

فعاد إبراهيم ليدخل القيروان، وذلك لاثنتي عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة 184هـ/ الموافق للتاسع من أيلول سنة 800م[١٠]، وفي هذا التاريخ تأسست الدولة الأغلبية في أفريقية.

ويبدو أنَّ إبراهيم بن الأغلب على جانب عظيم من الشجاعة، ورجاحة العقل، الأمر الذي مكنه من إقناع الدولة العباسية بتأسيس دولة له ولذريته من بعده، وإقامة دولة بينه وبين الأدارسة في المغرب، تكون درعاً متيناً، ومنطقة حياد تحفظ امتداد حكمهم إلى دولة حاجزة.

---

(١) العبادي، في التاريخ العباسي، ص 92، وسيشار إليه فيما بعد: العبادي، في التاريخ العباسي؛ زكار، تاريخ العرب، ص 488.

(٢) الأصطخري، المسالك، ص 45؛ وانظر: بل، الفريد، الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمن بدوي، بنغازي، ليبيا، 1969م، ص 89. وسيشار إليه فيما بعد: بل، الفرق الإسلامية؛ المطوي، محمد العروسي، سيرة القيروان، رسالتها الدينية والثقافية في المغرب الإسلامي (ليبيا، تونس)، 1981م، ص23.

(5) Vonderhyden, Lberberie Orientale Sous Ladyastie Des Bonou, L, Arab – 800-900, Paris, 1937, P.8.

(٤) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص 220؛ وانظر: الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 127.

(٥) النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 54؛ قاسم، الحياة الفكرية، ص 51.

(*) داوود القيروانيّ : كان كاتباً لمحمد العكيّ ثم ولي الكتابة لإبراهيم بن الأغلب لمزيد من التفاصيل انظر : ابن الابار، أعتاب الكتاب، تح صالح الأشتر، دار الفكر: دمشق، 1961، ص 105-107.

(٦) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص 220؛ ابن الابار، الحلة السراء، ج 1، ص 94؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 54؛ وانظر: الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 127-130؛ قاسم، الحياة الفكرية، ص52.

(٧) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص 221، ابن الابار، الحلة السيراء، ص 94-95.

(٨) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص 221؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 55.

(٩) ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص 91.

(١٠) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص 221؛ مجهول، العيون والحدائق، ج 3، ص 303؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج 24، ص 55؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص 63؛ وانظر: الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 128-129؛ سليمان، أحمد سعيد، معجم الأسر الإسلامية الحاكمة، مكتبة لبنان : بيروت، ط 1، 2004م، ص 28. وسيشار إليه فيما بعد: سليمان، معجم الأسر.

إنَّ اتفاق الدولة العباسية مع إبراهيم بن الأغلب كان اتفاقاً معقولاً، وحلاً سليماً لمشكلة حكم ولاية بعيدة واسعة، تضم طرابلس، وأفريقية (تونس)، والزاب، بعد أن بذلت الدولة العباسية جهوداً في المحافظة على هذا الجزء من أملاكها في الشمال الأفريقي.

وقد أيّد بنو العباس بني الأغلب خوفاً من اتساع الدولة الإدريسية، وتهديدهم سلطانهم في المشرق[١].

وكان الهدف الرئيس من الجهود التي بذلتها الدولة العباسية للمحافظة على أفريقية هو تأمين مصر ولايتها الكبرى في الغرب، فكان ولاة الدولة على مصر هم الذين يكلفون بقيادة الجيوش التي ترسل لحرب الخوارج في أفريقية، لأن ذلك كان من اختصاصهم، وكانت تلك الجيوش تدعم من أموال مصر، لأن ذلك حماية لها، وما دامت أفريقية سالمة خالصة للدولة العباسية، فإن ما يقع إلى غربها لم يكن ليقلق بال خلفاء بني العباس، خاصة وقد امتدت حدود أوليائها وأنصار المذهب السني إلى آخر حدود ولاية أفريقية غرباً[٢].

لقد كان ابن الأغلب يفخر في بعض أشعاره بأنه يكيد للأدارسة، ويعمل على القضاء عليهم[٣].

وبعد أن تولّى إبراهيم بن الأغلب أفريقية (تونس) كان لا بد له من القيام ببعض الأمور؛ لتثبيت حكمه، منها بناء مدينة العباسية الواقعة على بعد ثلاثة أميال من القيروان سنة 184هـ/800م[٤]، أمَّا ابن عذاري فيجعل بناءها سنة 185هـ/801م[٥] وقد سمّيت بهذا الاسم تيمناً بالخلافة العباسية[٦]، كما أطلق عليها أيضاً (القصر القديم)[٧]، وقد سمّاها البلاذريّ البلاذريّ بالقصر الأبيض وجعل بناءها سنة 184هـ/809م[٨].

فالخلافة العباسية كانت تهدف إلى أن تشكل الدولة الأغلبية بعاصمتها العباسية قوة مانعة أمام الرستميين بتاهرت (*)، وتحقيق طموحات الدولة العباسية في التصدي لتلك الدول الاستقلالية[٩].

ولم يكد إبراهيم يستقر حتى تمرد عليه بتونس سنة 186هـ/802م رجل يدعى خريش بن عبد الرحمن الكنديّ[١٠]، وسمَّاه الرقيق القيرواني بحمديس[١]، واكتفى ابن عذاري بتسميته

---

(١) مؤنس، تاريخ المغرب، ص 258-259.

(٢) مؤنس، تاريخ المغرب، ص 259؛ وفيقة، نشوء الدويلات، ص 25-26.

(٣) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 85؛ مؤنس، تاريخ المغرب، ص 259؛ وفيقة، نشوء الدويلات، ص 25-26.

(٤) البكريّ، المغرب، ص 28-29؛ ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص 75؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص56.

(٥) ابن عذاري، البيان، ج1، ص92.

(٦) المصدر نفسه، ج1، ص92؛ وانظر: قاسم، الحياة الفكرية، ص 53.

(٧) البلاذريّ، فتوح البلدان، ص 231؛ زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص 153-155.

(٨) البكريّ، المغرب، ص 28؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص 92؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 55؛ الحميري، الروض المعطار، ص 476؛

(*) تاهرت:مدينة من مدن المغرب الأوسط. لمزيد من التفاصيل، انظر : اليعقوبيّ، البلدان، ص 104؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص 86. وعن بنائها، انظر : أبا زكريا ، سير، ص 81 وما بعدها؛ الدرجيني، طبقة المشايخ، ج1، ص 41؛ دبوز، تاريخ المغرب، ج3، ص 261-276؛ بكير، بحاز إبراهيم، الدولة الرستمية، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، رسالة ماجستير، كلية الآداب:جامعة بغداد، بغداد، العراق، 1983، ص 86-94.

(٩) كحيلة، المغرب، ص45؛ وفيقة، نشوء الدويلات، ص 25، 33.

(١٠) ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص 101-104.

بالكنديّ(٢)، لكنه جعل تمرده في الوقت الذي بدأت فيه الحرب بين الأمين والمأمون (٣)، وقد خلع حمديس (خريش) السواد، أي أن هذا الأخير كان متمرداً على الدولة العباسية (٤)، دلالة على عدم الطاعة للدولة العباسية والتمرد عليها، ولكنّ هذا التمرد قضي عليه على يد عمران ابن مجالد أحد قادة إبراهيم بن الأغلب(٥).

وَمَا إن بدأ إبراهيم يستقر بعد قضائه على تمرّد حمديس(خريش)، حتى تمردت عليه منطقة طرابلس سنة 189هـ/805م، فقد ثار بها الجند على الوالي سفيان بن المضاء في ولايته الرابعة على هذه المدينة، حيث كانوا دائماً يشكون من ولاتهم فقد نصّبوا عليهم إبراهيم بن سفيان التميمي مكانه (٦)، كما وقعت في المدينة نفسها حرب بين الأبناء (*) من جهة وبين بني أيوب وبني يوسف من جهة أخرى، لكن إبراهيم بن الأغلب، استطاع أن يُخمد هذا الوضع بعد أن استنجد بأحمد بن إسماعيل والي مصر (187-189هـ/802-804م)(٧). ثمَّ أمر بإحضار المتنازعين إلى القيروان، فسألوه الأمان، فقبل بعد أن أخذ منهم العهود(٨) وتمرد عليه كذلك قائده عمران بن مجالد سنة 194هـ/809م، واستولى على القيروان (٩)، وكاد الأمر يتفاقم إلى أكثر من ذلك لولا وصول الأموال من مصر إلى إبراهيم (١٠). فنودي أنه من كان من جند أمير المؤمنين فليأخذ عطاءه، فتفرق أصحاب عمران عنه، وهرب هو إلى الزاب(١١)، وبقي في الزاب إلى أن توفي إبراهيم، وصار الأمر إلى ابنه أبي العباس، فكتب إليه يسأله الأمان فأمنه، ثم قتله في عهد الأمير عبدالله بن إبراهيم 196-201هـ/811-816م(١٢)، كما تمرد على إبراهيم رجل يدعى (أبا عصام) لكن إبراهيم قضى على تمرّده(١٣).

---

(١) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص 224.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 93.

(٣) زغلول، تاريخ المغرب ج2، ص 34-35.

(٤) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص 224-225؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 159؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24،ص55.

(٥) عمران بن مجالد: أحد قادة جيش إبراهيم بن الأغلب، لمزيد من المعلومات حول ذلك، انظر: الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص 2124؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 55؛ البلاذريّ فتوح البلدان، ص 231؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص 235؛ ولمعلومات عن ترجمة حياة عمران بن مجالد، انظر، ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص 105.

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص104.

(*) الأبناء: هم أبناء الجند المولودين في أفريقية سواء كانوا عرباً أم محليين أو من عرب حروب التحرير، ولم ينخرطوا في الصفوف العسكرية. انظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص 34-35.

(٧) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج2، ص 124.

(٨) ابن خلدون، العبر، ج4، ص 196؛ سالم، المغرب الكبير،ج2، ص 376؛ الزاوي، الطاهر أحمد، ولاة طرابلس، دار صادر : بيروت، 1970م، ص 57، البرغوثي، عبد اللطيف، تاريخ ليبيا الإسلامي (من الفتح الإسلامي حتى بداية الفتح العثماني)، دار صادر: بيروت، 1973م، ص 201.

(٩) ابن الأثير، الكامل، ج 5، ص 104؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج 24، ص 55، لكن ابن الأثير لا يذكر السنة.

(١٠) البلاذريّ، فتوح البلدان، ص 231؛ علي حين يشير كل من ابن الأثير في الكامل، ج 6، ص 156، ج5، ص 328 وابن خلدون في العبر، ج 4، ص 235 : بأن الأموال حملت من الرشيد إلى إبراهيم ونحن نعلم أن الرشيد توفي سنة 193هـ/808م.

(١١) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 104؛ الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 163-172.

(١٢) النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 56.

(١٣) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 104-105.

ولم تهدأ الأوضاع في منطقة طرابلس، فقد حدثت الاضطرابات فيها كذلك سنة 196هـ/802م[١]، ما حدا بابراهيم إلى إرسال ابنه إليها، وفعلاً دخل عبدالله طرابلس، واشتبك مع عبد الرحمن بن رستم امام الخوارج الأباضيين في تاهرت[٢].

وكان لحركات التمرّد في عهد إبراهيم أسباب كثيرة منها الخروج عن الطاعة، والطموح الذي كان يسعى إليه بعض القادة، أو بسبب الخوارج القاطنيين في منطقة طرابلس الذين كثيراً ما أحدثوا الاضطرابات في هذه المنطقة، ولم تهدأ هذه الاضطرابات من قبل الخوارج إلا سنة 283هـ/896م، ولم تكن فترة عبدالله بن إبراهيم [*] صعبة وشاقة إذ لم يحدث في عهده ما يستحق الذكر، إلا أن العبء الأكبر في تثبيت الدولة الأغلبية، والدفاع عنها وقع على عاتق أخيه زيادة الله بن إبراهيم[*] 201-223هـ/816-837م [٣].

فقد قامت العديد من حركات التمرُّد ضدَّه، منها تمرُّد زياد بن سهل سنة 207هـ/822م الذي يُعرف (بابن الصقلبية) الذي خرج بموضع يُعرف بفحص أبي صالح، وهو قريب من منطقة باجة التي حاصرها، لكن هذه الثورة انتهت سريعاً على يد سالم بن سوادة قائد زيادة الله الأغلبي، الذي تمكن من فك حصار باجه، وقتل كثيراً من أصحابه الذين خالفوا معه، وغنم أموالها[٤]، ويبدوا أن سبب هذا التمرد سوء سيرة ومعاملة زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب للجند[٥].

لكنَّ هذا التمرد قضى عليه من قبل سفيان بن سوادة قائد جيش زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب[٦]، وتمرد عليه كذلك عمرو بن معاوية سنة 208هـ/823م، لكن هذا التمرد قضي عليه، وقتل عمرو مع ولديه على يد زيادة الله بن إبراهيم[٧].

---

(١) ابن الأثير ، ج5، ص 105؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص 197؛ وانظر: قاسم، الحياة الفكرية، ص 55.

(٢) ابن عبد ربه، ابا عمر أحمد بن محمد، العقد الفريد، بولاق : القاهرة، 1940م، ج2، ص 391. وسيشار إليه فيما بعد: ابن عبد ربه، العقد؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص 93؛ البغدادي، الفرق، ص 103 وما بعدها؛ ابن حزم، جمهرة، ص 18؛ دبوز، تاريخ المغرب، ج 2، ص 138 وما بعدها؛ اسماعيل، الخوارج، ص 220.

(*) عبدالله الأول بن إبراهيم بن الأغلب (196-201هـ/811-816م) ولاه أبوه بعده أي اتبع طريق الوراثة في الحكم، وكان سيء السيرة، حتى أغضب أهل بيته، وأهالي أفريقية، واشتط في جمع الضرائب، وكانت معاملته للأهلين تنطوي على كثير من العنت والجور، مات سنة 201هـ/816م. انظر : ابن عذاري، البيان، ج1، ص 95 وما بعدها؛ وانظر: وفيقة، نشوء الدويلات، ص 26.

(*) زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب، 201-223هـ/816-837م. تولى السلطة بعد وفاة أخيه عبدالله عام 223هـ/837م في أول أيام المأمون، وكان أطول الأغالبة عهداً بالحكم وكان يميل إلى الظلم والجور، ويمتاز عهده بقيام بعض الثورات ومحاولة فتح جزيرة سردينية ثم فتح جزيرة صقلية في البحر الأبيض المتوسط. انظر : ابن أبي دينار، المؤنس، ص 63-64؛ وانظر: عبد الوهاب، خلاصة، ص 65-66؛ وفيقة، نشوء الدويلات، ص 26.

(٣) ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص 166،167؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص 63؛ وانظر: عبد الوهاب، خلاصة، ص 65.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص184-185؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص 97؛ وقارن ابن خلدون، العبر، ج4، ص236.

(٥) ابن عذاري، البيان، ج1، ص96.

(٦) ابن عذاري ، ج 1، ص 96-97؛ وانظر: زغلول ، تاريخ المغرب، ج 2، ص 44؛ الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 183-185.

(٧) ابن عذاري، البيان، ج1، ص97-98؛ وانظر: الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 185-189.

ويبدو أنَّ سياسة زيادة الله التي تتسم بالعنف، تعدّ من الأسباب أهمّ التي أدّت إلى تمرد الكثيرين عليه، وأكبر تمرد واجهه هو الذي قاده منصور بن نصير الطنبذي [١] (سنة 208هـ/823م)[٢].

وكاد هذا التمرد أن يطيح بالدولة الأغلبية حتى أن زيادة الله بن إبراهيم لم يبق بيده إلا الساحل وقابس[٣]، وتعدَّى الأمر إلى أكثر من ذلك، فقد سك منصور نقوداً باسمه، وضرب على النقد الذي أصدره اسم أفريقية، وذلك دليل على مدى قوته وما استولى عليه من البلاد، بل غيّر كلمة (غلب) الذي هو شعاراً الأغالبة إلى كلمة (عدل)، واتخذ هذا اللفظ شعاراً لتمرده[٤]، وهكذا كاد منصور أن يقيم دولة مستقلة عن بني الأغلب[٥]، ولكن انقسام المتمردين المتمردين على أنفسهم، بعد مقتل منصور سنة (211هـ/826م)[٦] على يد أحد قواده، وهو عامر بن نافع، حال دون تحقيق ذلك، ولم ينته هذا التمرد إلا بعد وفاة عامر سنة 214هـ/829م، فلما سمع زيادة الله بن إبراهيم بذلك قال (الآن وضعَت الحرب أوزارها)[٧].

ولم يكن عصيان منصور آخر تمرُّد حصل في عهد الأمير زيادة الله، فقد تمرد عليه كذلك رجل يدعى فضل ابن ابي العنبر (سنة 218هـ/834م) في تونس، لكن زيادة الله تمكن من قمع تمرده[٨]، ويبدو أن قوة زيادة الله وشدته ومقدرته على قمع كل التمرُّدات التي حصلت حصلت ضدَّه قد هيأت فترة من الهدوء السياسي في عهده، وقد خلفه الأمير أبو عقال الأغلب بن إبراهيم 223-226هـ/837-840م[٩].

وباستثناء الحملة التي أرسلها ضد قبائل لواته، وزواغة، ومكناسة، الموجودة بين قفصه وقسطيلية[١٠]، وذلك سنة 224هـ/838م، بقيادة عيسى بن ريعان الذي

---

(١) خرج الطنبذي، منصور بن نصر على زيادة الله سنة 209هـ/824م. ومنصور هذا كما يقول ابن الابار في الحلة السيراء، هو من قبيلة هوزان من ولد دريد بن الصمة، ويعرف بالطنبذي نسبة إلى قصر له في قرية طنبذة، من إقليم المحمدية بالقرب من تونس. انظر: البكريّ، المغرب، ص 38؛ ياقوت، معجم البلدان، ج 4، ص 43.

(٢) ابن الآثير، الكامل، ج 5، ص 185؛ وجعل ابن عذاري هذا التمرد سنة 209هـ/824م، انظر: ابن عذاري، البيان، ج1، ص 98.

(٣) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج3، ص 19.

(٤) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 98-99؛ ابن أبي الضياف، اتحاف، ج 1، ص 106؛ وانظر : عبد الوهاب، حسن حسني، ورقات من الحضارة العربية بأفريقية التونسية، الدار التونسية: تونس، 1964، ج1، ص 430، وسيشار إليه فيما بعد : عبد الوهاب ، ورقات؛ ابن قربة، صالح، المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد، الجزائر، 1986، ص 247؛ وسيشار إليه فيما بعد : ابن قربة، المسكوكات.

(٥) ابن قربة، المسكوكات، ص 247.

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 185-186.

(٧) ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص 167.

(٨) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 98-99؛ زغلول، تاريخ المغرب، ج 2، ص 46-60؛ الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 190-229.

(٩) ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 252-253؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص 107؛ ابن خلدون، العبر، ج3، ص 383؛ (ويسميه ابن أبي العين)، وانظر : سالم، المغرب الكبير، ج3، ص 383؛ زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص 62؛ الدولة الأغلبية، ص 232-234. وأبو عقال (الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب وهو أخو زيادة الله وتولى السلطة من 223-226هـ/837-840م بعده ابنه محمد الأول بن الأغلب (226-242هـ)، حيث انهى أبو عقال فتح صقلية واختط قصره، وفي أيامه عصى أهل تونس، فغار عليهم وسبى منهم خلقاً كثيراً وفي أيامه فتحت مدينة (بانه) في صقلية وبني بها مسجداً. انظر: ابن أبي دينار، المؤنس، ص 64-65؛ وانظر: عبد الوهاب، خلاصة، ص 68؛ وفيقة، نشوء الدويلات، ص 27.

(١٠) ابن عذاري، البيان، ج1، ص107؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص 239.

انتصر عليها[١]، وكانت هذه القبائل الموجودة في تلك المنطقة من الخوارج الإباضية، الذين كانوا غالباً ما يثيرون القلاقل ضد دولة الأغالبة[٢].

وفي عهد أبي العباس محمد الأول بن الأغلب (226-242هـ/840-856م)[٣]، وأحرقت وأحرقت العباسية عاصمة الأغالبة من قبل الرستميين سنة 239هـ/853[٤]، ونلاحظ في عهده ملاحظة لم تعهدها من قبل وهي تغلب أخيه أحمد بن محمد على الحكم سنة 231هـ/845م[٥]، ما يشير إلى وجود خلافات بين أفراد الأسرة الأغلبية الحاكمة. لكن الأمير الأمير محمد استطاع أن يسترد الأمور من يد أخيه (سنة 232هـ/846م)[٦]، ولكنَّ عهده لم يخل من بعض الثورات والتمرُّدات الأخرى، فقد حدث تمرُّد ضدَّه (سنة 233هـ/847م)، قاده سالم بن غلبون الذي استغل حالة النزاع بين الأخوين [٧]، ولكن هذا التمرد قضى عليه بقيادة خفاجة بن سفيان أحد قادة الأمير محمد، ودفع سالم بن غلبون حياته ثمناً له[٨].

ولم تكد الأمور تهدأ للأمير محمد حتى تمرد عليه عمرو بن سليم التجيبي (القويع) في تونس سنة 234هـ/848م[٩]، ودام تمرده سنتين حتى انتهى بمقتله[١٠].

وامتنع السكان في منطقة طرابلس في عهد الأمير أبي إبراهيم أحمد بن محمد[*] (242-249هـ/856-863م في سنة 245هـ/859م) عن دفع العشور والصدقات، فأرسل أخاه زيادة الله الثاني[*]، فعادوا إلى الطاعة[١١].

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج1، ص107؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص239.

(٢) الزاوي، تاريخ الفتح، ص 216؛ سالم، المغرب الكبير، ج2، ص 393؛ وانظر:زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص 75-76؛ الدولة الأغلبية، ص 242-243.

(٣) الزاوي، تاريخ الفتح، ص 216؛ وانظر: سالم، المغرب الكبير، ج2، ص 393.

(٤) البلاذريّ، فتوح البلدان، ص 231؛ وانظر: اسماعيل، الخوارج، ص 52.

(٥) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 108.

(٦) النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 63؛ وانظر: الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 245-254.

(٧) ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 40؛ وانظر:زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص 83-84.

(٨) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 109، 110؛ وانظر: الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 264.

(٩) ابن الأثير ، الكامل، ج5، ص 282.

(١٠) ابن الأثير ، ج5، ص 282؛ زغلول، تاريخ المغرب، ج 2، ص 84-85؛ وانظر: الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 265-268.

(*) في سنة 242هـ/856م توفي محمد بن الأغلب بعد أن حكم خمسة وعشرين سنة وثمانية أشهر واثني عشر يوماً فخلفه ابنه أحمد (242-249هـ/856-863م) وكان كما يقول ابن عذاري كان محمد حسن السيرة، كريم الأخلاق والأفعال، من أجود الناس وأسمعهم وأرفقهم بالرعية، وفي أيامه منح الإمام أبو سعيد سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي (ولد سنة 160هـ) أهل الأهواء من المسجد الجامع، وكانوا قبل ذلك يجتمعون فيه ويتظاهرون بمذاهبهم مثل: الإباضية والصفرية والمعتزلة فمنعهم سحنون من الاجتماع. انظر: النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 66؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص 64؛ حسن، تاريخ الإسلام، ج3، ص 165؛ وفيقة؛ نشوء الدويلات، ص 27؛ عبد الوهاب، خلاصة، ص 68.

(*) زيادة الله الثاني: زيادة الله الثاني محمد بن إبراهيم بن الأغلب (249-250هـ/863-864هـ) وكانت ولايته سنة وستة أشهر حسب رواية ابن أبي دينار القيروانيّ في المؤنس. وكذلك انظر : ابن عذاري، البيان، ج1، ص 107وما بعدها؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص 65-66؛ حسن، تاريخ الإسلام، ج 3، ص 165-166؛ عبد الوهاب، خلاصة، ص 68-69؛ وفيقة، نشوء الويلات، ص 27.

(١١) ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 91؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج 24، ص 66ص (لا يذكر السنة)؛ ابن خلدون، العبر، ج24، ص 240 وانظر : الزاوي، تاريخ الفتح، ص 217-218؛ سالم، المغرب الكبير، ج2، ص 398، زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص 100.

كما لاحظنا أن الاضطرابات كانت تحدث دائماً في منطقة الزاب، لأن سكانها كانوا موالين للدولة الرستمية، ويعملون دائماً على إثارة المشكلات ضد دولة الأغالبة، وقد حدث اضطرابات في المنطقة المذكورة في عهد الأمير أبي عبدالله محمد بن أحمد بن محمد بن الأغلب (أبي الغرانيق) (١)، الذي حكم من (250-261هـ/864-874م)، ما اضطره إلى إرسال خفاجة بن محمد بن إسماعيل لقتالهم ولكن هذا القائد قتل على يد المهلب بن صولات، وهو من قبائل هوارة، فانسحب الجيش الأغلبي إلى مدينة طبنة منهزماً(٢).

وبعد أن تسلم الأمير إبراهيم بن أحمد الحكم (261-289هـ/874-901م)(٣) بدأ ببناء عاصمة له سماها رقادة(*)، وذلك سنة 263-264هـ/876-877م)(٤).

وفي سنة 265هـ/878م فكر العباس بن أحمد بن طولون بالاستقلال عن والده بإمارة يقتطعها لنفسه في برقة، ويضيف إليها طرابلس، والأقاليم الشرقية من إمارة الأغالبة.

وانتهز العباس فرصة غياب والده أحمد بن طولون في الشام وقام بانقلاب أيّده فيه كبار القادة، واستولى على ما كان في بيت المال في مصر، وقبض على وزير والده، وقيده، وأخذه إلى برقة(٥)، التي وصل إليها في ثمانمائة فارس، وعشرة آلاف راجل من السودان، وخمسة آلاف جمل(٦).

وأخذ العباس يراسل رؤساء القبائل البربرية في طرابلس، فاستجاب له بعضهم، لأنهم كانوا يقفون موقف المعارضة من الدولة الأغلبية، ولأنهم كانوا يدينون بمذهب الخوارج الإباضية، وتقول رواية ابن الأثير أن العباس حاول التغرير بإبراهيم بن أحمد، وكتب إليه

---

(١) أبو الغرانيق: لقب بهذا الإسم لأنه كان يهوى صيدها، انظر : ابن عذاري، ج 1، ص 114؛ والغرانيق: طيور مائية عريضة الجناح ، طويلة الساق، انظر : النويريّ : نهاية الأرب، ج 22، ص 272، هامش رقم (39).

وكان أبو الغرانيق: محمد الثاني بن أحمد قد تولى من 250-261هـ/864-874م وقد وصفه ابن عذاري في هذه العبارة (أنه كان مسرفاً في العطاء مع حسن سيرته ثم غلبت عليه اللذات، وكان متابعاً في عهده لفتح صقلية، ويقول ابن عذاري أن الحرب التي وقعت بين المسلمين والروم في صقلية 255-259هـ وقد عاصر الخلفاء العباسيين، المستعين، والمعتز، والمهتدي، والمعتمد. انظر: ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 107وما بعدها؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص 65-66؛ حسن، تاريخ الإسلام، ج 3، ص 165-166؛ عبد الوهاب، خلاصة، ص 68-69؛ وفيقة، نشوء الدويلات، ص 27.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 114؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج 24، ص 67؛ الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 283-289.

(٣) ابن الابار، الحلة السيراء، ج 1، ص 170-172؛ وانظر : حسن، حسين، أعلام تميم، ط 1، دار صادر: بيروت، 1980م، ص 35-37؛ وعن ترجمته وكيفية توليته الإمارة، انظر : ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص5؛ ابن عذاري،البيان، ج1، ص 116؛ النويريّ، ج22، ص 274.

(*) رقادة: بينها وبين القيروان مسيرة أربعة أيام، هواؤها طيب وتربتها خصبة، انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص55.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص 16؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 117؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج 24، ص 69؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج 3، ص 27؛ ابن دينار، المؤنس، ص 52؛ وعن رقادة، انظر : ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص 55-56؛ الحميري، الروض المعطار، ص 271.

(٥) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 118؛ وانظر: الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 392؛ نبيلة، محاضرات، ص 203؛ عبد الحميد، تاريخ المغرب، ج2، ص120.

(٦) الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 392؛ نبيلة، محاضرات، ص 203؛ زغلول، تاريخ المغرب، ج 2، ص 120.

يقول: (أن أمير المؤمنين قلدني أم أفريقية وأعمالها) [١]. ودخل العباس بن طولون إلى لبدة شرق طرابلس، وأرسل إبراهيم بن أحمد الأغلبي قائده أحمد بن قرهب في ألف وستمائة فارس، ودخل طرابلس قبل وصول العباس إلى منطقة لبدة، وهزم أحمد بن قرهب، ودخل الجيش الطولوني لبدة سنة 266هـ/871م[٢].

وفوجئ العباس وجيشه بالإباضية من بربر نفوسه بقيادة زعيمهم إلياس بن منصور الذي غضب لما حل بأهل طرابلس، وانسحب العباس محاولاً العودة.

وكانت الدولة العباسية تراقب الأحداث عن بعد، ولم تحرك ساكناً، ولم يكن لها أي دور في ذلك، لأن الدولة الأغلبية في نظرها هي التي ستكون السد المنيع بينها وبين أطماع الدول الاستقلالية الأخرى.

وقد تعرضت البلاد (أفريقية) في عهده إلى غزو قام به العباس بن أحمد بن طولون والي مصر، لكن هذا الغزو باء بالفشل، وسحق معظم جيش العباس[٣].

كما حدثت في سنة (275هـ/888م) حركة كان سببها إصلاح مالي للنقد قام به إبراهيم وسميت (ثورة الدراهم)[٤]، فقد عمد إبراهيم إلى ضرب دراهم صحيحة، ومنع ما كان يتعامل به من الدراهم التي كانت تقطع إلى أجزاء صغيرة، كالأنصاف، والأثلاث،والأرباع [٥]، الأمر الذي أدى إلى انتشار الإرباك في عملية المقايضات، فاستطاع الأمير إبراهيم أن يقضي عليه بالدراهم الصحيحة التي ضربها، وكانت خالصة العيار، فأصبح كل عشرة دراهم تساوي ديناراً ذهبياً فسمِّيت (بالعاشرية)[٦].

ولم يرض التجار عن هذا الإصلاح، لأنه كان سيؤدي إلى تقليل أرباحهم بسبب اختفاء هذه القطع في تعاملهم اليومي [٧]، فقاموا بالتمرد، لكنهم قمعوا، وتم إسكات ثورتهم بالقوة [٨]، واستقر الإصلاح النقدي المذكور منذ سنة (275هـ/888م)، وصارت نقود أفريقية الذهبية والفضية تؤخذ صرفاً لا وزناً.

ويبدو أنَّ سياسة إبراهيم التي اتصفت بالقسوة والشدة، كانت سبباً في حدوث بعض التمردات الأخرى عليه في تونس [٩]، إذ بلغت هذه التمردات درجة كبيرة من القوة بحيث لم يبق في يده إلا الساحل والشرق من طرابلس [١٠]. ويذكرنا هذا الموقف العصيب الذي مر به إبراهيم بأيام زيادة الله الذي خرجت من يده كل أفريقية إلا بعض المناطق، عندما تمرّد عليه

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 118؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 21؛ وانظر: نبيلة، محاضرات، ص 204.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 21؛ وانظر: نبيلة، محاضرات، ص 205؛ أبو دياك، صالح محمد فياض، المظاهر السياسية والحضارية للدولة الرستمية في المغرب (144-296هـ/761-909م)، مجلة دراسات تاريخية، السنة 17، ع 55-56، آذار-حزيران، 1996م،/ جامعة دمشق، سوريا.

(٣) الكنديّ، الولاة، ص 222؛ وانظر فيما بعد ص 101، 102؛ قاسم، الحياة الفكرية، ص 101-102.

(٤) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 120.

(٥) عبد الوهاب، ورقات، ج1، ص 432؛ ابن قربة، المسكوكات، ص 237.

(٦) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 121؛ وانظر: ابن قربة، المسكوكات، ص 237-238.

(٧) عبد الوهاب، ورقات، ج1، ص 432؛ ابن قربة، المسكوكات، ص 237-238.

(٨) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 120-121؛ وانظر: سالم، المغرب الكبير، ج2، ص 412؛ سالم، تاريخ المغرب، ص 326؛ زغلول، تاريخ المغرب، ج2، 128-129؛ الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 304-305.

(٩) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص123؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج 24، ص 72-73 ويجعلها سنة (278هـ/890م).

(١٠) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 123.

منصور الطنبذي[١]، ولكن إبراهيم بقوته وبطشه استطاع التغلب على هذه التمردات وقمعها جميعاً[٢]، أما خليفتاه وهما ابنه عبدالله (290-291هـ/902-903م) وحفيده زيادة الله الثالث الثالث (291-296هـ/903-908هـ)[٣]، فقد انشغلا في مقاومة أبي عبدالله الداعي الفاطمي[٤]، الذي تمكن من دحر جيوش الأغالبة، فسقطت على يديه الدولة الأغلبية (سنة 296هـ/908م)[٥].

- **المبادئ التي نادوا بهـــا :**

وفي الوقت الذي تأسست فيه دولة الأغالبة في المغرب كانت هناك دولتان أخريان مستقلتان هما:

دولة الرستميين الخوارج في شرقي المغرب الأوسط (الجزائر) 137-297هـ/754-909م، ودولة الأدارسة في المغرب الأقصى (فاس) 172-375هـ/788-985م، وكان لكل من هذه الدول مبادئها وأسسها التي قامت عليها، ودورها الذي قامت به في صنع تاريخ المغرب الإسلامي.

ولكن دولة الأغالبة تتميز عن هذه الدول بأنها كانت ممثلة للدولة الإسلامية العامة (العباسية) في المغرب، ومواصلة لسياسة تلك الدولة العامة، وهي المحافظة على وحدة الإسلام، دولة الإسلام (الجماعة، والتمسُّك بالسنة)، في حين كانت بقية دول المغرب المعاصرة لها لا تتفق والدولة العباسية لا مذهبياً ولا سياسياً بل معادية لها، وهذا هو الذي جعل دولة الأغالبة القاعدة الكبرى للإسلام والعرب في المغرب في ذلك العصر[٦].

وكان قيام الدولة الأغلبية نتيجة مباشرة لنشاط الطالبيين والخوارج في أفريقية، فبعد مقتل عامل القيروان عمرو بن حفص على يد الخوارج كادت ثورات هؤلاء أن تطيح نهائياً بالحكم العباسي في تلك البلاد، إذ أن المنصور أرسل حملة بقيادة يزيد بن حاتم، ليتمكن من إعادة الهدوء، وإقرار الأمن لبعض الوقت في هذه الولاية، إلا أن خطر الخوارج عاد بصورة أشد في عهد الخليفة هارون الرشيد، وبدأ واضحاً أن المغرب كله يسير بكامله في اتجاه الاستقلال، وعلى ذلك فقد وجد الخليفة أن مصلحة الدولة تقتضي بأن يبحث عن شخصية قوية تتولى أمر المغرب، وتحافظ على ارتباطه بالسلطة المركزية[٧].

ولذلك اعتبرت ولايته ضمن الدول المستقلة التي قامت في الدولة العباسية، وكل ما يربطه بالدولة العباسية هو مبدأ تأدية ما عليه من الخراج إلى بيت المال، والمحافظة على

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 123.

(٢) المصدر نفسه، ج 1، ص 123-124 و ص 129؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج 24، ص 73؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص 136-140؛ الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 318-323.

(٣) ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص 174-178.

(٤) أبي عبدالله: هو أبي عبدالله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا الداعي لنشر المذهب الفاطمي في المغرب. والذي استطاع أن يسقط الدولة الأغلبية وباقي دول المغرب العربي، وأقام أركان الخلافة الفاطمية، انظر : القاضي النعمان،ابن حيون أبا حنيفة، النعمان بن محمد، افتتاح الدعوة، تح ، فرحات الدشراوي، الدار التونسية : تونس، 1975م، ص 30، وسيشار إليه فيما بعد : القاضي النعمان، افتتاح.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص 130، 131، 132، 133؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 3، ص 168، 191؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص 53-54؛ وانظر: سالم، المغرب الكبير، ج2، ص 43 وما بعدها؛ زغلول، تاريخ المغرب، ج 2، ص 57، ص 163-168،164، وما بعدها ص 562 وما بعدها، الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 591 وما بعدها.

(٦) المالكيّ، رياض النفوس، ج1، ص 259. وانظر: مؤنس، تاريخ المغرب، م1، ص 29.

(٧) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص 209-221؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ص 360-366.

الإجراءات الرسمية المتعلقة بالخليفة، أما ما عدا ذلك فكانت دولة الأغالبة مستقلة استقلالاً تاماً(١).

وهكذا قامت هذه الدولة كرد فعل مباشر من جانب الخلافة العباسية على نشاط الخوارج، وقيام دولة الأدارسة في المغرب والوقوف بوجه امتداد نشاط الأدارسة نحو المشرق(٢).

ولم يخيِّب إبراهيم بن الأغلب ظن الرشيد، فقد كان من أنجح الولاة، وأكثرهم كفاءة، فقد استطاع تطبيق المبادئ التي نادى بها، وأن يدفع عن ولايته الخطر المتمثل بالأدارسة، وإمداد الحكم المركزي بالعائدات المالية المرتفعة التي جاءت نتيجة سياسته الاقتصادية الناجحة، وفي الوقت نفسه كانت مبادئه تتمثل في عدم اخفاء طموحه بإنشاء دولة وراثية شبه مستقلة، وانسجاماً مع هذه المبادئ والطموحات اتخذ ابن الأغلب لدولته عاصمة جديدة بالقرب من القيروان، ونستطيع القول أن من المبادئ التي نادى بها ابن الأغلب هوعدم قطع الصلة التي تربطه بالعباسيين (٣)، وقد اعترف العباسيون بالطابع الوراثي للدولة الأغلبية القائمة في القيروان(٤).

ومن المبادئ التي نادى بها الأغالبة مبدأ الجهاد، ونشر الإسلام خارج أفريقية، لذلك فإن أهم عامل دفع الأغالبة لفتح صقلية سنة 212هـ/827م هو عامل الجهاد في سبيل الله(٥)، وما وما تولية أسد بن الفرات (*) قائداً لهذه الحملة إلا دليل على صفتها الجهادية ومبدأ أساسي نادت به الدولة الأغلبية(٦).

وأصبح الاعتزال مذهباً رسمياً لدولتهم، ولأسباب تخص الساحة الداخلية، المحافظة على التوازن بين المعتزلة القليلي العدد وبين السكان المحليين الأكثر عدداً، إذ كانت الوزارة من نصيب المالكية، بينما تولى القضاء معتزلي وفي ذلك قال عياض:

---

(١) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص 209 وما بعدها؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص 116، 160؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص 93، ص 163–182؛ انظر: زغلول، تاريخ المغرب، ص 360–366.

(٢) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص 209 – 221؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج 1، ص 93، ص 163–182؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ص 360–366.

(٣) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص 209–221؛ ابن الأثير، الكامل، ج 5، ص 104، 105؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 116–160؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج 1، ص 70، 71؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص 360–366؛ نبيلة، محاضرات، ص 172.

(٤) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص 209؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص 360 وما بعدها.

(٥) مجهول، العيون والحدائق، ج3، ص 370؛ انظر: سالم، تايخ المغرب، ص 300؛ المدني، أحمد توفيق، المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، (د.مط) الجزائر ط2، 1985م، ص 56. وسيشار إليه فيما بعد: المدني، المسلمون.

(*) أسد بن الفرات: قاضي القيروان وقائد جيش الأغالبة الذي أرسل لفتح صقلية وذلك يوم السبت من ربيع الأول سنة 212هـ/نيسان سنة 827م، وقد اختلفت المصادر في ذكر عدد جيش الحملة التي أرسلت لفتح صقلية، انظر : ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 102؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج 2، ص 381؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص 49؛ حول عناصر الحملة انظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج 2، ص 217–218؛ الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 457.

(٦) المالكيّ، رياض النفوس، ص 186–187؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج 22، ص 460؛ وانظر: المدني، المسلمون، ص 58؛ الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 445–451.

(ولما أراد محمد بن الأغلب (محمد الأول) أن يولى سحنون [*]. جمع الفقهاء والعلماء للمشورة فأشار سحنون بسلمان بن عمران، وأشار سليمان بسحنون، وأشار غيرهم بسليمان، فادخلوا فرادى، فقال كقولهم الأول، وذلك أن أكثر الفقهاء اذ ذاك على رأي الكوفيين، وكان سليمان يرى رأيهم، فقال سليمان: (ما ظننت أنه شاور في سحنون، صححت فرأيت أهل مصر يتمنون كونه بين أظهرهم، وما يستحق أحد القضاء و(سحنون حي)[١].

ورفع الأغالبة راية الكتاب والسنة في الحكم، ودليل ذلك أن الأغالبة أظهروا اتباع المذهب الصفري بالقيروان، فالقاضي سحنون الذي ولّي قضاء القيروان سنة 234هـ/848م عمد إلى تفريق حلقاتهم ومنعهم من مزاولة التعليم في المساجد كما اتهموا بالزندقة[٢].

وتشير المصادر إلى أن أمير سجلماسه اليسع بن مدرار (270-297هـ/883-909م) قام باعتقال أبي محمد عبدالله المهدي[*] ، تنفيذاً لرغبة كل من الخلافة العباسية والأغالبة[٣].

واستطاع الأغالبة خلال خمس وسبعين سنة من الجهاد أن يسيطروا على صقلية 189-264هـ/805-877م، وقد كانت لتلك الفتوحات نتائج اجتماعية واقتصادية وثقافية على صقلية، فقد غدت هذه الجزيرة جسراً عبرت منه الثقافة العربية إلى أوروبا[٤].

ولم تقتصر مهمة الدولة الأغلبية على سياسة الدفاع عن هذه المنطقة ضد الأدارسة والخوارج الرستميين، وإنما كان لها جهود ضخمة على صعيد المجابهة مع البيزنطيين، ذلك أن ابن الأغلب أولى الأسطول البحري اهتماماً، وتمكن من إيقاف الخطر البيزنطي على

(*) الإمام سحنون: أبو سعيد سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي، ولد بالقيروان 160هـ وتلقى العلم بأفريقية عن علي بن زياد وأسد بن الفرات، ثم توجه في طلب العلم إلى المشرق سنة 188هـ / فزار مصر والحجاز والشام، ووكيع بن الجراح وغيرهم، وعاد إلى بلده سنة 191هـ، فأظهر بها علم أهل المدينة، ومذهب مالك بن أنس، ولما اشتهر سحنون وذاع صيته، راوده الأمير ابو العباس أحمد بن الأغلب حولاً كاملاً عن خطة القضاء حتى قبل منه الولاية سنة 234 هـ على شروط منها اطلاق يده في تنفيذ الأحكام الشرعية على أقاربه عن بني الأغلب ورجال دولته، ومنها الزام المتنازعين من البيت المالك بالحضور لديه مع الخصوم، فقبل أحمد الشروط كلها، وانتصب سحنون للقضاء وباشر الحسبة والمظالم بنفسه ولقب بسراج القيروان. وله كتاب (المدونة الكبرى) جمع فيه مسائل الفقه على مذهب مالك بن أنس توفي في 6 رجب سنة 240 هـ في أيام حكم محمد بن الأغلب ودفن بالقيروان انظر : المالكيّ، رياض النفوس، ج 1، ص 272-273؛ وانظر: حسن، تاريخ الإسلام، ج3، ص 69-70؛ الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 264-265.

(١) المالكيّ، رياض النفوس، ج 1، ص 272 وما بعدها؛ وانظر: الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 264 وما بعدها.

(٢) أبو العرب، طبقات، ص102؛ المالكيّ، رياض النفوس، ج1، ص 272-273؛ ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبدالله محمد التلمساني الغرناطي، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تح محمد كمال شبانه، الرباط، المغرب، 1976، ص180-181. وسيشار إليه فيما بعد: ابن الخطيب، معيار الاختبار؛ وانظر: اسماعيل، الأغالبة، ص 101.

(*) ابو محمد عبدالله المهدي، هو أول خليفة فاطمي بويع بالخلافة في 21 ربيع أول سنة 297هـ/909م. ابن عذاري، البيان، ج1ص 166؛ انظر: اسماعيل الأغالبة، ص 101 وما بعدها، قاسم، الحياة الثقافية، ص 109؛ وفيقة، نشوء الدويلات، ص 28.

(٣) ابن خلدون، المقدمة، ص 38؛ المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين، تح جمال الدين الشيال، بولاق، القاهرة، 1967م، ص 45. وسيشار إليه فيما بعد: المقريزي، اتعاظ الحنفا.

(٤) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 102؛ مجهول، العيون والحدائق، ج 3، ص 37؛ وانظر: المدني، المسلمون، ص 61؛ الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 455 وما بعدها.

السواحل الأفريقية، وكان أبرز نتائج هذه السياسة سقوط جزيرتي صقلية سنة 212هـ/740م ومالطة سنة 261هـ/877م في أيدي الأمراء الأغالبة الذين جاءوا بعد ابن الأغلب[١].

وكان إبراهيم بن الأغلب الذي تولى حكم دولة الأغالبة عام 184هـ/800م سبباً في إعادة الأمن إلى الجزائر الشرقية، وتونس، وأسس دولته التي سميت باسمه، ودامت قوية إلى أن قضى عليها أبو عبدالله الشيعي عند الدعوة للفاطميين عام 296هـ/908م[٢].

ومهما يكن من أمر، فإن الدولة الأغلبية، ومنذ قيامها قد التزمت بعدد من المباديء التي نادت بها، وتعهدت بالبقاء على الطاعة والولاء للدولة العباسية، وقد وافقت هذه الأخيرة على أن تجعل الولاية وقفاً على أهل بيت ذلك الرجل، يتوارثونها فيما بينهم ما داموا على الولاء الكامل للبيت العباسي[٣].

ومن المبادئ التي نادى بها الأمير إبراهيم بن الأغلب (184-196هـ/800-812م) مع ما كانت الدولة العباسية تسعى إليه من وضع أمور أفريقية في أيدٍ أمينة، وتستريح من تكاليف نفقاتها عليها، وعلى هذا تم الاتفاق بين الرشيد وإبراهيم الأغلب، إذ أن الرشيد ولى إبراهيم بن الأغلب منطقة تونس، واعترف به أميراً مستقلاً بإمارته تحت ظل الخلافة العباسية[٤].

ومما سبق نستطيع القول إن الدولة الأغلبية مرت بثلاث فترات هي[٥]:

الفترة الأولى: فترة التأمين من عام 184-223هـ/800-838م، وتشمل الأغلب وابنه العباس عبدالله، وزيادة الله الأول.

الفترة الثانية: فترة الاستقرار والازدهار، وهي من 226-289هـ/840-902م، وتمتد من حكم زيادة الله إبراهيم بن الأغلب (الأول) من عام 201هـ/816م إلى نهاية حكم أبي عبدالله محمد الثاني، ثامن أمراء البيت الأغلبي الملقب (بأبي الغرانيق) وذلك عام 261هـ/875م.

الفترة الثالثة: فترة التدهور والأفول، تبدأ من حكم إبراهيم بن أحمد 289-296هـ/902-909م، وفي كل الفترات التي دامت بها الدولة الأغلبية تبنت عدة مبادئ منها: الحفاظ على مذهب أهل السنة والجماعة، وإحياء روح الجهاد والفتوحات، والبقاء في نطاق الأمة الإسلامية، والمحافظة على الطابع الإفريقي، والمحافظة على نشر اللغة العربية والروح الإسلامية الصادقة، والاهتمام بالعلم، والفقه، ورعايته والعلماء والفقهاء[٦].

---

(١) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص 209-210؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 102-117؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص 93-101؛ ص 163-182.

(٢) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص 209؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 116؛ ؛ وانظر: الغنيمي، موسوعة تاريخ المغرب العربي، ج2، ص167.

(٣) الرقيق، تاريخ أفريقية، ص 210-211؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، 116؛ الغنيمي، موسوعة تاريخ المغرب، ج2، ص 169.

(٤) الباروني، مختصر، ص 30؛ وانظر: معمر، ص 23؛ وانظر: السامرائي، إمامة الدفاع، ص 97-98؛ الغنيمي، موسوعة تاريخ المغرب، ج2، ص 169.

(٥) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص 200؛ وانظر: الغنيمي، موسوعة تاريخ المغرب العربي، ج2، ص 168.

(٦) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص 200؛ وانظر: الغنيمي، موسوعة تاريخ المغرب، ج2، ص 168.

▪ موقف السكان المحليين من دولة الأغالبـــــة :

كانت تسكن أفريقية (تونس) التي أقام بها بنو الأغلب دولتهم مجموعات سكانية عديدة أهمها:

1. العرب: وهم القبائل العربية التي دخلت أفريقية في حروب التحرير العربية، فعلى سبيل المثال دخل مع حسان بن النعمان الغساني إلى أفريقية سنة (74هـ/693م) نحو أربعين الف مقاتل(١).

كما دخل المغرب مع كلثوم بن عياض (123هـ/740م) نحو ثلاثين الفاً من العرب، بقي منهم عشرة آلاف من الجند الشاميين (٢)، ووفد كذلك إلى المنطقة مع محمد بن الأشعث الذي ولّي أفريقية (سنة 142هـ/759م)، حوالي عشرة آلاف عربي(٣)، كما دخل أفريقية مع يزيد بن حاتم سنة 154هـ/770م ستون ألفاً من العرب(٤)، وقد استقر هؤلاء العرب في مدن أفريقية كتهودة، وطبنة، وبلزمة، وباجة(٥).

أمَّا الجند الذين أطلق عليهم اسم الخراسانيين فينتمون إلى أصول عربية، فكما هو معروف فقد هاجر نحو خمسين ألف عائلة عربية من الكوفة والبصرة، وسكنت خراسان منذ عهد معاوية بن أبي سفيان (41-60هـ/60-679م)(٦)، وأطلق عليهم اسم خراسان، لسكناهم لسكناهم فيها، ومن أعقاب هؤلاء جاء أولئك الذين سكنوا أفريقية(٧).

وكان معظم عرب أفريقية جنداً يستنفرهم الأمراء في أوقات الحرب، ولكن هؤلاء الجند كانوا كثيراً ما يعلنون ثوراتهم على الأمراء والعمال في مدن أفريقية، ويشكلون بذلك خطراً جسيماً على دولة الأغالبة(٨).

وقد عانى إبراهيم بن الأغلب من ثورات الجند كثيراً، ففي عام 186هـ خرج عليه حمديس الكنديّ، ونزع شعار العباسيين (السواد)، كما ثار عليه عمران بن مجالد وهدد ابن الأغلب، ولذلك عمّد ابن الأغلب إلى اصطناع العبيد، واستكثر من طبقاتهم(٩).

2. العجم (الفرس): أشار اليعقوبيّ إلى جماعات من المشارقة تضم عرباً وعجماً كانت تسكن بلاد أفريقية، ويقصد اليعقوبيّ بالعجم الفرس الذين قدموا من خراسان وفارس مع ولاة بني العباس على أفريقية(١٠).

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 34.

(٢) ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر، تاريخ افتتاح الأندلس، تح عبدالله أنيس الطباع، طبعة دار النشر، بيروت، 1958م، ص 40-41. وسيشار إليه فيما بعد: ابن القوطية، تاريخ افتتاح؛ وانظر: حتاملة، جيل المولدين، ص 58 وما بعدها؛ مؤنس، فتح العرب، ص2؛ سالم، تاريخ المغرب، ج2، ص 125-126.

(٣) النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص39.

(٤) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص 159.

(٥)البكريّ، المغرب، ص 72.

(٦) البلاذريّ، فتوح البلدان، ص 396؛ البكريّ، المغرب، ص 72، 73.

(٧) البلاذريّ، فتوح البلدان، ص 396؛ البكريّ، المغرب، ص 72، 73.

(٨) ابن الأثير، الكامل، ج 5، ص 104-105؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق 3، ص14؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص 330.

(٩) ابن الأثير، الكامل، ج 2، ص235؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق 3، ص14؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص 330.

(١٠) اليعقوبيّ، البلدان، ص 99-103؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص 97؛ وانظر: جوليان، تاريخ أفريقية، ج2، ص 61؛ قاسم، الحياة الفكرية، ص 67.

فقد أشار اليعقوبيّ إلى وجودهم في قابس، ومجانه، وقسطيلية، والزاب[١]، كما سكنوا في في مناطق المسيلة، وبسكرة، وطبنة، وباغاي[٢]، كما أشار البكري إلى وجودهم في قسطينة، ومدن بنطوس[٣].

و قد ساهم الخراسانيون بنصيب كبير في الجهاد بصقلية ، فالحملة التي نظمها محمد بن إبراهيم لغزو صقلية سنة 212 هـ / 827 م كان معظم جنودها من الفرس الخراسانيين يقودهم القاضي أسد بن الفرات، و كان خراسانيا كذلك[٤].

3. البربر: وكانوا يؤلفون السواد الأعظم من سكان أفريقية ، و كان معظمهم من الإباضية الذين طالبو الأمويين بالمساواة ، و كانت لهم ثوراتهم المتعاقبة على ولاة بني أمية وبني العباس. فلما تولى إبراهيم بن الأغلب إمارة أفريقية ، أطاعته قبائل البربر، و لكن إبراهيم لم يلبث أن تعرض لثوراتهم في طرابلس معقل الإباضية الأمنع. و يذكر ابن عذارى أنه كان له مع بربر أفريقية حروب كثيرة[٥]. وفي عهد إبراهيم بن أحمد قامت في صقلية فتنة فتنة بين العرب و البربر في سنة 285 هـ، فكتب اليهم الامير يدعوهم إلى الرجوع إلى الطاعة[٦].

4. العبيد: وينقسمون إلى قسمين:
أ. العبيد السودان فقد أكثر الأمراء الاغالبة من شراء العبيد، إذ اشترى إبراهيم بن الأغلب 184 – 197 هـ العبيد السود و جعلهم حرسا خاصا له [٧]، أمَّا أحمد بن الأغلب ، فقد اتخذهم حرسا و حجابا له، عندما تغلب على حكم الامارة سنة 231هـ / 845م[٨]، كما استكثر منهم الأمير إبراهيم بن أحمد 261-281هـ، واتخذهم جندا له [٩] ، وقد استخدمهم للدفاع عنه عندما تمردت بعض المناطق كتونس و غيرها خلال فترة حكمه[١٠].

---

(١) اليعقوبيّ، البلدان، ص 99-103؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص 97.
(٢) اليعقوبيّ، البلدان، ص 99-103؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص 97.
(٣) البكريّ، المغرب، ص74؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص 331؛ قاسم، الحياة الفكرية، ص 67.
(٤) البكريّ، المغرب ، ص 74، وما بعدها.
(٥) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 117، وانظر: ذنون، طه عبد الواحد، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال أفريقية والأندلس، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1982م، ص 49-50. وسيشار إليه فيما بعد: ذنون، الفتح والاستقمرار؛ حتاملة، الأندلس، ص 28 وما بعدها؛ جيل المولدين، ص 27 وما بعدها؛ سالم، تاريخ أفريقية، ج3، ص67.

(٦) ابن عذاري، البيان، ج1، ص130، وانظر: حتاملة، جبل المولدين ، ص2، جوليان، تاريخ أفريقية، ج3، ص67.
(3) البلاذريّ ، فتوح البلدان، ص 231؛ الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية ، ص 222؛ ابن الأثير، ج 6، ص 19؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص 33- 34؛ الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 154.
(4) الرقيق القيروانيّ، ص 222؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج 24، ص70؛ وانظر: قاسم، الحياة الفكرية، ص67.
(5) النويريّ، نهاية الأرب، ج 24، ص 70؛ ابن خلدون ، العبر ، ج 4، ص 200.
(١٠) ابن عذاري، البيان، ج2، ص 123، النويريّ، نهاية الأرب، ج 24، ص 70-71؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص 136- 137؛ الطالبيّ ، الدولة الأغلبية، ص 318.

ذكر ابن عذاري ان زيادة الله الثالث (290- 296هـ / 902- 908م) كتب اسم احدهم ويدعى (خطابا) على الدنانير والدراهم(١)، وقد أخرج عدداً كبيراً مع هذا الامير عندما عندما هرب من رقادة إلى المشرق حاملين معهم أمواله(٢).

ب – العبيد البيض، (الصقالبة):

و هؤلاء عبيد من الجنس الأبيض يؤتى بهم من أوروبا، و صقلية، و يربون تربية ذات طابع اسلامي(٣)، ولقد كثر هؤلاء في عهد الأمير إبراهيم بن أحمد 261-281هـ، لكن إبراهيم أخذ يعمل على التخلص منهم بعد أن احتجوا عليه، و ذلك لانتقاله إلى رقادة(٤).

و يدل هذا الأمر على قوتهم، بحيث أصبحوا يتدخلون في أعمال الأمير، و يبدو أن الأمير إبراهيم بن أحمد قد شن عليهم حملة أخرى لتصفيتهم خلال فترة حكمه(٥)، لكنه لم يقض يقض عليهم تماما، فقد قام اثنان منهم بقتل ابنه الأمير عبد الله أحمد 289-290هـ / 901-902 م(٦).

و الحقيقة أن هؤلاء الغلمان ارتقوا إلى أعلى المناصب بفضل مكانتهم عند الأمراء(٧).

5. فئات أخرى:

أ. الروم:

وهم بقايا جند الحاميات البيزنطية الذين لم يرحلوا عن البلاد (٨)، وقد أشار اليعقوبيّ إلى بقائهم في بعض المناطق كقسطيلية، والزاب(٩).

ب.الأفارقة:

وهؤلاء جماعات خليطة من الفنيقيين، والإغريق، والوندال والرومان، وكانوا يدينون بالمسيحية(١٠).

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج1، ص143.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 141،143، وانظر : زغلول، تاريخ المغرب، ج 22، ص 182، الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 744.وقد لعب الفتيان والعبيد دورا هاما في الدولة الاغلبية، وسجلت اسماء بعضهم على العملات ، باعتبار ان القائمين بالاشراف على دار السكة منهم فهم موضع ثقة الأمراء في هذه الوظائف الخطيرة، كذلك سجلت أسماء بعضهم في النقوش التاريخية على بعض المنشآت التي تمت على أيديهم ومن هذه الأسماء المسجلة اسم: مسرور الخادم مولى الأمير زيادة الله بن إبراهيم (201- 223هـ) حيث نقش على لوحة من الرخام تعلو باب المأذنة برباط سوسة الذي أسس سنة 206هـ ، واسم خلف الفتى اسم يطلق على برج من أبراج سور سوسة، ويقع في الزاوية الجنوبية الغربية من السور، ونقرا اسم نصر وفتح الله على قبة المحراب في جامع الزيتونة في تونس في نقش نصة (بسم الله الرحمن الرحيم، فما أقر بعملة المستعين بالله أمير المؤمنين العباسي طلب ثواب الله، وابتغاء مرضاته، على يدي نصر مولاه سنة خمس ومئتين يا أيها اللذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله – صنعه فتح الله) وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص334- 335.

(٣) مؤنس ، معالم تاريخ، ص 85؛ سالم ، تاريخ المغرب ، ص 334.

(٤) ابن عذاري، البيان، ج1، ص117؛ النويريّ نهاية الأرب ، ج 24، ص 70.

(٥) مجهول، العيون و الحدائق، ق1، ص 73؛ و انظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج 2، ص 132.

(٦) ابن عذاري، البيان ، ج 1 ، ص 134، وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج 2، ص 132.

(٧) جوليان ، تاريخ أفريقية ، ج 2، ص 65.

(٨) صفر، أحمد، مدنية المغرب العربي في التاريخ، دار بوسلامه، مطبعة العمل، تونس، 1959م، ج1، ص 165 وما بعدها . وسيشار إليه فيما بعد: صفر، مدنية؛ جوليان، تاريخ أفريقية، ج 2، ص 61؛ سالم، تاريخ المغرب، ج2، ص330.

(٩) اليعقوبيّ، البلدان، ص 102؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ج2، ص 330 وما بعدها.

(١٠) البكريّ، المسالك، ص 56؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 37؛ وانظر: حتاملة، الأندلس، ص 49، ذنون، الفتح والاستقرار، ص 51؛ سالم، تاريخ المغرب، ج 1، ص 333.وقد جعلهم اندريه جوليان نصارى من البربر على دين النصرانية أحفاد الرومان المعروفين بالافارقة. انظر: جوليان، تاريخ أفريقية، ج23، ص 61-62.

ج. اليهود:

لم يكن لهم أي سلطة، وقد أشار ابن حوقل إلى دفعهم للضرائب، كما أنهم لم يتضايقوا من معايشتهم للمسلمين(١)، وكانت لهم سوق خاصة بهم، وهذا دليل على تسامح المسلمين تجاه تجاه غيرهم ممن يدينون بديانات أخرى(٢).

وعند ولاية إبراهيم بن الأغلب (184-196هـ/800-811م) استشار هارون الرشيد هرثمة بن أعين والي المغرب السابق، الذي أكد على أنه ليس بأفريقية (أحد أفضل طاعة ولا أبعد صيتاً ولا أرضى عند الناس من إبراهيم) (٣)، فكان ذلك سبباً في تولية الرشيد له سنة 184هـ/800م، وان دلّ ذلك على شيء فإنما يدل على رضا الناس عن إبراهيم بن الأغلب، وقبولهم في أن يكون والياً عليهم.

ورواية أخرى تدل على موقف السكان الإيجابي من إبراهيم بن الأغلب، وهو أن السكان قد طلبوا منه توليته لنفسه على أفريقية وأنه قد كتب إلى الخليفة هارون الرشيد بناء على طلب العامة والسكان(٤).

وفي سنة 186 هـ / 802 م تعرض ابن الاغلب لثورة خطيرة في تونس، قادها والي المدينة العربي و زعيم "الأبناء" (٥) خريش " حمد يس" بن عبد الرحمن بن خريش الكنديّ(٦). الكنديّ(٦).

وقد سببت طرابلس بدورها الكثير من المتاعب لابن الأغلب ، فقد كثر شغب أهل طرابلس على ولاتهم ، وكان ابراهيم بن الأغلب أمير أفريقية قد ولى عليهم عدة ولاة، فكانوا يشكون من ولاتهم فيعزلهم و يولي عليهم آخرين و في سنة 189 هـ - 805 م، ثار أهل طرابلس ضد واليهم سفيان بن المضاء (وهي ولايته الرابعة) فاتفق أهل البلد على اخراجه عنهم، واعادته الى القيروان، فزحفوا اليه، فأخذ سلاحه، و قاتلهم هو ومن معه، فأخرجوه من داره، وألجأوه الى المسجد الجامع، فقاتلهم فيه، فقتلوا أصحابه، ثم سمحوا له بالخروج بالامان بعد ولاية استمرت سبعة و عشرين يوما(٧).

---

(١) ابن حوقل، صورة الأرض، ص 72؛ وانظر: حتاملة، الأندلس، ص 53؛ جوليان، تاريخ أفريقية، ج3 : ص 67؛ ذنون، الفتح والاستقرار، ص 5 وانظر أيضاً، صفر، مدنية المغرب، ص 361-362.

(٢) حتاملة، جيل المولدين، ص20؛ الأندلس، ص 39؛ جوليان، تاريخ أفريقية، ج2،، ص 63 حول وجود اليهود في شمال أفريقية والأندلس، انظر : حتاملة، ايبيريا، ص 243، 246، 253، 259.

(٣) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص 22؛ مجهول ، العيون والحدائق، ج3، ص 302؛

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 62-63؛ ابن خلدون، ج4، ص 234-235.

(٥) الأبناء: أبناء الجند الذين ولدوا في افريقيا سواء كانوا من العرب البلديين أي الفتوح الأولى، كما يقول ابن الأبار، أو من الوافدين بعد ذلك من أهل الشام ، و من خرسان ، و أبناء الجند الذين ولدوا و لم ينخرطوا في العسكرية، انظر: ابن الأثير ، الكامل ، ج 5، ص 104؛ ابن الأبار الحلة السيراء ، ج 1، ص 391.

(٦) عن ثورة حمديس الكنديّ (خريش)، انظر: الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص 225؛ ابن الاثير، الكامل، ج5، ص104؛

(٧) يضع ابن عذاري (الثورة) ضمن أحداث سنة 185 هـ و لو أنه يتبع ذلك بقوله : أنه كان لابن الأغلب مع الكنديّ وقائع وافقت محاربة المأمون للأمين من بعد موت الرشيد الى بعد سنة 193 هـ ، واعتقد أن ابن عذارى يخلط بين ثورة الكنديّ هذه و ثورة عمران بن مجالد الذي قضى على ثورة خريش (حمديس) سنة 194هـ/810م. انظر: ابن الأثير، الكامل، ج 5، ص121؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ص 367-368.

ويفهم من رواية ابن الاثير الذي ينفرد بذكر خبر ثورة طرابلس – ان جند طرابلس وليس أهلها هم الذين قاموا بتلك الثورة، اذ أن الجند هم الذين ولوا على البلد ابراهيم بن سفيان وبين قوم من بني أبي كنانة وبني يوسف حتى فسدت طرابلس(١) و عندما بلغت ابراهيم أخبار تلك الفتنة أرسل جمعاً من الجند وأمرهم أن يحضروا الأبناء وبني أبي الكنانة وبني اليوسف فأحضروهم عنده بالقيروان سنة 189 هـ ، فلما قدموا عليه سألوه العفو عنهم في الذي فعلوه، فعفا عنهم وعادوا الى بلدهم(٢).

اما اشد الثورات خطراً فهي تلك الثورة التي قام بها قائد ابن الاغلب عمران بن مجالد الذي قضى على فتنة خريش (حمديس)، بالاشتراك مع قريش بن التونسي سنة 194 هـ / 810م(٣) الذي نجح في الاستيلاء على القيروان التي صارت هي واكثر بلاد أفريقية معه(٤).

ولم يكن لابراهيم بن الأغلب ملاذا الا في العباسية ، فخندق حولها واعتصم باسوارها (٥)، وقد أتى الفرج في الأموال التي أرسلها الرشيد الى ابن الأغلب لدفع مرتبات الجند و ترك ترك عمران بن مجالد القيروان الى الزاب حتى وفاة ابراهيم بن الأغلب عام 196 هـ / 812م(٦).

وفي ولاية أبي العباس عبد الله بن ابراهيم بن الأغلب (196- 201 هـ / 812 – 817م) و التي ولاه أبوه اياها للمرة الثانية أثر اضطراب أحوالها، نتيجة لاضطراب الجند الأغلبي من جهة، و تهديد الخوارج من جهة أخرى، و كان ابراهيم بن الأغلب قد اضطر الى اعادة ابنه عبد الله الى طرابلس مرة ثانية، بعد أن كان عهد بولايتها الى سفيان بن المضاء الذي ظهر عجزه في مقاومة البربر فهزمهم عبد الله واستقر في المدينة، وجدد تحصيناتها وبنى اسوارها(٧).

و بينما كان عبد الله في طرابلس قام أخوه زياد الله بأخذ البيعة من رؤساء الجند، وأرسل يخطره بالأمر(٨)، فاضطر الى عقد صلح مع أباضية عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم اعترف لهم فيه بالسيادة عن ظواهر المدينة(٩).

وهذا يعني أنه أثبت كفاءته، و كانت وصية ابراهيم بن الأغلب أن تكون الامارة له بعد وفاته، و بعد أخذ البيعة لعبد الله من قبل أخويه زيادة الله واخباره بموت أبيه وعقد الصلح مع الإباضية، وقدعاد عبد الله بن ابراهيم الى القيروان وتسلم مقاليد الحكم والولاية(١٠).

---

(١) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص 224؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص391؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ص 368.

(٢) ابن الاثير، الكامل، ج5، ص 121.

(٣) المصدر نفسه، ج5، ص 121.

(٤) عياض، القاضي عياض، أبو الفضل عياض ين موسى، ترتيب المدارك ، دار هارون بيروت، 1965 م، ص 478. وسيشار إليه فيما بعد: عياض، ترتيب المدارك؛ ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 121-122.

(٥) ابن الاثير، الكامل، ج 5، ص104.

(٦) ابن الاثير ، الكامل، ج 5، ص 104؛ ابن خلدون، العبر ، ج4، ص 197.

(٧) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص105؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص95.

(٨) ابن الاثير، الكامل، ج 5، ص 105؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص95؛

(٩) ابن الاثير، الكامل، ج 5، 105؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص95؛ ابن خلدون ، العبر، ج 4 ، ص 197.

(١٠) ابن الاثير ، الكامل ، ج 5، ص 105؛ ابن خلدون، العبر، ج 4، ص 235-256.

وقد وافق الخليفة المأمون على ولايته على أفريقية سنة 198 هـ / 813 م، كما تقول رواية ابن عذارى[١].

وقد استمرت ولاية أبي العباس خمس سنوات وشهرين، ويورد له الكتاب عملين:

أولهما: إساءته إلى أخيه زيادة الله الذي يرجع إليه الفضل في أخذ البيعة له من كبار الجند عند وفاة والدهما إبراهيم والذي ساس شؤون الدولة حتى رجوعه من طرابلس[٢].

وثانيهما: خاص بإصلاح نظام الضرائب، وكانت الضريبة المعتادة هي العشر من الحب الذي تخرجه الأرض، وجعل الخراج ضريبة ثابتة وهي قفيز واحد [٣]، وعارض الفقهاء هذا الإجراء، وطلبوا منه العدول لكنه رفض ذلك. وبقي الأمر على ذلك، حتى تولى الحكم (أبو عقال)، الأغلب بن إبراهيم، فأعاد ضريبة العشر[٤].

وفي عهد زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب (201-223هـ/817-837م)، تذكر الروايات أنه في سنة 207هـ/822م ونتيجة لسوء سيرة زيادة الله في الجند قامت ضده ثورة تزعمها أحد قواد الجند، وهو زياد بن سهل ويعرف بـ (ابن الصقلبية)، كما يقول ابن الأثير، الذي خرج في موضع يعرف بفحص [*] أبي صالح بالقرب من مدينة باجة، لكن هذه الثورة انتهت سريعاً على يد سفيان بن سوادة قائد زيادة الله، والذي فك حصار باجة، وقتل كثيراً من أصحابه الذين خالفوا معه، وغنم أموالهم[٥].

وفي سنة 208هـ/823م حدثت ثورة الزعيم القيسي عمر بن معاوية الذي كان عاملاً لزيادة الله على منطقة القصرين، وكان لعمرو بن معاوية ولدان الأول يسمى حباب والآخر سجمان، وقد قال حباب لأبيه عمرو: (انك دخلت في أمر عظيم، وعرضت نفسك لهلاك، ولست من رجال هذا الأمر، ولا ينفعك عدد ولا عدة، فما كان من والده إلا أن ضربه مائتي سوط، كما تقول الرواية، وتمادى على الخلاف)[٦].

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص105؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص 41.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص105؛ وانظر : نبيلة، محاضرات، ص 177؛ زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص 41.

(٣) القفيز يساوي (159.2م2). انظر : ابن عذاري، البيان، ج 1، ص95؛ ابن ابي الضياف، اتحاف، ج 1، ص 105؛ زغلول، تاريخ المغرب العربي، ج2، ص 41؛ الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 178-179.

(٤) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 107؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج22، ص 265؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص 76-77.

(*) الفحص كل موضع يسكن سواء كان سهلاً أو جبلاً بشرط أن يزرع، والفحص كذلك كورة كبيرة، وقد يكون إقليم من الأقاليم. انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص 330؛ ابن الابار، الحلة السيرا، ج 2، ص 223؛ 252،251؛ وانظر: العمايرة، محمد نايف، مراحل سقوط الثغور الأندلسية بيد الإسبان، المطابع العسكرية : عمان، ج 1، 1999م، ص142؛ وحولة باجة، انظر : حتاملة، إيبيريا، ص 177، 238؛ الأندلس، ص 84.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص185؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص 96-97.

(٦) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 97-98.

ولم تستمر ثورة القصرين طويلاً، إذ قبل القيسي وولداه الاستسلام مقابل الأمان، وذلك عندما أرسل إليهم زيادة الله قواته/ وجيء بهم إلى زيادة الله فأمر بحبسهم في قصر وزيره وابن عمه الأغلب بن عبدالله الذي يلقب بـــ (غلبون) حتى يرى فيهم رأيه[١].

وقد اتبع الأمير زيادة الله أسلوب القسوة والشدة في التنكيل بالثائر القيسي، الأمر الذي أدى إلى ثورة كبرى كادت أن تعصف بالدولة الأغلبية، وكان قائد تلك الثورة هو منصور بن نصر الطنبذي* الذي خرج على زيادة الله سنة 209هـ/824م[٢].

فعندما وصلت أخبار قتل زيادة الله للثائر القيسي عمرو بن معاوية وولديه ثار لأبناء عصبيته، وامتعض ودعا بني تميم في طرابلس إلى مؤازرته للأخذ بالثأر[٣].

وقد أرسل زيادة الله إلى الطنبذي سرية من الجند، مكوّنة من ثلاثمائة فارس بقيادة القائد محمد بن حمزة الرازي المعروف بـــ (الحرون) نحو تونس لمباغتة منصور، ولكنه لم يجده، إذ كان غائباً في قصره في طنبذة[٤].

ومهما يكن من أمر، فإن زيادة الله قد أرسل ابن عمه (غلبون) الطنبذي، ولكن الهزيمة لحقت بهم أما جيش منصور الطنبذي. ولم يستطع غلبون ورجاله الصمود أمامها [٥]، وكان ذلك في الخامس من جمادى الأولى سنة 209هـ/الموافق الثاني من أيلول(سبتمبر) 824م[٦].
824م[٦].

وتقول الرواية ان القاضيين أبا محرز وأسد بن الفرات خرجا إلى منصور الطنبذي، حيث جرى بينهم حديث كان الهدف من ورائه اقناع منصور بحقن الدماء والعودة إلى الطاعة، ولكن لم يصل الطرفان إلى اتفاق [٧]. ما حدا بمنصور إلى استخدام أسلوب القوة حيث عسكر قرب القيروان، وحفر خندقاً حول العسكر[٨].

أمَّا زيادة الله، فقد زحف على رأس قواته من القصر القديم (العباسية)، واتخذ موضعاً له بين القيروان والقصر، وكان هناك خندق حول عسكر الطنبذي[٩].

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 97-98؛ وانظر : زغلول، تاريخ المغرب، ج 2، ص 45، ص 272-276؛ نبيلة، محاضرات، ص 180،

(*) منصور بن نصر الطنبذي من قبيلة هوازن من ولد دريد بن الصمة، ويعرف بالطبنذي نسبة إلى قصر له في قرية طنبذة من إقليم المحمدية بالقرب من تونس. حول ترجمة حياته انظر : ابن الابار، الحلة السيراء، ج2، ص 382؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 330.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص 330؛ابن الابار، الحلة السيراء، ج 2، ص 167؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 59.

(٣)ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص 330؛ابن الابار، الحلة السيراء، ج 2، ص 167؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 59.

(٤)ابن الابار، الحلة السيراء، ج2، ص 167؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 60.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج 5، ص 185؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 99-100؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب العربي، ص 48؛ نبيلة، محاضرات، ص 182.

(٦) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 100؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص 51.

(٧) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 100؛ وانظر: نبيلة، محاضرات، ص 183؛ زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص 51.

(٨) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 100؛ وانظر : زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص 51.

(٩) النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص60؛ حيث يقول النويريّ: (ان زيادة الله نزل بين الفسطاط والقصر)، وقارن: ابن خلدون، ج4، ص 198 (حيث النص على حصار زيادة الله في العباسية (العباسية)).

واكتفى زيادة الله بهدم سور القيروان، الذي كان منصور الطنبذي قد أصلحه حتى سوّاه بالأرض(١).

وقد فشل الطنبذي في الاستيلاء على أفريقية، نتيجة هزيمته الساحقة أمام قوات زيادة الله، وظهر الانشقاق في صفوف أتباعه أمثال : عبد السلام ابن المفرج، وعامر بن نافع ... وحاول زيادة الله القضاء على أحد أنصار منصور وهو عامر بن نافع فعبأ جيشاً كبيراً وجعل على مقدمته ابن عمه محمد بن عبدالله بن الأغلب، وبرفقته بعض الأسرة الأغلبية، وعدداً من كبار القواد، وتم اللقاء قرب منطقة سبيبة قرب القيروان في العشرين من محرم سنة 210هـ/4أيار (مايو) 825م، وقد انتهى القتال بهزيمة منكرة لجيش زيادة الله، إذ قتل قائده محمد بن عبدالله بن الأغلب(٢).

ونجح سفيان بن سواده قائد زيادة الله في فتح إقليم نفزاوة حتى وصل إلى حدود قسطيلية، حيث كان عامر بن نافع قد وصل(٣).

وفي قسطيلية حشد عامر بن نافع الجند السودان، حتى جمع منهم ألف أسود ومعهم الفؤوس والمساحي، وضمهم إلى رجاله، واتجه بهم عامر على نحو نفزاوة حيث اتخذ من مدينة نقيوس منزلاً له(٤).

وانتهى القتال بين قوات سفيان وعامر بن نافع بهزيمة الجند من قوات عامر بن نافع ومقتل الكثير منهم، وانسحب عامر إلى قسطيلية، وبعد ذلك عاد إلى تونس، وحدث صراع بينه وبين منصور الطنبذي(٥)، ذلك أن عامر كان يعد نفسه نداً لمنصور الطنبذي، وإثر توعّد منصور لعامر، رأى هذا الأخير أن يبدأ بالتخلص من منصور، ونجح في استمالة الجند إلى جانبه وخرج من تونس، لمفاجأة منصور وهو بالمحمدية، وحاصره، وجرت مفاوضات بين الطرفين وانتهت المفاوضات بأن عرض عليه منصور أن يسمح له بالخروج مع الأمان على أن يتوجه في سفينة إلى المشرق، وأجابه عامر إلى ذلك(٦).

ولكن الطنبذي أشار عليه أصحابه بأن لا يخضع لضيم عامر بن نافع وأنه يمكنه الاتجاه إلى مدينة الأربس(*) وفعلاً تحصن بها، وعندما علم عامر بذلك سافر إلى الأربس على إثر

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج 5، ص 185؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 100؛ وانظر كذلك : نبيلة، محاضرات، ص 184؛ زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص 53.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص185؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص 101؛ ويقول ابن الأثير: (ان محمد بن عبدالله بن الأغلب لم يقتل بل عاد منهزماً بمن معه إلى القيروان).

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 185؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص 101؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص60.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 185؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص 101؛ وانظر: نبيلة، محاضرات، ص 182.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج 5، ص 185؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 101؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص56.

(٦) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 101؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص60؛ ابن خلدون، العبر ج4، ص 237.

(*) الأربس: ضبطها ياوقت الحموي في معجم البلدان بضم الهمزة والياء وكتبها البكريّ في تشكيل (الربس) وهي مدينة بتونس بينها وبين القيروان مسيرة ثلاثة أيام، وهي مدينة مسوّرة لها ربض كبير، وبأرضها توجد أطيب الزعفران ولذلك تعرف ببلدة العنبر. انظر : ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص136.

منصور، وضرب عليه الحصار، ومع طول الحصار ضج أهل المدينة، وكلموا منصور بالخروج من مدينتهم، فطلب منهم أن يمهلوه بعض الوقت حتى ينظر في أمر خلاصه(١).

وطلب منصور الطنبذي من أحد قاده عامر بن نافع وهو عبد السلام بن المفرج اليشكري الوساطة لكي يحصل من عامر على الأمان، وعاهده أن يسير إلى المشرق، ونجح عبد السلام في الحصول على الأمان لمنصور(٢)، بواسطة استخدام السفن(٣).

ويفهم من تلك الروايات أن عامراً عندما أعطى الطنبذي الأمان كان يضمر الغدر به، وذلك أن عامراً أمر صاحب خيله الذي رافق منصوراً في السفينة من تونس بأن يسير به سراً إلى جزيرة جربة ويسجنه بها، ففعل ذلك، وسجن معه أخاه حمدون(٤).

فلمَّا علم عبد السلام بن المفرج بذلك، وكتب عامر إلى أخيه وهو واليه على جربة يأمره بقتل منصور وأخيه حمدون، ويرجع فيهما، فأحضرهما عنده، وقرأ عليهما كتاب عامر، وهنا طلب منصور دواة وقرطاساً ليكتب وصيته، ولكنه لم يستطع الكتابة، وتم قتلهما، وأرسل برأسيهما إلى عامر(٥).

ولم يمر مقتل الطنبذي وأخيه حمدون دون ردود فعل بين الجند الأغلبي المتمرد، وخاصة المضرية منهم، والذين انضموا إلى جانب منافسه عبد السلام بن المفرج الذي رفع راية الثأر للمقتول المظلوم، وانتهى الأمر بخروج بن المفرج نحو تونس لقتال عامر، وانتهى اللقاء بانتصار ابن المفرج وهزيمة عامر إلى جربة، ولمّا أيقن بالموت دعا بنيه وأوصاهم باللحاق بزيادة الله فعملوا برايه وقدموا إلى زيادة الله مستأمنين سنة 213هـ/828م، كما قدم الجند إليه يطلبون الأمان فأمنهم وأحسن إليهم(٦).

عندما بلغ زيادة الله نبأ وفاة عامر بن نافع قال: (اليوم وضعت الحرب أوزارها، كما يقول ابن عذاري، ولكن ابن الابار في (الحلة السيراء)، يعلق على مقالة زيادة الله على نهاية الحرب بنهاية عامر، بقوله: (فكان كذلك لم يزل أمر الجند مدبراً حتى انقضت الحرب، وطفئت الثائرة، وصفت له أفريقية)(٧).

وقامت بعض الفتن في البلاد، لكن زيادة الله قضى عليها بسهولة، ففي حوليات ابن عذاري مثلاً ذكر لفتنة سنة 216هـ/831م بأفريقية بين رئيسين من رؤساء الجند، هما: مطيع السلمي، واسماعيل بن الصمصامة، انتهت بهزيمة مطيع، وقتله، وفرار اصحابه(٨).

وفي سنة 218هـ/833م عادت منطقة تونس للاضطراب من جديد، عندما ثار بجزيرة ستريك قائد من قواد الجند هو فضل بن ابي العنبر، ونجح في هزيمة العسكر الذين وجههم إليه زيادة الله، فتغلب على المنطقة، وأعلن الاستقلال بها(٩).

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص185؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص 102؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص60؛ وانظر: نبيلة، محاضرات، ص 186.

(٢) النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص60؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص 57.

(٣) النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 60؛ وانظر زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص 57.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 185.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 185-186؛ انظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص 58.

(٦) ابن عذاري، البيان، ج1، ص103؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص61.

(٧) ابن عذاري، البيان، ج1، ص103. وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص 60؛ نبيلة، محاضرات، ص 187.

(٨) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 104.

(٩) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 105؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص 237.

وقد استجاب عبد السلام بن المفرج لطلب المعونة من قبل الفضل، فخرج من باجه إلى جزيرة ستريك ولكن الرجلين لم يستطيعا مواجهة القوات الأغلبية، وانتهى الأمر بمقتل عبد السلام بن المفرج، كما سبق، بينما انهزم الفضل إلى تونس، وامتنع بها(١).

وسيّر زيادة الله جيشاً كثيفاً إلى تونس بقيادة ابن عمّه والي صقلية أبي فهد محمد بن عبدالله بن الأغلب، ففر الفضل من تونس، كما نجح من الإفلات كثير من عسكره، واقتحم العسكر الأميري المدينة، وقتلوا كثيراً من أهلها، وهرب آخرون(٢).

ويبدو، وحسب المصادر أن الفقهاء كان لهم دورهم في تلك الثورة عن طريق قيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ يذكر ابن عذاري قتل أحد الفقهاء وهو عباس بن الوليد(٣).

وفي سنة 219 هـ/834م أعلن زيادة الله العفو عن كل من شارك في تلك الثورة، وأفلت من تونس، فاستجاب له أهل المنطقة، وركن الإقليم إلى الهدوء والسكينة(٤).

وشهدت البلاد خلال حكم أبي إلى عقال الأغلب بن الأغلب (223-226هـ/838-841م) فترة من الهدوء والأمن والسكينة والاستقرار، باستثناء تلك الحملة التي يورد ذكرها ابن عذاري سنة 224هـ/838م، والتي أرسلها بقيادة عيسى بن ربيعان الأزدي إلى قبائل لواته وزواغة، ومكناسة، فيما بين مدينتي قفصة وقسطيلية، وقد انتهت تلك الحملة بقتل تلك القبائل، إذ تنص الرواية على أن عيسى (فقتلهم عن آخرهم)(٥).

وخلال فترة حكمه استتب الأمن بين الناس، واستقرت أمور الجند بفضل الإجراءات التي اتخذها الأغلب(٦)، ويفسر ابن الأثير تلك الأحداث التي غيرها بأنها كانت من المظالم(٧).
المظالم(٧).

أما عن عماله ونوابه في الأقاليم فقد كف أيديهم عن التطاول على أموال الناس، وعما كانوا يرتكبونه من المظالم عن طريق زيادة رواتبهم، ودفعها لهم في أوقاتها المقررة(٨).

ومن أعماله التي كان لها موقف حسن وأثر طيب في قلوب المشايخ والناس أنه منع عمل النبيذ والخمر في القيروان(٩). بل وعاقب أيضاً على بيعه وشربه(١٠).

وفي عهد ابي العباس محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب (226-242هـ/841-856م)، تمتعت البلاد في السنوات الأولى من حكمه بالهدوء والاستقرار، إذ أنه اشرك أخاه أحمد بن الأغلب في الحكم، وعهد الأمير محمد بالوزارة إلى الأخوين، محمد بن علي بن

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 105؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص 237.
(٢) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 105؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص 237-238.
(٣) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 105؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص 237-238؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص 62.
(٤) ابن عذاري، البيان، البيان، ج1، ص 105؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص 238؛ وانظر : زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص 424.
(٥) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 107؛ ابن خلدون، العبر، ج 4، ص 239؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص 75؛ نبيلة، محاضرات، ص 190.
(٦) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 107؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 63.
(٧)ابن الأثير، الكامل، ج5، ص252-253؛ ابن عذاري، البيان، البيان، ج1، ص 107.
(٨) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 253.
(٩)ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 253؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 63.
(١٠) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 107.

حميد، وأحمد بن علي بن حميد، ويفهم من الروايات أن ابني حميد غلباه على أمره واستبدا بالأمور دونه، مستغلين فرصة انشغاله (بلهوه ولذته) مما أثار حقد أخيه أحمد(١).

وقد اتفق أحمد بن الأغلب مع عدد من أنصاره على مباغتة مقر الأمير محمد في مدينة القصر القديم، سنة 231هـ/844م (وقت الظهيرة)، عندما يكون القصر خالياً من الحرس، ونجح المتأمرون من أصحاب أحمد من اقتحام أبواب القصر، وهجموا على الوزير بن حميد فقتلوه بأمر أحمد، ودار القتال بين الفريقين، ولما بلغ الخبر الأمير محمد اعتصم في علية من القصر مرتفعة (ولمّا صعب الأمر على رجال أحمد، أعلنوا أنهم لم يخلعوا طاعة الأمير محمد، وأنهم قاموا بعملهم هذا من أجل تخليصه من استبداد بني حميد الذين استأثروا دونه بالسلطان والمال(٢).

وإزاء ذلك الموقف اضطر الأمير محمد إلى النزول إلى مجلس العامة، وأذن لأخيه أحمد ورجاله بالدخول عليه، فدخلوا بسلاحهم وتعاقب الإخوان، واصطلحا وتعاهدا على أن لا يغدر أحد منهما بأخيه(٣).

وفي سنة 232هـ/845م استرجع محمد سلطانه عندما دارت بين الفريقين حرب عظيمة انتهت بانهزام اصحاب أحمد، إذ أن محمداً نفى أخاه إلى مصر بأهله، فمات هناك(٤).

وفي إقليم الزاب انتهز سالم بن غلبون، الذي كان عاملاً على إقليم الزاب من قبل الأمير محمد، فرصة النزاع بين الأخوين وخرج على الطاعة، وبعد استقرار الأمور لمحمد ظل سالم رافعاً راية العصيان، ما جعل الأمير يعزله عن ولايته في سنة 232هـ/845م، ولكن سالماً خرج سنة 233هـ/846م يريد دخول القيروان، ولكنه عدل عن ذلك أثناء الطريق، وسار إلى مدينة الاربس (مظهراً الخلاف)، ولكن أهلها منعوه من دخولها، فسار إلى باجة، وتمكن من دخولها، وسيطر عليها وحينئذ سير الأمير محمد جيشاً بقيادة خفاجة بن سفيان الذي صاهره، حتى اضطره إلى الهرب ليلاً، واتبعه خفاجة صباح اليوم التالي ولحقه، وقتله وحمل راسه إلى محمد(٥).

ويذكر ابن عذاري في حوليات سنة 232هـ/847م ثورة عمر بن سليم التجيبي المعروف (بالقويع)(*) في تونس، ولم يتمكن خفاجة بن سفيان بن سوادة من الغلبة عليه، وفي سنة 235هـ/849م أرسل الأمير محمد بن الأغلب قائده محمد بن موسى المعروف بـــ (عريان) بجيشه إلى تونس لقتال القويع، وانتهى القتال بمقتل ابن موسى بعد أن انكسرت رجله، وقتل كثير من أصحابه، وعاد بقية الجيش إلى ابن الأغلب مهزومين إلى القيروان(٦).

---

(١) النويريّ، نهاية الأرب، ج 24، ص 63؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق 3، ص 21؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب العربي، ج2، 79.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 108؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج 24، ص 63؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق3": ص21.

(٣) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 108؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق 3، ص 21؛ وانظر : نبيلة، محاضرات، ص 193.

(٤) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 109؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص64؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق3، ص 21-22.

(٥) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 109-110؛ وانظر: نبيلة، محاضرات، ص 194.

(*) القو يع: طائر صغير له عرف أشبه بعرف الهدهد، انظر: ابن الأثير، الكامل، ج 7 : ص 44. حيث القراءة القويع، أما في (تراجم أغلبية) للقاضي عياض فنجد القراءة (بالقوبيع) وكذلك في المالكيّ، رياض النفوس، ص 280.

(٦) المالكيّ، رياض النفوس، ص 280، ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 282؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص 110.

وفي سنة 236هـ/850م خرج اليه خفاجة بن سفيان في جيش كثيف وقاتله قتالاً شديداً وقتل أصحابه، وانتهى اللقاء بانهزام القوبع الذي قبض عليه، وضربت عنقه، ودخل خفاجة تونس عنوة، وسبى ما فيها، ثم عاد بالجيش إلى القيروان[١].

وفي ولاية أحمد بن محمد بن إبراهيم بن الأغلب 242-249هـ/856-863م، كان على ولاية طرابلس عبدالله بن محمد بن الأغلب، والظاهر أن مثيري القلاقل في الإقليم كانوا من قبائل البربر الإباضية من هوارة ولواته، ويفهم من رواية ابن الأثير أنهم امتنعوا عن الوالي، ولم يؤدوا ما كان عليهم من العشور والصدقات، وأن الوالي عبدالله (أخا الأمير) قام بقتلهم بمن معه من الجند، واستمر الأمير أحمد الذي سير إليه الكثير من العساكر مع أخيه زيادة الله[٢].

ودارت رحى الحرب بين قوات الدولة الأغلبية في القيروان وبين الخوارج الإباضية من البربر، وانتهت بقتل الكثيرين منهم، وخضع ثوار طرابلس من القبائل البربرية وأعطوا الرهائن لابن الأغلب وأدّوا ما كان عليهم من الأموال [٣]، وقد عرفت هذه الحوادث بـــاضطراب طرابلس، إذ كان على ولاية طرابلس عبدالله بن محمد بن الأغلب[٤].

أما زيادة الله بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب (249-250هـ/863-864م) فإن إمارته لم تطل حيث ولي الإمارة سنة وأسبوعاً، وقد كان عاقلاً حليماً، حسن السيرة، جميل الأفعال، ذا رأي وجود وشجاعة [٥]، ما يدل على رضى الناس عنه، وإعجابهم بشخصيته.

وولي محمد بن أحمد بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب (ابو الغرانيق) من 250-261هـ/864-875م ويصفه الكتاب بأنه كان غاية في الجود والسخاء مسرفاً في العطاء، حسن السيرة مع الرعية[٦].

وفي أيام حكم محمد بن أحمد الأغلب كللت الحروب في صقلية بالظفر بقيادة خفاجة بن سفيان بن سوادة، إذ أرسل إلى بلاد الزاب جيشاً عظيماً جعل قيادته إلى قائده محمد بن اسماعيل الذي وصل إلى مدينة (تهودة) ثم (بسكرة) ثم طبنة) ثم على مدينة (أبة)، ونزلها بعسكره، وأعلن رؤساء القبائل طاعتهم وخضوعهم ولكنه لم يقبل منهم، ودارت معركة بين جيشه وبني كملان انتهت بمقتل محمد بن إسماعيل ومقتل الكثير من جند القيروان، وانهزام الجند حتى أبواب طبنة[٧].

أما في عهد إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب (261-289هـ/847-875م)، فمنع الظلم ونتشر العدل بين الناس والرعية، ولكن له سيئاته كأعمال العنف والقسوة التي تصل إلى

---

(١) المالكيّ، رياض النفوس، ص 280، ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 282؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص 110.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 297؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص 240؛ وانظر: نبيلة، محاضرات، ص 197.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 297؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص 240؛ وانظر: نبيلة، محاضرات، ص 197.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 297؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص 240؛ وانظر: نبيلة، محاضرات، ص 197.

(٥) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 114؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص 250.

(٦) النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 68؛ وانظر: نبيلة، محاضرات، ص 200.

(٧) النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 68؛ وانظر: نبيلة، محاضرات، ص 200.

سفك الدم لأدنى سبب، ولم يسلم منها أهل الأمير من بني عمومته، وأخوانه، وحتى أبنائه وبناته. وقد نجح الأمير في إخماد الفتن والاضطرابات في طرابلس وتونس وبلاد الزاب[١].

واستاء الصقالبة من الأغالبة لخروج الحكم من القصر القديم (العباسية أو العباسة) إلى رقادة، ولكن إبراهيم قضى على حركتهم بعنف وقسوة، وتقول الروايات أنه عندما حل وقت دفع المرتبات إلى الجند والخدم، إذ حضر إليه العبيد والموالي في قصره في رقادة فقتل بعضهم وشتتهم، وأمر بحبس عدداً منهم في سجن القيروان حتى الموت، ونفى عدد منهم إلى صقلية[٢].

واتجه إلى الاستعانة بالعبيد من السودان، فاشترى أعداداً كبيرة منهم، ودربهم على أعمال الجندية، وأصبح يعتمد عليهم في الحروب[٣].

وصل العباس بن أحمد بن طولون إلى برقة بعدما استولى على ما كان في بيت المال في مصر، وقبض على وزير والده أحمد بن محمد الكاتب في ثمانمائة فارس وعشرة آلاف راجل من السودان في شهر ربيع الأول سنة 265هـ/878م[٤]. وأخذ العباس يكاتب رؤساء القبائل البربرية في طرابلس، وقد استجاب له بعضهم، لأنهم كانوا يقفون موقف المعارضة من الدولة الأغلبية لأنهم كانوا يدينون بمذهب الخوارج الإباضية[٥].

ونتيجة لاستجابة بعض زعماء البربر، تشجع العباس على المسير نحو منطقة لبدة شرق طرابلس، وعندما وصل إبراهيم بن أحمد نبأ مسير العباس أسرع إلى إرسال قائده أحمد بن قرهب في ألف وستمائة فارس ودخلها قبل وصول العباس[٦].

وقد حشد ابن قرهب جنده، من بربر المنطقة ودخل لبدة قبل وصول القوات الطولونية(*)[٧].

وانهزم جيش ابن قرهب في موقعة (ورداسة) إذ انهزم نحو طرابلس[٨]، وقد أساء رجال رجال العباس معاملة أهل لبدة ونهبوهم[٩]، وعلاوة على ذلك، فإن رجال العباس من السودان

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 5؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 69؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص 132-133؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص 243.

(٢) النويريّ، نهاية الأرب، ج 24، ص 70؛ ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 280؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص 119.

(٣) النويريّ، نهاية الأرب، ج 24، ص 71؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج 2، ص 119؛ نبيلة، محاضرات، ص 202.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 21؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 118؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج3، ص 40؛ أحداث سنة 265هـ، وانظر : نبيلة، محاضرات، ص 23.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 21؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 118؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج3، ص 40؛ أحداث سنة 265هـ، وانظر : نبيلة، محاضرات، ص 23.

(٦) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 118.

(*) الطولونية (الدولة الطولونية): تأسست سنة 254هـ واستمرت حتى 292هـ مؤسسها أحمد بن طولون، كان أبوه من الأتراك، تولى نيابة مصر للمعتز سنة 254هـ فأحسن إلى أهلها وأنفق فيهم من بيت المال وبنى بها جامع طولون الذي استغرف بناءه ثلاث سنوات وبنى مارستاناً (مستشفى) للمرضى وفي سنة 264هـ دخل في حوزته بلاد الشام والثغور وبلغت حدود ملكه إلى الفرات، مات سنة 270هـ وأعقبه ابنه خمارويه (270-282) ثم ابو العساكر جيش بن خمارويه (282-283) ثم هارون بن خمارويه (283-292) ثم حكم شيبان بن أحمد بن طولون (292-292). انظر: الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي، إعداد فريق البحوث والدراسات الإسلامية، مكتبة علاء الدين، الاسكندرية، 1998م، ص 319.

(٧) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 118؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 70.

(٨) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 118؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 70.

(٩) ابن الأثير، الكامل، ص 21.

أخذوا يغيرون على أهل البوادي، ويسيئون معاملتهم حتى اعتدوا على الحرم، مما أثار بربر نفوسة الإباضية[١].

وقد أصاب البلاد القحط في عهده سنة 268-269هـ/881-882م، وتقول رواية ابن عذاري، ان ابراهيم بن أحمد (قد قتل أطفال قبائل الزاب، وحملوا على العجل إلى الحفر، والقوا فيها)[٢].

وقامت قبيلة هوارة هي الأخرى بالعصيان، ولكن حركتها انتهت بطلب الأمان والركون إلى الطاعة[٣].وفي سنة 279هـ/892م تخلص إبراهيم بن أحمد من فتيانه الصقالبة، وذلك خوفاً من أن تتحقق نبوءة أحد المنجمين الذي قال ان إبراهيم سيقتله (رجل ناقص العقل) [٤] وانه يمكن أن يكون أحد من خدمه، وقد أحاط نفسه بحاشية من السودان[٥].

وفي سنة 289هـ/902م أظهر إبراهيم بن أحمد التوبة، وأراد أن يرضي العامة والناس، ويستميل قلوب الخاصة بأفعاله فرد المظالم، وأسقط القبالات (المكوس) وأخذ العشر طعاماً، وترك لأهل الضياع خراج سنة، وسماها سنة العدل [٦]، وقد أعطى فقهاء القيروان ووجوه أهلها أموالاً عظيمة ليوزعوها على الضعفاء والمساكين[٧].

وفي سنة 289هـ/901م أي عندما كان عبدالله نائباً لوالده بعد خروج والده على صقلية، استرجع معظم الأموال التي كان أبوه قد أخرجها للفقهاء ووجوه الناس، ليفرقوها في المساكين، والتي أعطيت لمن لا يستحقها[٨].

وقد عاهد ابو العباس عبدالله بن إبراهيم الناس عند تسلمه ولايته بالوعد الجميل، والعدل والرفق والجهاد في سبيل الله[٩].

وما استوثق الأمر لزيادة الله بن أبي العباس عبدالله بن إبراهيم (290-296هـ/903-909م) حتى أمر بقتل من قتلوا والده وقتل عمه أبا الأغلب الزاهد الساكن بسوسة، وقتل أخا أبا عبدالله الذي كان يقاتل أبا عبدالله الشيعي في طبنة[١٠].

وقد ثار أهل أفريقية ضد الداعي الشيعي ابي عبدالله الشيعي الذي كان يلعن أبا بكر وعمر (رضي الله عنهما) من صحابة الرسول (ص)، والذي كان يزعم أن أصحاب النبي (ص) ارتدوا بعده، والذي يبيح دم من يخالفه في رأيه[١١].

وقد هزم إبراهيم وجنده الأغلبي من العرب أمام جيش أبا عبدالله الشيعي في موقعة قرب قسنطينة[١٢].

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 119؛ وانظر: نبيلة، محاضرات، ص 205.
(٢) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 119؛ وانظر: نبيلة ، محاضرات، ص 205.
(٣) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 119؛ وانظر: نبيلة، محاضرات، ص 205.
(٤) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 122-123؛ وانظر: نبيلة، محاضرات، ص 208.
(٥) المصدر نفسه، ج1، ص 122-123.
(٦) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 131؛ وانظر: نبيلة، محاضرات، ص 212.
(٧) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 131-132؛ وانظر: نبيلة، محاضرات، ص 208-209.
(٨) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 134؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص 245.
(٩) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 132-134؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص 245.
(١٠) المصدر نفسه، ج1، ص 135-136.
(١١) المصدر نفسه، ج1، ص 137.
(١٢) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 138.

وتتلخص نتائج هزيمة العسكر الأغلبي في سنة 292هـ/905م في ازدياد قوة الداعي الشيعي، وحلول الوهن والضعف بين صفوف أهل أفريقية ودخول الهلع في قلوبهم[١].

وفي سنة 294هـ/906م كان لسقوط مدينة باغاية واستسلامها لأبي عبدالله الشيعي، اثره في نفس زيادة الله فنصحه وزيره عبدالله الصائغ بالرحيل سراً إلى مصر، ولكنه خاف من ثورة الناس عليه، فتوقف عن تنفيذ النصيحة[٢]، إذ أظهر له قائد جيوشه إبراهيم بن جيش خطأ فكرة الهروب، وأظهر له أن أهل البلاد معه وليس ضده، وأرسل الرجال والأموال إلى مدينة الأربس.

ولكن مدينة الإربس سقطت في 24 جمادى الآخرة سنة 296هـ/ 18 آذار (مارس) 909م، وانهزم إبراهيم بن الأغلب (واليها)، ودخل أبو عبدالله الشيعي المدينة عنوة[٣].

وقد قدم إبراهيم بن الأغلب القيروان ونزل بدار الإمارة، وبعث يستقدم الناس، وانتقد في حضورهم تصرفات زيادة الله، وطلب من الناس الإخلاص له، وإمداده بالرجال والأموال، إلا أنهم صاحوا به قائلين: (لا طاعة لك علينا، ولا بيعة لك في أعناقنا، فاخرج عنا)[٤]. واضطروه هو ومن معه إلى ركوب خيلهم، والنجاة بأنفسهم، ثم أنهم لحقوا بزيادة الله[٥].

وقد هرب إبراهيم بن الأغلب إلى الاسكندرية، واستجار بعاملها من زيادة الله الذي سخط عليه، وبذلك انتهت دولة بين الأغلب بعد أن حكمت مائة وإحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر وعشرة أيام[٦].

وقد انتقل إبراهيم بن الأغلب إلى تونس، وانتقل أهل بيته وجميع قواده ومواليه، وحارب ابن طولون في مصر، وهزم أهل نفوسة الذين اعترضوه في طرابلس، إذ قتل عاملها محمد بن زيادة الله[٧].

▪ موقف الدولة العباسية من دولة الأغالبـــــــة:

فتح العرب شمال أفريقية في العصر الأموي على يد عقبة بن نافع في زمن معاوية ابن أبي سفيان، وأسس عقبة مدينة القيروان في أفريقية وتونس الآن، سنة 50هـ/ 670م؛ ليتخذها قاعدة لأعماله الحربية، واستكمال فتوحاته حتى وصل المحيط الأطلسي، وكان يسمى وقتذاك بحر الظلمات[٨].

وكان عقبة بن نافع مقيماً ببرقة، وزويلة من أيام عمر بن العاص، فجمع من أسلم من البربر، وضمه إلى الجيش، ليستعين بهم في فتح الشمال الإفريقي، وقام عقبة ببناء مدينة القيروان، واختلط بها دار الإمارة والمسجد الأعظم[٩].

---

(١) القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص 159.
(٢) ابن عذاري، البيان، ج1ن ص 143؛ وانظر: نبيلة، محاضرات، ص 255.
(٣) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 146؛ انظر: نبيلة، محاضرات، ص255، 256.
(٤) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 148؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق3، ص 44.
(٥) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 148؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق3، ص 44.
(٦) النويريّ، نهاية الأرب، ج 24، ص72-73؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق 3، ص 44-45؛ وانظر: نبيلة، محاضرات، ص 227.
(7) النويريّ، نهاية الأرب، ج 24، ص72-73؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق 3، ص 44-45؛ وانظر: نبيلة، محاضرات، ص 227.
(٨) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص 330، 331.
(٩) النويريّ، نهاية الأرب، ج 24، ص 12.

وقد ذكر النويري في نهاية الأول أنه لما سيطرت الصفرية على أفريقية سنة 141هـ، بعد أن قتلت قبيلة ورفجومة البربرية من قتلت من عربها، خرج جماعة إلى الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور(*) منهم عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، ونافع بن عبد الرحمن السلمي وغيرهم أتوه يستصرخونه ويستنجدون به على البريد وأعمال التخريب في أفريقية، وكان أبو جعفر المنصور قد ولّى محمد بن الأشعث مصر، ووجه أبا الأحوص عمرو بن الأحوص العجلي إلى أفريقية فهزمه أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري سنة 142هـ[١] وكانت تلك الموقعة في منطقة سرت (بالقرب من طرابلس) [٢].

ورجع أبو الأحوص يجر أذيال الخيبة والهزيمة إلى مصر، فكتب أبو جعفر المنصور إلى محمد بن الأشعث يأمره بالمسير بنفسه، ووجه إليه الجيوش، فبلغ عدد الجيش ما يقارب أربعين ألف مقاتل، ثلاثون ألفاً من أهل فارس، وعشرة آلاف من أهل الشام[٣].

وكان أبو جعفر المنصور قد وجههم مع محمد بن الأشعث الأغلب بن سالم التميمي، فلقيهم أبو الخطاب بمدينة سرت، وحدثت معركة كبيرة أدت في النهاية إلى هزيمة جيش أبي الخطاب من البربر، وقتل أبو الخطاب وبعث ابن الأشعث برأس أبي الخطاب إلى بغداد[٤].

وكان أبو الخطاب قد استقدم عبد الرحمن بن رستم من القيروان، وأتى ابن رستم بمن معه للمشاركة في القتال ضد ابن الأشعث، ولما علم عبد الرحمن بن رستم ما آلت إليه الحرب وهزيمة البربر، وقتل قائدهم أبي الخطاب، ولّى هارباً إلى تاهرت فنزل بها[٥].

وكان محمد بن الأشعث قد ضبط وسيطر سيطرة كاملة على أفريقية، وأحكم قبضته عليها، حيث كان يقتل كل من يخالفه من البربر، ولذلك فقد أطاعوه وأعلنوا ولاءهم له ولدولته[٦].

إذ أن محمد بن الأشعث اتبع سياسة القبضة الحديدية في السيطرة على البلاد والعباد، إلا أن سياسة القبضة الحديدية أدت إلى الانفلات داخل صفوف الجند، وقد تحدث الجند أن أبا جعفر المنصور قد دعا ابن الأشعث يأمره بالقدوم إليه، فرفض ابن الأشعث أوامر الخليفة العباسي، فثار عليه أحد الجند ويدعى عيسى بن موسى بن عجلان الخراساني، إذ قام بإخراج ابن الأشعث من القيروان وذلك سنة 148هـ[٧].

(*) أبو جعفر المنصور: هو ابن جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وأمه سلامة البربرية، ولد سنة 95هـ في البصرة، وبويع بالخلافة معهد من أخيه، وقد تولى المنصور الخلافة سنة 137هـ/ فأول ما فعل أن قتل أبو مسلم الخراساني صاحب دعوتهم وممهد لمملكتهم، وفي سنة 140هـ شرع ببناء مدينة بغداد.انظر: المسعودي، التنبيه والإشراف، 311، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 240، 242، 243.

(١) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 72، الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص 127، النويريّ، نهاية الأرب، ج 24، ص 39.

(٢) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص 27.

(٣) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 72، الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص 128؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 39.

(٤) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 72؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص 128.

(٥) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 72؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص 28؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج 24، ص 40.

(٦) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 72؛ الناصريّ الاستقصا، ج1، ص 128؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج 24، ص 40.

(٧) ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص 70؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص 73؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص 128؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 40.

ولما بلغ المنصور خروج محمد بن الأشعث من أفريقية بعث إلى ابن الأغلب بن سالم بن عقال التميمي وولاه أفريقية(١).

وكان أبو جعفر المنصور عندما بعث إلى الأغلب بن سالم بكتاب عندما ولاه أفريقية، ووصاه، وأمره في بكتابه بالعدل في الرعيه، وحسن السيرة في الجند، وتحصين مدينة القيروان وتأمينها(٢).

وعندما جاء كتاب أبي جعفر المنصور كان الأغلب بن سالم والياً على منطقة طبنة من قبل محمد بن الأشعث، والأغلب بن سالم هذا هو جد الأغالبة ملوك وحكام أفريقية من بعده، وكان من ذوي الرأي والشجاعة وهو من أصحاب أبو مسلم الخراساني(٣).

ويتبين لنا مما سبق أن الخليفة العباسي أبا جعفر المنصور كان يثق بالأغلب بن سالم وسيرته، ومن أجل ذلك فإنه قد ولاه شؤون أفريقية، وربما كانت هناك حكمة في نفس أبي جعفر المنصور أرادها من خلال تولية الأغلب بن سالم شؤون أفريقية.

وقد ثار على الأغلب ابن سالم شخص يدعى أبي قرة الصفري، بمشاركة جمع كبير من البربر، وحدثت معركة بينهما، وأدت بالتالي إلى هزيمة أبو قرة هذا وهروبه، إذ قدم الأغلب بن سالم إلى منطقة الزاب، وعزم على الرحيل إلى تلمسان ثم إلى طنجة، الأمر الذي أدى إلى مضايقة الجيش، ما أدى إلى تسلل جند الأغلب ليلاً إلى القيروان، ولم يبق إلا القليل من الجيش مع الأغلب(٤).

وفي سنة 150هـ/ 767م عندما شدد ابن الأغلب في محاربة الصفرية، ثار عليه أحد قواد البريد، ويدعى الحسن بن حرب الكنديّ بتونس، وكان هذا الأخير قد حبس عامل الأغلب على القيروان وهو سفيان بن سواده التميمي، وكان الأغلب قد بعث بكتاب إلى الحسن بن حرب الكنديّ يعرفه فيه بفضل الطاعة وعقبى المعصية، إلا أن الكنديّ رفض نصائح الأغلب، الأمر الذي أدى إلى القتال بينهما، وأدى ذلك إلى هزيمة الكثير من جيشه، وانهزم الحسن إلى تونس ورجع الأغلب إلى القيروان(٥).

وكان أبو جعفر المنصور قد بعث بكتاب إلى الحسن بن حرب الكنديّ يدعوه إلى الطاعة والأذعان لأوامر خليفة المسلمين، فأبى الحسن ورفض رفضاً باتاً الإذعان لأوامره، الأمر الذي أدى إلى إرسال جيش، لمحاربته على رأسه الأغلب حليف الدولة العباسية في أفريقية(٦).

وقد حدث لقاء ثان بين الحسن بن حرب الكنديّ وبين جيش الأغلب بن سالم، إذ حشد الحسن بن حرب الكنديّ الجيش، والعدة، والعتاد، ولمعاودة الكرة مرة أخرى لمحاربة الأغلب الذي كان في القيروان، وفعلاً حصلت الحرب بينهما، فأصيب الأغلب بسهم فقتله (٧) وقد قام

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 26؛ ابن الابار، الحلة اليسراء، ج1، ص 70؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 74؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص 129؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 41.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 74، الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص 129.

(٣) طبنة: بلدة في الطرف الغربي لأفريقية (تونس) وهي تقع على ضفة الزاب، كان قد فتحها موسى بن نصير، وليس بين القيروان إلى سحلماسه مدينة أكبر منها. انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص 21.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 26؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص 129؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج 24، ص 40- 41.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 26؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص 129؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج 24، ص 41.

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 26؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص 129.

(٧) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 26؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص 75؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص 129؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 42.

بأمر أفريقية بعد الأغلب المخارق بن غفار، الذي هزم الحسن بن حرب الكنديّ في تلك الموقعة[١].

مما سبق يتبين لنا أن أفريقية كادت تخرج عن طاعة العباسيين في معظم عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، وأن البربر والعرب مالوا إلى مبادئ الخوارج، ويحاولون خلع طاعة العباسيين الذين أخذوا يرسلون الجيوش تلو الجيوش لإخضاعهم، واستمرت أفريقية تسقط في أيدي الثوار حيناً، وفي أيدي العباسيين حيناً آخر.

ومهما يكن من أمر، فإنه لّما قتل الأغلب بن سالم ولّى المنصور على أفريقية أبا جعفر عمر بن حفص بن قبيصة أخي المهلب بن أبي صفرة، فوصل إلى القيروان. وكان جند الأغلب قد استولوا عليها بعد وفاته– وأقرّ الأمن في هذه البلاد نحو ثلاث سنين، ثم سار ناحية الزاب لبناء مدينة طُبنة، فانتهز البربر من الإباضية والصفرية غياب عمر بن حفص عن أفريقية، فثاروا عليه وهاجموا القيروان[٢].

وكانت أفريقية قد ثارت كلها، فقد حاصر طبنة أبو قره الصفري، وكان معه أربعون ألفاً وعبد الرحمن بن رستم ومعه خمسة عشر ألفاً، وأبو حاتم وعاصم السدراتي في ستة آلاف فارس، والمسعود الزناتي الإباضي في عشرة آلاف فارس، ولكن عمر بن حفص استطاع فك حصار طبنة بارشاد بعض المحاصرين من الخوارج، فترك هؤلاء حصار طبنة، وحاصروا القيروان[٣]

وعندما علم أبو جعفر المنصور بما حل بجند عمر بن حفص يزيد بن حاتم بن قبيصة بن أبي صفرة بعث بمدد قوامه ستون ألفاً، فوصل إلى أفريقية سنة 154هـ/ 771م، فالتقاه أبو حاتم الخارجي، لكن الهزيمة لحقت به، وقتل هو وجنده على يد البربر سنة 155هـ/ 772م، وراح المهلب يقتلون الخوارج[٤].

ويبدو أن الخليفة العباسي لّما تخلص من أعدائه أصبح من القوة بمكان، بحيث استطاع أن يرسل إلى بلاد المغرب جيشاً جراراً لإقرار الأمن في جميع أرجاء هذه البلاد وحيناً من الدهر.

واستمرت قبائل البربر في أفريقية تحمل لواء الثورة ضد العباسيين من سنة 178هـ/ 795م إلى 181هـ/ 798م، محاولة الخروج على الحكم العباسي، يتقاسمون الفوز والهزيمة، بينهم وبين العباسيين، حتى بعث هارون الرشيد هرثمة بن أعين بجيش جرار؛ ليحد من نشاطهم، ويضعف قوتهم، إلا أن هرثمة لم يكمل المسيرة، فاعتذر عن البقاء، فكاتب الرشيد، وأمره الرشيد بالتوجه إلى بغداد، فسار إليها في رمضان 181هـ/ 798م، وكانت مدة ولايته على أفريقية سنتين ونصف[٥].

---

[١] ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 26؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص 75؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص 130؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 42.

[٢] ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 31؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص 75؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص 130، النويريّ، ج 24، ص 43.

[٣] ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 32، ابن عذاري، البيان، ج1، ص 75؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص 130؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 43.

[٤] ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 32؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ج1، ص 74؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص 76؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص 131، النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 43.

[٥] ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 95؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص 90؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 89؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص 135؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 51، 52.

وكان قد تولى أفريقية قبله مجموعة من القادة الذين حاولوا إرساء أسس الأمن والاستقرار في أفريقية، نذكر منهم: داوود بن يزيد بن حاتم الذي تابع هزيمة البربر وإخضاعهم، وروح بن حاتم، ونصر بن حبيب المهلبي، والفضل بن روح[١].

ولم يكن العداء بين البربر والعباسيين عداءً عرقياً أو مذهبياً يوماً ما، لأن المذهب المالكي قد انتشر انتشاراً واسعاً في المغرب والأندلس، ولأن حلفاء بني العباس قد طهروا من البدع، ولأن خوارج العراق قد بثوا فيهم "أن الخلافة لا تشترط القرشية بل ولا العربية، وأن كل من اتقى الله كان أحق بها، ولو كان عبداً حبشياً، وبثوا فيهم بعض مبادئ الخوارج وخلافتهم وقد أخذ البربر بذلك[٢].

وفي عهد إبراهيم بن الأغلب (184– 196هـ) تولّى أمر أفريقية بعد أن كتب إلى هارون الرشيد يطلب منه توليته عليها، وقد وافق الرشيد على ذلك، وبارك له ما أراد بشرط تحقيق أهداف الدولة العباسية[٣].

وعندما ولى إبراهيم بن الأغلب أمر الحكم في أفريقية، ضرب بيد من حديد على مواطن الشر والفتن بأفريقية، واتبع سياسة اللين والمعاملة الحسنة مع أهلها، وكل من تسول له نفسه شراً ومخالفة أوامر الخلافة كان يبعث بهم إلى بغداد لمحاسبتهم، ومعاقبتهم عقاباً شديداً[٤].

ويجسد إبراهيم بن الأغلب ولاءه للخلافة العباسية في بغداد وولائه للبيت العباسي من خلال هذه الأبيات الشعرية، التي يرويها لنا الرقيق القيرواني في تاريخ أفريقية، إذ يقول إبراهيم بن الأغلب[٥]:

ألم ترني بالكيد أرديت راشداً بأخرى وإني لابن ادريس راصد

تناوله عزمي على نأي داره بمختومة في طيّهن المكائد

وكان راشد هذا قد علا أمره بالمغرب، حينما ساعد إدريس على الوصول إلى المغرب وقد تولى رعاية ابنه إدريس الثاني من بعده، وهو مولى إدريس بن عبد الله مؤسس الدولة الإدريسية في المغرب الأقصى سنة 172هـ/ 788م[٦]، وأن دلّ ذلك على شيء فإنما يدل على العلاقات الجيدة بين الخلافة العباسية وإبراهيم بن الأغلب ذلك لأن هناك أهدافاً مشتركة لكلا الكرفين يسعى إلى تحقيقها.

وكان الأغالبة قد تبنوا اللون الأسود (وهو شعار بني العباس)، وهو اللون الرسمي، ولم يتخلوا عنه أبداً، ودافعوا في الداخل والخارج عن راية الخلافة حتى سقوط دولتهم سنة 296هـ/ 908م[٧].

---

[١] ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 84، 94، 95، ابن الابار، الحلة السيراء، ج 1، ص 77، 80، 81، 85؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص 82، 84، 85؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص 134، 135.

[٢] الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص 136، 137، 139.

[٣] ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 104؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص 94.

[٤] النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 55.

[٥] الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص 214.

[٦] الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص 214.

[٧] ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص 101– 102.

وقد كانت القيروان عاصمة الأغالبة، تتبع السياسة نفسها لبغداد عاصمة العباسيين، وقد شارك الأغالبة في السياسة التي سنها الرشيد، واتخذوا موقف العداء تجاه الأدارسة والطالبيين بعامة والرستميين كذلك[١]، وعملوا بالسياسة الدينية نفسها التي سار عليها بنو العباس، فقد كانوا إلى أن سقطت دولتهم معتنقين مذهب الاعتزال، وهو المعتقد الذي جسّمه المأمون (198- 218هـ/ 803- 833م)، في مأساة دينه، لكن موقفهم تطور في الاتجاه نفسه وبالسرعة نفسها المعمول بها في الشرق إزاء مذهب السنة[٢].

ومن المعلوم أن هارون الرشيد، كان يكاتب إبراهيم الأول ابن الأغلب، وبصورة شخصية، ولم ينقطع هذا التراسل مع الزمن بين الأمراء الأغالبة والخلفاء العباسيين[٣].

وعندما قام حمديس الكنديّ الملقب بـ (خريش) بثورته سنة 184هـ/802م (التي كانت من أبناء العرب الذين كانوا بأفريقية، وقد خلع السواد معلناً رفض الولاء والطاعة والتبعية للعباسيين، وقد كثر مؤيدوه من البربر والعرب فبعث بكتاب إلى إبراهيم بن الأغلب، يعلن فيها الخروج عليه فبعث إليه إبراهيم بن الأغلب بكتاب يرد عليه، ومما قال فيه:

(فلو لم يبق في المغرب من أهل الطاعة غيري ما وصلت أنت فيمن معك بخلافكم إليه، ولرجوت أن أظفر بكم بطاعتي، ونصرة دولة أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، فكيف وعندي من شيعته، وأبناء أنصاره، من يعلم الله أني أرجوه أن ينتقم منك على يدي)[٤].

مما سبق يتبين مدى ولاء وانتماء وطاعة بني الأغلب للدولة العباسية.

وفي سنة 189هـ/ 804م قامت ثورة في طرابلس التي كانت تابعة لأمير أفريقية، ذلك لأن أهلها كانوا يكرهون واليهم سفيان بن المضاء، إذ قام سكان طرابلس بإخراجه من داره وطاردوه إلى المسجد، وقتلوا أصحابه، وأرغموه على العودة إلى القيروان، فأرسل إليهم إبراهيم بن الأغلب جيشاً، وقام بإحضارهم إلى القيروان، ثم أصدر أمراً بالعفو عنهم[٥].

وقد ثار شخص يدعى أبوعصام على رأس جماعة كبيرة في طرابلس، وقد ظفر بهم إبراهيم بن الأغلب، وولى طرابلس ابنه عبد الله الذي لقى مقاومة شديدة من البربر، ولكنه بحنكته وحكمته استطاع أن يجذب البربر الثائرين إلى جانبه بعد أن أغدق عليهم الأموال[٦].

وحشد عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب الكثير من الجند الذين زحف بهم إلى طرابلس، وحدثت معركة كبيرة بينهما، فانهزم جند طرابلس، ودخل عبد الله المدينة، لكن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (ابن مؤسس الدولة الرشمية 161هـ/ 777م) جمع البربر وحرضهم على قتال الأغالبة حلفاء العباسيين، وحاربهم إلى أن توفي أبوه إبراهيم بن الأغلب، وآلت إمارة الأغالبة إليه، فاضطرهم إلى طلب المصالحة على أن يكون البلد والبحر لعبد الله ابن إبراهيم، وخارج ذلك يكون لعبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم[٧].

وقد استمر ولاء وانتماء وطاعة الأغالبة للدولة العباسية. وفي هذا الصدد كتب الخليفة العباسي المأمون بن هارون الرشيد دعوت فيها زيادة الله بن الأغلب أن يدعوا على منابره

---

[١] ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص 101- 102.
[٢] المصدر تفسه، ج1، ص 101- 102.
[٣] ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص 102.
[٤] المصدر نفسه، ج1، ص 104.
[٥] ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 156؛ وانظر: حسن، تاريخ الإسلام، ج2، ص 214.
[٦] ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 156.
[٧] ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 157.

لعبد الله بن طاهر بن الحسن[*] (وهو ابن من قتل أخيه الأمين"، وقد اشتاط زيادة الله بن الأغلب غضباً، فأمر بإدخال الرسول الذي بعثه المأمون عليه ثم قال له: "قد علم أمير المؤمنين– ويقصد المأمون– طاعتي له وطاعة آبائي لآبائه، وتقدم سلفي في دعوتهم، ثم يأمرني الآن بالدعاء لعبد خزاعة؟ ويقصد عبد الله بن طاهر– فرفض الدعاء لعبد الله بن طاهر بن الحسين، ثم مد بكيس إلى جانبه، وأعطى الرسول ألف دينار، لإيصال الرسالة إلى الخليفة العباسي– المأمون، وكانت النقود مضروبة باسم إدريس الحسني ليعلمه ما هو عليه من فتنه بالمغرب، ومقاومة الدولة الإدريسية العلوية في المغرب الأقصى، وكان حينها زيادة الله ثملاً[١].

فلّما أفاق من سكرته بعث بكتاب آخر يتلطف فيه الخليفة العباسي المأمون [٢]، وكان زيادة الله يدعو للمأمون وإبراهيم بن المهدي، الذي ادّعى الخلافة ببغداد بعد قتل الأمين، إلى أن قدم المأمون بغداد، فكاتبه، وشكر له فعله، وحسن صنيعه[٣].

يفهم مما سبق أن علاقة الأغالبة كانت علاقة وطيدة مع العباسيين، فكثيراً ما ساندت الخلافة العباسية الدولة الأغلبية، فقد أرسلت الأموال إلى إبراهيم بن الأغلب من مصر عندما تمرد عليه عمر بن مجالد سنة 194هــ/ 809م، وقد تدخل المأمون طالباً من الفرنجة الكف عن أفريقية عندما تعرضت سواحلها لهم سنة 213هــ/ 828م[٤].

وكذلك كان وجود الدولة الأغلبية في أفريقية إنما هو تحقيق لأهداف الدولة العباسية؛ لأنها وقفت بكل صلابة وحزم في وجه الدول المستقلة الأخرى في المغرب العربي.

وعندما وقع زلزال في أفريقية (تونس) سنة 245هــ/ 859م أرسل الخليفة المأمون الأموال دعماً لدولة الأغالبة[٥].

وكان الأمراء الأغالبة يتسلمون التقليد من الخلفاء العباسيين، فقد أقرّ الخليفة العباسي الأمين (193– 198هــ/ 808– 813م) إبراهيم بن الأغلب على ولايته، وكذلك فعّل المأمون (198– 218هــ/ 813– 833م) عندما أرسل التقليد إلى زيادة الله الأول[٦].

وكانت بغداد عاصمة العباسيين ملجأ لبعض أفراد الأغالبة الذين تركوا أفريقية، مثل: أحمد بن الأغلب الذي أخرج من أفريقية إلى مصر ومن ثم إلى العراق، على يد أخيه محمد بن الأغلب[٧].

كما التجأ آخر أمراء الدولة الأغلبية زيادة الله بن أبي العباس (291– 296هــ/ 903– 908م) الذي أخرج من أفريقية إلى المشرق مستنجداً بالخلافة العباسية، حينما قامت دعوة أبي عبد الله الشيعي، والدعوة لأبي عبد الله المهدي الفاطمي[٨].

(*)عبد الله بن طاهر بن الحسين: أحد قادة المأمون، والي مصر سنة 211هــ/ 826م. انظر: الكنديّ الولاة، ص 180– 181؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص 165؛ ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ج3، ص 16.

(١) ابن الابار الحلة السيراء، ج1، ص 165.

(٢) المصدر نفسه، ج1، ص 165.

(٣) المصدر نفسه، ج1، ص 166.

(٤) إسماعيل، الأغالبة، ص 172– 173.

(٥) الطبريّ، تاريخ، ج5، ص 328؛ ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 255.

(٦) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 94؛ القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرحه وعلق عليه نبيل خالد الخطيب، بيروت، 1987م، ج5، ص 120؛ وسيشار إليه فيما بعد: القلقشندي، صبح الأعشى؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج2، ص 169.

(٧) ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص 180؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص 109؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 83.

(٨) ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص 182؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 83– 84.

وكان الخلفاء العباسيون يوجهون اللوم والانتقاد إلى بعض أمراء بني الأغلب، إذا أحسّوا منهم بأي إساءة لهم وللرعية، إذ لم يتوان الخليفة العباسي المعتضد (279- 289هـ/ 892- 901م) عندما وجه اللوم والتوبيخ إلى إبراهيم بن أحمد بن الأغلب عندما أساء السيرة[١].

إن إبراهيم بن الأغلب كان يضمر الحقد لمحمد بن زيادة الله، لحسن سيرته، إلى أن قتله، فيقول ابن الابار في "الحلة السيراء": (وكان الذي هاجه لذلك وبعثه عليه- مع قدم حسده له- أنه وجه رسولاً إلى بغداد، فكتب إليه يخبره أن بعض من سار إلى بغداد من أهل تونس شكو إلى المعتضد صنع إبراهيم، فقال المعتضد: "عجباً من إبراهيم ما يبلغنا عنه إلا سوء الثناء عليه، وعامله على طرابلس يبلغنا خلاف ذلك من رفق بمن ولي عليه وإحسان")[٢].

وقد كتب الخليفة العباسي المعتضد إلى إبراهيم بن أحمد كتاباً يهدده فيه، ويوبخه أيضاً على سوء أفعاله إذ قال في الكتاب: "إن لم تترك أخلاقك في سفك الدماء فاسلم البلاد إلى ابن عمك محمد بن زيادة صاحب طرابلس"، فخرج إبراهيم إلى طرابلس خفية، وأظهر أنه يريد مصر حيلة منه، إلى أن ظفر بمحمد بن زيادة الله فقتله، وصلبه"[٣].

وقد كان الأغالبة يتخذون السواد "شعار العباسيين"، كما كانت النقود المتداولة بين الناس في الدولة الأغلبية نقوداً عباسية، تحمل أسماء خلفاء بني العباس[٤].

وكانت أسماء أمراء الأغالبة قد سكت على نقودهم، لكن دون الإشارة إلى اسم الخليفة، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على الاستقلال السياسي الذي تتمتع به دولة الأغالبة، رغم ارتباطها وطاعتها وولائها للخلافة العباسية[٥]، وكانت دولة الأغالبة في جميع الأحوال تحتفظ بعلاقات جيدة مع الدولة العباسية، إذ كانت الهدايا والأموال ترسل من أفريقية إلى بلاط الدولة العباسية في بغداد تقرباً وطاعة[٦].

ومن تلك الهدايا التي كانت ترسل إلى البلاط العباسي من قبل أمراء الأغالبة يذكر أنه قد حمل إلى بغداد في عهد الخليفة الرشيد ثلاثة عشر ألف درهم، ومائة وعشرون بساطاً من أفريقية، كما أرسل الأمير إلى أبي إبراهيم أحمد الأغلبي بعضاً من السبايا قصريانه إلى الخليفة العباسي المتوكل[٧].

وكان الأمير زيادة الله الثالث قد أرسل إلى الخليفة العباسي المكتفي (289- 295هـ/ 901- 907م) الكثير من الهدايا، والأموال، والدنانير كتب على تلك الدنانير[٨]:

ومن لا يرى لك طاعة فالله

قد أعماه من طرق الهدى وأضله

---

[١] ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص 180.

[٢] ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص 180.

[٣] المصدر نفسه، ج1، ص 180.

[٤] عبد الوهاب، ورقات، ج1، ص 428- 429.

[٥] ابن قربة، المسكوكات، ص 177- 178؛ في حين يشير الدكتور محمود إسماعيل في كتابه "الأغالبة"، ص 52، وفي الهامشين 22، 23 إلى وجود نوعين من السكة عند الأغالبة، أحدهما يضرب عليه اسم الخليفة، والآخر للتداول في أفريقية، ولكن لم يعثر على مثل هذه النقود؛ وكذلك انظر: فهمي، محمد عبد الرحمن، فجر السكة العربية، مطبعة بولاق، القاهرة، 1965م، ص 829، 831، 833، 834، 835، 836؛ ابن قربة، المسكوتات، ص 86.

[٦] الجهشياري، أبا عبد الله بن عبدوس، الوزراء والكتاب، تح مصطفى السقا وآخرون، مطبعة بولاق، القاهرة، 1938م، ص 287، وسيشار إليه فيما بعد: الجهشياري، الوزراء.

[٧] الجهشياري، الوزراء، ص 90.

[٨] ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص 178.

كما كانت هناك معاهدات بين الأسرتين العباسية في بغداد والأغلبية في تونس، فقد زوّج إبراهيم بن أحمد (261- 289هـ)، بنت أخيه لعبد الوهاب بن محمد المهتدي[١].

ومن خلال الأحداث التي مرت بها الدولة الأغلبية وعلاقتها بالدولة العباسية يتبين أن تلك المعاهدات كانت معاهدات عسكرية وسياسية واقتصادية.

وكانت مواقف دولة الأغالبة تدل وتعبر عن عروبتهم وانتمائهم، وهو موقف منسجم مع الموقف الطبيعي للعرب في تأييد الخليفة الأمين[٢].

وكان خلفاء بني العباس يثنون على أمراء دولة الأغالبة، وذلك عندما يقوم أمراء الأغالبة بالخطبة والدعاء للخلفاء العباسيين، ومثال ذلك عندما دعا زيادة الله للخليفة العباسي المأمون، ولعمه إبراهيم بن المهدي على منابر القيروان، فاستحق بذلك ثناء المأمون عليه[٣].

وكان البربر يحاولون كلما سنحت لهم الفرصة بأن ينقلبوا على دولة بني الأغلب، ويمتنعون عن دفع العشور والصدقات إلى بيت المال، ومن ذلك نذكر أنه حدثت سنة 245هـ حرب كبيرة بين البربر وجيش إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب، وسببها أن بعض البربر امتنعوا عن دفع العشور والصدقات لعامل طرابلس، فسير إليهم أحمد بن محمد بن الأغلب جيشاً مع أخيه زيادة الله فانهزم البربر [٤]، إذ أن عدم دفع الضرائب للدولة الأغلبية يعني ذلك في نظر الأغالبة الخروج على دولة الخلافة الشرعية، ولذلك فإن الدولة الأغلبية كانت تضرب بيد من حديد لكل من تسول له نفسه الخروج عليها.

ومجمل القول إن موقف الدولة العباسية من دولة الأغالبة، وموقف الأغالبة من الخلافة العباسية ومن خلال كل الخلفاء العباسيين، وعلاقتهما، ببعضهما البعض ان تلك العلاقة لم تقف عند حد الولاء والطاعة وتقديم الأموال والهدايا، لا بل إن موقف الأغالبة كان يتسم بالعدائية تجاه كل من يعادي الدولة العباسية، كالأدارسة، والرستميين، والأمويين في الأندلس، كما كانت علاقة الدولة الأغلبية علاقة جيدة مع كل من كانت علاقته جيدة مع العباسيين، ومثال ذلك الكارلونجيون الذين كانوا أصدقاء للدولة العباسية[٥].

ولم تقتصر علاقة الأغالبة بالخلافة على هذه الأمور، بل تعدتها إلى العلاقات الاقتصادية والثقافية[٦]. فالأمراء الأغالبة قد سايروا المأمون في تأييد مذهب الاعتزال، ثم تحولوا عنه عندما طارد الخليفة العباسي المتوكل أصحابه في المشرق[٧].

ومهما يكن من أمر، فقد كان موقف الدولة العباسية من الأغالبة يتسم بالوضوح والصراحة، والإيجابية، وقد تغلب فيه الائتلاف على الاختلاف، ولم يكن ليقع غير ذلك.

---

(١) ابن حزم، جمهرة، ص 25- 26؛ وانظر: عبد الوهاب، ورقات، ج1، ص 393- 394.

(٢) الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 209.

(٣) ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص 166؛ ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ج3، ص 16؛ وانظر: فهد، بدري محمد، الخليفة المغني، مكتبة المثنى، بغداد، 1967م، ص 51. وسيشار إليه فيما بعد: فهد، الخليفة المغني.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 300.

(٥) الكارلونجيون، أسرة حكمت فرنسا وإيطاليا وبعض مناطق أوروبا، تأسست دولتها سنة 752م، على يد شخص يدعى بيبين القيصر .انظر: عاشور، سعيد عبد الفتاح، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار صادر، بيروت، 1972م، ص 155، 172؛ سيبدلو.ل.أ، تاريخ العرب العام، ترجمة عادل زعيتر، (د. مط)، القاهرة، 1962م، ص 195.

(٦) إسماعيل، الأغالبة، ص 61- 672؛ قاسم، الحياة الفكرية، ص 99.

(٧) الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 367- 368؛ إسماعيل الأغالبة، ص 51؛ قاسم، الحياة الفكرية، ص 99.

وصيغة الاتحاد المتصورة بين بغداد والقيروان، إنما هي نوع من الزواج المتعقل المبرم في نطاق نظام تفريق الأموال وتوزيعها، وقد تبين أنه متين الأركان، وبقي الاتحاد حتى النهاية رغم الصدامات التي لا مفر منها، والنوائب.

وكانت الخطبة- وهذا هو الأساس في نظر ذلك العصر- تلقى دوماً باسم الخليفة العباسي- والخطبة هي التي تحدد مدى الولاء، والانتماء، والارتباط، والاتصال، والتودد للدولة العباسية الشرعية.

وقد اتسم موقف الدولة العباسية من الأغالبة بالتعاون، والود، والاحترام، والمعاملة بالمثل، باستثناء بعض فترات التوتر، ولذا فقد دون التاريخ أجمل الحديث عن تلك التجربة التي كانت ناجحة في جملتها.

وكان في انقراض دولة الأغالبة بعد مائة واثنتي عشرة سنة من الحكم المتواصل، التأييد والولاء للخلافة العباسية له آثاره السيئة على الدولة العباسية، إذ نشأت دول أخرى بعد ذلك على أساس مذهبي مغاير لمذهب الدولة العباسية إذ تأسست الدولة الفاطمية، وتوطد ملك بني عبيد فقد قام أبو عبد الله الشيعي بهزيمة جيوش الأغالبة، واستولى على بلاد المغرب، وانتزعها من زيادة الله بن أبي العباس وسلمت إليه المغرب سنة 296هـ، واستقل بالأمر وعمل على استقلال الدولة الفاطمية فيما بعد عن الخلافة العباسية، وبنى مدينة المهدية [*]، وانتقل إليها، وبذلك قامت الدولة الفاطمية الشيعية[١].

وقام عهد جديد لدولة جديدة مستقلة عن الدولة العباسية، وكل عداء سياسي ومذهبي مع الدولة العباسية[٢].

---

[*] المهدية: سميت نسبة إلى عبد الله المهدي، وقد اختطها المهدي، وهي أفريقية (تونس)، تقع إلى الشمال من القيروان.
انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج5، ص 229- 230.

[١] ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص 192؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص 151؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 84.

[٢] ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص 192؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص 151؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 84.

نتائج الدراسة

يحاول الباحث في هذه الدراسة أن يلقي الضوء على كثير من التساؤلات التي طرحت حول موقف الدولة العباسية من الدويلات التي استقلت عنها في المغرب الإسلامي، وذلك خلال القرنين الثاني والرابع الهجريين (الثامن والعاشر الميلاديين).

هذا الأمر الذي جعل المؤرخين يطرحون التساؤلات والإجابات معاً، بحيث لم تخل هذه التساؤلات والإجابات من الخطأ والغلط وتضارب الأقوال، وذلك يعود لإختلاف الروايات والرغبات في تناول هذا الموقف للدولة العباسية من تلك الدويلات.

وجاءت هذه الدراسة لتعرض الروايات التي تبين حقيقة ذلك الموقف، للتدقيق، والتمحيص والتحليل والمقارنة من أجل الوصول إلى الحقيقة.

ومن أجل وضوح صورة ذلك الموقف كان لا بد لهذه الدراسة من عرض تركيبة وفئات السكان في بلاد المغرب قبل فتح العرب المسلمين لها، بل قبل نشوء تلك الدول المستقلة في عهد الدولة العباسية.

ولقد تبين من خلال البحث والدارسة أن غالبية سكان المغرب كانوا من العنصر البربري، الذي له خصائصه ومزاياه.

وتناولت الدراسة بعد ذلك عملية الفتح العربي الإسلامي لمنطقة المغرب، والتي تميزت بالجهاد الصادق، والعمل الشاق في محاولة دمج وصهر البربر في بوتقة الإسلام، ثم دمجهم في تلك الدول المستقلة بحيث وجدنا أن البربر كانوا دائماً مشاركين، ويتبنون مذهب الدويلات التي تتمكن من بسط سيطرتها الجغرافية والسكانية والزمانية.

ومن الجدير بالذكر أن هذه الدول المستقلة قد لعبت دوراً كبيراً في زيادة الطباع والتأثيرات العربية في المغرب، إذ تميزت تلك الدويلات بعروبتها الشرقية، التي كانت لها لغتها وتقاليدها وعاداتها وقيمها المميزة لها (الدولة الرستمية أصولها فارسية).

هذا التأثير العربي في المغرب تناوله ابن خلدون في مقدمته المشهورة، إذ قال: (انقلبت أحوال المغرب في المائة الثانية، وتبدلت بالجملة، واعتاضت من أجيال البربر أهله على القدم بما طرأ فيه من لدن المائة الخامسة من أجيال العرب بما كسروهم وغلبوهم، وانتزعوا منهم عامة الأوطان، وشاركوهم فيما بقي من البلدان لملكهم).

زد على ذلك أن هذه الدول المستقلة التي استقلت عن دولة الخلافة العباسية ساهمت في نشر الديانة الإسلامية، بداية على يد الأدارسة في المغرب، ثم على يد الفاطميين ثانية، وقام الأدارسة بنشر الإسلام على منهج كتاب الله وسنة رسوله، إذ كانوا من أهل الصلاح والتقوى لأنهم من سلالة النبي الكريم (ص). قال صاحب كتاب (الدرر السنية) السنوسي: (لما دخل

إدريس الأكبر المغرب الأقصى وجد أهله ثلاث فرق يهود، ونصارى، ومجوس، ودعاهم إلى دين الله وعبادته وسنته، وسنة رسوله (ص) فأجابوه لذلك، واتبعوه خفافاً وثقالاً).

أما الفاطميون فقد ساهموا في نشر الإسلام، ولكن تبعاً للمبادئ الشيعية الإسماعيلية في الإمام المعصوم والإمام المنتظر.

وساهمت دولة الأغالبة السنية والتي اتفقت مع الدولة العباسية من حيث المذهب السني، بالإضافة إلى دفاعها عن (مبادئ ورغبات الدولة العباسية) في المغرب، وافقت الدولة العباسية على كوارث الأغالبة، للحكم من باب اتفاق المصالح المشتركة بين الطرفين، إذ وقفت دولة الأغالبة ضد خصوم الدولة العباسية في المغرب.

تميزت هذه الدول المستقلة عن جسم الخلافة العباسية بالاستقلال التام، إذ كانت لا تعترف بسلطة الدولة العباسية، فالدولة الرستمية كانت قد قامت على يد البربر الذي كانوا يناهضون الخلافة الإسلامية منذ الفتح العربي الإسلامي الأول.

ودولة الأدارسة بدأت بالاستقلال عن الدولة العباسية، وأصبحت لا تعترف بالخلافة العباسية لاعتقادها أن هذه الخلافة قامت على اغتصاب السلطة من أصحابها الشرعيين، الذين يتمثلون في نسل علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، ولما عجز الأدارسة عن أخذ السلطة في المشرق تمكنوا من تحقيق ذلك في المغرب الأقصى البعيد عن الخلافة العباسية.

ولم تكن الدولة الفاطمية أقل شأناً من غيرها من الدول المستقلة، بل كانوا أكثر تحدياً، إذ لم يعترفوا بشرعية الخليفة العباسية، وأصبحوا يطلقون على أنفسهم (خلفاء) أو أمراء للمؤمنين.

وأما دولة الأغالبة في افريقية فقد تمتعت بالاستقلال ووراثة الحكم بين أبناء هذه الأسرة، إلا أنها كانت حليفاً قوياً للدولة العباسية، ووقفت إلى جانبها ضد أعداء الخلافة.

وكان ولاء الأغالبة للعباسيين واضحاً تمثل في الخطبة للخلفاء على المنابر، ونقش اسم الخليفة على النقود، وإرسال الأموال (الخراجية) والهدايا إلى عاصمة الخلافة.

واختلفت الدول المستقلة في المغرب من حيث مدة حكم كل دولة عن الأخرى، لكنها بصورة عامة كانت معاصرة لبعضها البعض بعضاً فالدولة الرستمية في (تاهرت) استمرحكمها ما يقارب مائة وستين سنة وبالتحديد من سنة 137-297هـ/754-909م، وقد تم القضاء عليها على يد الفاطميين، وذلك عندما سار أبو عبدالله الشيعي إلى مدينة سجلماسة لمحاربة (اليسع) أمير آل مدرار، وتخليص محمد المهدي وابنه من السجن، ومرَّ أثناء سيره على تاهرت عاصمة الرستميين فدخلها بالأمان، وقتل من بها من الرستمية بينهم: يقظان بن أبي يقظان، ومن معه من أهل بيته، وبعث برؤوسهم إلى القيروان ونصبت على باب مدينة رقادة، وبذلك تكون دولة الرستميين قد انتهت في تاهرت من أرض المغرب.

وكذلك الحال كان مع دولة الأغالبة المستقلة، التي كانت حليفة لبغداد مركز الخلافة، فقد استطاع الفاطميون على يد القائد أبي عبدالله الشيعي من هزيمة جيش (زيادة الله) آخر أمراء الأغالبة سنة 296هـ، ويدخل مدينة رقادة عاصمة الأغالبة وبذلك تكون هذه الدولة قد انتهت بعد حكم استمر مائة واثنتي عشر عاماً من 184-286هـ/800-909م.

أما دولة الأدارسة في المغرب الأقصى فلم تنج من خطر الفاطميين، فبعد أن حكمت هذه الدولة المستقلة مدة مائة وأربعين عاماً من (172-313هـ) سقطت على يد جيش المهدي الفاطمي، والذي كان بقيادة مصالة بين حبوس، إذ التقى مع آخر أمراء الأدارسة يحيى الإدريسي بالقرب من مكناسة، فحلت الهزيمة بيحيى واحتل الفاطميون بلاد الأدارسة، وصار المغرب ملكاً للفاطميين، بحيث أصبحت دولة الأدارسة من دولتهم.

وبعد أن سيطر الفاطميون على المغرب توجهوا نحو مصر، إذ دخلوها وأصبحت تابعة للدولة الفاطمية، وقبل مغادرة المغرب جعل الفاطميون عليها من بربر صنهاجة يديرونها نيابة عنهم، ولكن الأمر قد تغير بعد ذلك إذ انشق هؤلاء البربر علن سلطة الفاطميين، وخلعوا الطاعة لهم، وبلغوا درجة الملوك، واستطاع بلكين بن زيري شيخ صنهاجة أن يتخلص من سيطرة الفاطميين، ويعلن تأسيس الدولة الزيرية في سنة 363هـ.

وأما الدولة الفاطمية في مصر فقد جعلت من القاهرة مركزاً لها فاستمرت في الحكم حتى جاء السلطان صلاح الدين الأيوبي وقضى عليها.

وعند دراسة قيام هذه الدول المستقلة يلاحظ الباحث أن البربر سكان المغرب القدماء كانوا قد لعبوا دوراً كبيراً في نشوء هذه الدول، والمساهمة في استقلالها عن جسم الخلافة العباسية.

ويمكن القول إن بعض هذه التحركات التي مهدت لنشوء الدويلات المستقلة ما كان لها أن تقوم وتشتهر إلا بمساعدة البربر، بل يمكن القول إن بعضها قد نشأ من أجل القضاء على حركات البربر أنفسهم.

ودولة بنو صالح في دكور والبرغواطيين والمدراريين كانت قد تأسست في ظل وجود دولة عباسية شرعية.

والدولة الرستمية في تاهرت وإن كانت في أصولها فارسية (عبد الرحمن بن رستم من فارس) بحيث تمكنت من قيام دولة خارجة عن سلطة الخليفة العباسي فقد ساندها جموع كبيرة من قبائل البربر (نفوسة، وهوارة، ولمايه، وزناتة، ولواته) واعتنقت أيضاً مبادئ الدولة الرستمية التي تقوم على الفكر الأباضي الخارجي.

أما دولة الأدارسة الاستقلالية فقد نشأت على يد بربر المغرب الأقصى، وكان إدريس قد لجأ إلى المغرب، وأجاره اسحق بن محمد صاحب مدينة وليلى أو (بوليلي) وجمع البربر على القيام بدعوته وخلع الطاعة العباسية، وزاد إدريس تقرباً من البربر حيث صاهرهم وتزوج من كنزة (كنيزة) ابنة الحق بن محمد صاحب وليى، وكان ولده وخلفه إدريس من هذه المرأة.

حيث نجد أن دولة الأغالبة على العكس تماماً، إذ قامت بصورة خاصة ضد البربر، وشيدت للقضاء على حركاتهم، وكانت نتيجة لسياسة ورغبة الخليفة هارون الرشيد في تأديب البربر وغيرهم من الثوار، والخوراج على سلطة الخلافة العباسية.

وقد قامت العديد من حركات تمرد البربر على دولة الأغالبة، بل نجد أن جد الأغالبة قد قتل على يد هؤلاء البربر، وثار على مؤسس هذه الدولة (إبراهيم بن الأغلب) حمديس البربري وجماعته، إذ قضى عليهم إبراهيم.

ودولة الفاطميين أيضاً نشأت بمساعدة البربر، وفي هذا الصدد يبرر ابن خلدون استعانة الأدارسة والفاطميين بالبربر، إذ قال: (هذا ما وقع للأدارسة في المغرب الأقصى والعبيديين بافريقية، ومصر لما انتبذ الطالبيون في المشرق إلى القاصية وابتعدوا عن مصر الخلافة وسعوا إلى طلبها من أيدي بني العباس بعد أن استحكم البيعة لبني أمية، ثم لبني هاشم من بعدهم فخرجوا بالقصبة من المغرب ودعوا لأنفسهم، وقام بأمرهم البربر بعد أخرى فأوربة وفعيله، للأدارسة وكتامه، وصنهاجة، وهوارة للعبيديين فشيدوا دولهم، ومهدوا بعصابتهم أمرهم واقتطعوا من ممالك العباسيين المغرب كله ثم افريقية.

ومن خلال الكلام السابق نرى أن دولة الأدارسة وكذلك دولة الفاطميين قد قامتا على أكتاف البربر وتوطدت بمساعدتهم ومعاضدتهم، وسمت وعلت لما حصلت على مؤازرتهم.

ولا بد من الإشارة إلى أن موقف الدولة العباسية من هذه الدويلات قام على سياسة المقاومة بالسلاح ومحاربة هؤلاء الخصوم، وكذلك سياسة اللسان والبيان في محاولة إبطال الحجج والمبادئ التي قامت عليها تلك الدويلات ولهذا سخرت الدولة العباسية الدعاة والعلماء وغيرهم في سبيل تحقيق غاياتهم وهي هزيمة تلك الدول.

وخلاصة البحث تتمثل في أن نشوء هذه الدول المستقلة في المغرب قد أثر تأثيراً كبيراً في الدولة العباسية، ذلك لأن هذه الدويلات قد نتج عنها دول مستقلة، استقلت عن جسد الخلافة العباسية، وأقامت دولاً لها في الأطراف البعيدة من الدولة العباسية، والتي كانت في أولى مراحلها، وأوج عظمتها، ومع ذلك لم تستطع القضاء على هذه الدول، وإيقاف نموها، والدليل على ذلك استمرار دولة الفاطميين في مصر حتى سنة 567هـ.

الـــمصادر والمراجع

أولاً : المصادر

ــ ابن الابار، أبو عبدالله محمد بن عبد ربه ابن أبي بكر القضاعي، (ت 658هــ/1260م)، **أعتاب الكتّاب**، (تحقيق صالح الاشتر)، دار الفكر، دمشق، 1961م. ــ .... **الحلة السيراء**، (تحقيق حسين مؤنس)، دار المعارف، القاهرة، م1985.

ــ ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، (ت 630هــ/1233م)، **أسد الغابة في معرفة الصحابة** ، المطبعة الإسلامية، طهران، إيران، 1377هــ. ــ .... **الكامل في التاريخ**، دار صادر، بيروت، 1965م.

ــ ابن أيبك الدواداري، أبو بكر عبدالله بن أيبك، (ت بعد سنة 736هــ/1335م)، **كنز الدرر وجامع الغرر**، ج6، المسمّى: (الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية)، (تحقيق صلاح الدين المنجد)، المعهد الألماني للآثار، القاهرة، 1962م.

ــ الإدريسي، الشريف أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله الشريف السبتي، (ت حوالي 548هــ/1154م)، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1994م.

ــ الاصطخري، ابن اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي، (ت 400هــ/1006م)، **مسالك الممالك**، (تحقيق محمد جابرعبد العال الحسيني)، دار القلم، القاهرة، 1381هــ.

ــ ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، (تحقيق سالم مصطفى البدري)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.

ــ البغدادي، عبد القادر بن طاهر بن محمد، (ت 429هــ/1037م)، **الفرق بين الفرق** ، (تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد)، مطبعة بولاق، القاهرة، (د.ت).

ــ البكري، أبو عبيد الله عبدالله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو البكري، (ت 487هــ/1094م)، **المسالك والممالك**، (تحقيق آندريان فان لوفين وآندري فيري)، الدار العربية للكتاب والمؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، تونس، 1992م. ــ ..... **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب**، (تحقيق د.عبد الرحمن الحجي)، دار الإرشاد، بيروت، ، 1965م.

ــ البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر، (ت 279هــ/892م)، ــ **فتوح البلدان** ، (تحقيق عبدالله وعمر آنيس الطباع)، دار النشر للجامعيين، بيروت، 1957م.

ــ ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي، (ت 874هــ/ 1463م)، **النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة**، دار الكتب العلمية، القاهرة، 1929م.

ــ ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي البغدادي، (ت597هــ/1201م)، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، من منشورات دائرة المعارف العثمانية، نيودلهي، حيدر أباد، الهند، 1357-1359هــ.

ــ ابن حبيب، عبد الملك بن حبيب الالبيري، (ت 238هــ/852م)، **كتاب التأريخ** ، (تحقيق خورجي اغواداي)، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، ومعهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، اسبانيا، 1991م.

ــ ابن حجر، شهاب الدين أحمد العسقلاني، (ت 852هــ/1448م)، **رفع الأصر عن قضاة مصر**، (تحقيق علي محمد عمر)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1998م.

ــ ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي، (ت 456هــ/ 1064م)، **جمهرة أنساب العرب**، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007م.

ــ ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي البغدادي النصيبي، (ت 380هــ/ 990م)، **صورة الأرض**، دار ومكتبة الحياة، بيروت، (د.ت).

ــ الحميري، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبد المنعم، (900هــ/ 1495م)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، (تحقيق إحسان عباس)، هيلدبرغ، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م.

ــ ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبدالله محمد التلمساني الغرناطي، (ت 776هــ/ 1374م)، **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام** ، (تحقيق مصطفى أبو ضيف أحمد)، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1985م. ــ ...... **معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار** ، (تحقيق د. محمد كمال شبانه)، الرباط، المغرب 1976م.

ــ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد المغربي، (ت 808هــ/1408م)، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر** ، مطبعة بولاق، القاهرة، 1965م.ــ....... **مقدمة ابن خلدون** ، (تحقيق حامد أحمد الطاهر)، دار الفجر الحديث، القاهرة، 2004م.

ــ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر، (ت 681هــ/ 1282م)، **وفيان الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، (تحقيق إحسان عباس)، دار صادر، بيروت، 1977م.

ــ ابن خياط، خليفة العصفري (ت 240هــ/854م)، **تاريخ خليفه بن خياط**، مطبعة الآداب، (د،مط)، دمشق، 1967م.

ــ الدباغ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد عبد الرحمن بن محمد، (ت 696هــ)،**معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان** ، أكمله وعلق عليه ابن ناجي (839هــ/1435م)، الدار التونسية، تونس، 1902م.

ــ الدرجيني، أبا العباس، أحمد بن سعيد، (ت ق 7هــ/ ق 13م)، **طبقات المشايخ في المغرب**، (تحقيق إبراهيم ظلامي)، (د.مط)، الجزائر، 1974م.

ــ ابن أبي دينار، أبو عبدالله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني، (ت 1110هــ/1668م)، **المؤنس في أخبار افريقية وتونس**، (تحقيق محمد شمام)، دار المسيرة، بيروت، 1993م.

ــ الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، (748هــ/1347م)، **دول الإسلام**، مطبعة السعادة، القاهرة، 1368هــ. ــ....... **العبر في خبر من عبر** ، (تحقيق صلاح الدين المنجد وفؤاد سيد)، سلسلة التراث العربي، الكويت، 1960م.

ــ الرقيق القيرواني، إبراهيم بن القاسم، (ت ق 5هــ/ ق11م)، **تاريخ افريقية والمغرب** ، (تحقيق المنجي الكعبي)، نشر رفيق السفطي، مطبعة الوسط، تونس، 1967م.

ـ الزبيري، أبو عبدالله، مصعب بن عبدالله، (ت 236هـ/850م)، **نسب قريش**، نشره ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، 1976م.

ـ ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن عبدالله ، (ت 741هـ)، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور، الرباط، 1972م.

ـ أبو زكريا، يحيى بن أبي عمر، (من مؤرخي القرن 5هـ/ ق 11م)، **سير الأئمة وأخبارهم**، (تحقيق إسماعيل العربي)، بيروت، لبنان، 1982م.

ـ ابن سعيد، علي بن سعيد المغربي، (ت 685هـ/1286م)، **المغرب في حلى المغرب** ، (تحقيق زكي محمد حسن وآخرون)، جامعة فؤاد الأول، القاهرة، 1953م.

ـ ابن سنان، ثابت، **تاريخ أخبار القرامطة**، (تحقيق سهيل زكار)، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1971م.

ـ السيابي، سالم بن حمود بن شامس، **إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء**، (تحقيق سيده إسماعيل كاشف)، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، عمان، 1979م.ـ...... **أصدق المناهج في تمييز الأباضية من الخوارج** ، (تحقيق سيدة إسماعيل كاشف)، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط،عمان، 1979م.

ـ السيوطي، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن (911هـ/1505م)، **تاريخ الخلفاء** ، تقديم عبدالله مسعود، دار القلم، حلب، 1991م. ـ........ **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، بولاق، القاهرة، 1967م.

ـ الشماخي، أحمد بن سعيد بن عبد الواحد، (ت 927هـ/1521م)، **السير** ، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، عمان، 1987م.

ـ الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت548هـ/1153م)، **الملل والنحل**، (د.مط)، بيروت، 1948م.

ـ ابن الصغير المالكي، (من مؤرخي القرن 3هـ/9 الميلادي)، **أخبار الأئمة الرستميين** ، (تحقيق محمد ناصر وإبراهيم بحاز)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م.

ـ الصفدي، صلاح الدين خليل ابن أيبك الصفدي (ت 764هـ/1362م)، **الوافي بالوفيات** ، (تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2000م.

ـ الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، (ت559هـ/1202م)، **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967م.

ـ ابن أبي الضياف، أحمد، **اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان** ، (تحقيق لجنة من كتاب الدولة للشؤون الثقافية والأخبار)، الدار التونسية، تونس، 1976م.

ـ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (ت 310هـ/922م)، **تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري)**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م.

ـ ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا، (ت 709هـ/1309م)، **الفخري في الآداب السلطانية والدولة الإسلامية**، بولاق، القاهرة، 1923م.

ـ ابن ظافر، جمال الدين أبو الحسن علي بن أبي منصور ظافر الأزدي، (ت612هـ/1215م). ـ **أخبار الدولة المنقطعة**، (تحقيق وتعقيب اندريه فرّيه المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية)، القاهرة، 1972م.

ـــ ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبدالله، (ت 257هـ/871م)، **فتوح افريقية والأندلس،** (تحقيق عبدالله أنيس الطباع)، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، 1964م، **فتوح مصر والمغرب،** (تحقيق محمد الحجيري)، دار الفكر، بيروت، ط1، 1996م.

ـــ ابن عبد ربه، أبا عمر أحمد بن محمد الأندلسي، (ت 328هـ/940م)، **العقد الفريد** ، دار الفكر، القاهرة، 1940م.

ـــ ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي، (ت 695هـ/1295م)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،** (تحقيق ومراجعة كولان.ج.س وليفي بروفنسال)، دار الثقافة، بيروت، 1983م.

ـــ أبو العرب، تميم محمد بن أحمد التميمي القيرواني، (ت 333هـ/945م)، **طبقات علماء افريقية وتونس،** (تحقيق علي الشابي ونعيم حسن اليافي)، الدار التونسية، تونس، 1968م.

ـــ عماد الدين إدريس، ابن الحسن بن عبدالله الأنف، (ت 872هـ/1467م)، **تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب،** (تحقيق محمد البعلاوي)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985م.ـــ..... **عيون الأخبار وفنون الآثار،** (تحقيق مصطفى غالب)، دار الأندلس، بيروت، 1984م.

ـــ عياض، القاضي أبو الفضل عياض بن موسى، (ت 544هـ/1149م)، **ترتيب المدارك** ، دار هارون، بيروت، 1965م.

ـــ أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن الملك الأفضل نور الدين علي جمال الدين محمود بن محمد بن عمر، (ت732هـ/1331م)، **المختصر في أخبار البشر** ، دار صادر، بيروت، (د.ت).

ـــ ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى، (ت 749هـ/ 1349م)، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار،** (تحقيق محمد عبد القادر خريسات وحسن محمد النابورة)، مركز زايد للتراث والتاريخ، الأمارات العربية المتحدة، ط1، 2004م.

ـــ ابن فهد، النجم عمر بن محمد بن محمد المكي، (ت 775هـ/1480م)، **في نسب الخلفاء الفاطميين،** (أسماء الأئمة المستورين)، تقديم حسن فيض الله الهمذاني، منشورات الجامعة الأمريكية، القاهرة، 1958م.

ـــ القاضي النعمان، أبا حنيفة النعمان بن محمد، (ت 336هـ/ 947م)،**افتتاح الدعوة** ، (تحقيق فرحات الدشراوي)، الدار التونسية، تونس، 1975م. ـــ .... **المجالس والمسايرات،** (تحقيق الحبيب الفقي)، إبراهيم شوح، محمد اليعلاوي، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1978م.

ـــ ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري ، (ت 276هـ/889م)، **الإمامة والسياسة،** (تحقيق عبدالله أنيس الطباع)، دار النشر للجامعيين، بيروت، 1969م.

ـــ القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، (ت 821هـ/1418م). ـــ .... **صبح الأعشى في صناعة الإنشا،** شرحه وعلق عليه نبيل خالد الخطيب، بيروت، 1987م.

ـــ القمّي، أبو القاسم سعد بن عبدالله الأشعري، (ت 350هـ/ 961م)، **المقالات والفرق** ، (تحقيق محمد مشكور)، طهران، إيران، 1963م.

ـــ ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر، **تاريخ افتتاح الأندلس،** (تحقيق عبدالله أنيس الطباع)، دار النشر، بيروت، 1958.

ـ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر، (ت 774هـ/1372م)، **البداية والنهاية**، (تحقيق أحمد عبد الوهاب فتيح)، دار الحديث، القاهرة، 1997م.

ـ ابن الكردبوس، أبو مروان عبد الملك بن الكردبوس، (ت بعد 573هـ/1176م)، **تاريخ الأندلس**، (تحقيق أحمد مختار العبادي)، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1971م.

ـ الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف، (ت 350هـ/961م)، **كتاب الولاة والقضاءة**، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1908م.

ـ المالكي، أبو بكر عبدالله بن عبدالله، (ت بعد 453هـ/1061م)، **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم**، (تحقيق حسين مؤنس)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1951م.

ـ المبرد، الإمام أبي العباس، **أخبار الخوارج**، (من كتاب الكامل في اللغة والأدب والنحو والتصريف)، دار الفكر، بيروت، (د.ت).

ـ المراكشي، محيي الدين عبدالواحد بن علي، (ت النصف الثاني من القرن السابع هـ/الثالث عشر الميلادي)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، (تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي)، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ط1، 1949م.

ـ المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، (ت 346هـ/957م)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، (تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد)، المكتبة العصرية، بيروت، 1988م.

ـ مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد، (ت 421هـ/1030م)، **تجارب الأمم** ، (تحقيق أبو القاسم إمامي)، دار سروش، طهران، إيران، 2001م.

ـ المقدسي، شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن بكر، المعروف بالبشارى، (ت 380هـ/990م)، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م.

ـ المقري، الشيخ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني، (ت 1041هـ/1631م)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، علق عليه وشرحه مريم قاسم الطويل ويوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م.

ـ المقريزي، أبي العباس تقي الدين أحمد بن علي، (ت845هـ/1442م)،**اتعاظ الحنفا بأخبار الآئمة الفاطميين الحنفا**، (تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا)، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م. ـ .... **إغاثة الأمة بكشف الغمة**، دار الهلال، القاهرة، 1990م.ـ .... **المقفي الكبير**، (تحقيق محمد اليعلاوي)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991م.ـ....... **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقريزية)**، بيروت، 2001.

ـ الملطي، أبو الحسن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن، (ت 685هـ/1285م)، **التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع**، دار صادر، بيروت، 1987م.

ـ مؤلف مجهول. (ق 6 هـ / ق 12 م)، **الاستبصار في عجائب الأمصار**، (تحقيق سعد زغلول عبد الحميد)، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985م.

ـ مؤلف، مجهول،**العيون والحدائق، في أخبار الحقائق**، (تحقيق عمر السعيدي)، (ج.مط)، دمشق، 1972م.

ـ المؤيد في الدين، داعي الدعاة هبة الله الشيرازي، (ت470هـ/1077م)، **السيرة المؤيدية**، نشره وعلق عليه محمد كامل حسني، (د.مط)القاهرة، 1949م.

ـــ الناشئ الأكبر، عبدالله بن محمد، **مسائل الإمامة ومقتطفات من الكتاب الأوسط في المقالات،** (تحقيق يوسف فان إس)، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت، 1971م.

ـــ الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد السلاوي، (ت 708هـ/1315م)، **الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى**، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954.

ـــ ابن النديم، محمد بن اسحق، (ت413هـ/1021م)، **الفهرست** ، (تحقيق جمال الدين الشيال)، مؤسسة رضا تجدد، طهران- إيران، ج2، ج3، (تحقيق محمد حلمي محمد أحمد)، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1973م.

ـــ النوبختي، أبو محمد الحسن بن موسى بن الحسن، (ت310هـ 922م)، **فرق الشيعة** ، (تحقيق هيلمون ريتر)، استامبول- تركيا، 1931م.

ـــ النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، (ت 733هـ /1332م)، **نهاية الإرب في فنون الأدب،** (تحقيق عبد المجيد ترحيني)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004م.

ـــ اليافعي، عبدالله بن سعد بن علي، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان**، علق عليه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.

ـــ ياقوت، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي، (ت 626هـ/1220م)، **معجم البلدان**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1979م.

ـــ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب، (ت 284هـ/ 897م)، **البلدان** ، دار صادر، بيروت، 1960م.

ثانيــاً: المراجـــــع:

ـــ ابن قربه، صالح، **المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد** ، (د.مط)، الجزائر، 1986م.

ـــ إسماعيل، محمود، **الخوارج في المغرب الإسلامي**، دار صادر، بيروت، 1976م.ـــ..... الأغالبة وسياستهم الخارجية، فاس، المغرب، ط 2، 1978م.

ـــ باجيه، صالح، **الأباضية بالجريد في العصور الإسلامية الأولى** ، دار بوسلامة، تونس، 1972م.

ـــ الباروني، ربيع سليمان، **مختصر تاريخ الأباضية**، (د.مط)، تونس، 1990م.

ـــ الباروني، سليمان بن عبدالله النفوسي، **الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الأباضية**، مطبعة الأزهار الرياضية، القاهرة (د.ت).

ـــ بتلر، الفرد، ج، **فتح العرب لمصر**، ترجمة محمد فريد أبو حديك بك، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1990م.

ـــ بحاز، إبراهيم بكير، **الدولة الرستمية (دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية)**، (دمط)، بيروت، ط1، 1985م.

ـــ البرغوثي، عبد اللطيف، **تاريخ ليبيا الإسلامي من الفتح الإسلامي حتى الفتح العثماني** ، دار صادر، بيروت، 1973م.

ـ بل، الفرد، **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم**، ترجمة عبد الرحمن بدوي، بنغازي، ليبيا، 1969م.

ـ بول، ستانلي، **طبقات سلاطين الإسلام، (تحقيق علي البصري)**، مكتبة المثنى، بغداد، (د.ت).

ـ بونار، رابح، **المغرب العربي (تاريخه وثقافته)**، (د.مط)، الجزائر، 1980م.

ـ الجعبيري، فرحات، **نظام العزابة عند الأباضية الوهبية في جربة**، تونس، 1975م.

ـ جوليان، شارل أندري، **تاريخ افريقية الشمالية (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من البدء إلى الفتح الإسلامي 647م)**، ترجمة محمد مزالي والبشر بن سلامة، الدار التونسية، الجزائر، 1978م.

ـ الجيلاني، عبد الرحمن محمد، **تاريخ الجزائر العام**، دار صادر، بيروت، 1980م.

ـ الحارثي، سالم بن حمد بن سليمان، **العقود الفضية في أصول الأباضية** ، وزارة التراث والثقافة، مسقط، عمان، 1983م.

ـ حتاملة، محمد عبده، **الأندلس (التاريخ والحضارة والمحنة)**، مطابع الدستور الأردنية، عمان، 2000م. ـــ..... ايبيريا، مطابع الرأي، عمان، ط 1، 1996م. ـــ.... **جيل المولدين**، (د.مط)، عمان – الأردن، ط1، 2003م. ـ ..... **ملامح حضارية في الأندلس** ، بحوث ودراسات، مهداة إلى الدكتور عبد الكريم الغرايبة بمناسبة بلوغه الخامسة والستين، تحرير ناظم كلاس، عمان، 1989م.

ـ حركات، إبراهيم، **المغرب عبر التاريخ**، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 2000م.

ـ حسن، حسن إبراهيم، **تاريخ الإسلام (السياسي والديني والثقافي والاجتماعي)**، دار الأندلس، بيروت، ط7، 1964م،

ـ حسن، حسن إبراهيم وطه أحمد شرف، **المعز لدين الله**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1963م.

ـ حسن، حسين، **أعلام تميم**، دار صادر، بيروت، 1980م.

ـ حسين، محمد كامل، **طائفة الإسماعيلية (تاريخها، نظمها، عقائدها)**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1959م.

ـ حمادة، محمد ماهر، **الوثائق السياسية والإدارية للعهود الفاطمية والأتابكية والأيوبية** ، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980م.

ـ الخربوطلي، علي حسين، **مصر العربية الإسلامية**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1963م.

ـ خطاب، محمود شيت، **قادة فتح المغرب العربي**، دار الفكر، دمشق، 2002م.

ـ خليفات، عوض، **نشأة الحركة الأباضية**، الجامعة الأردنية، عمان، 1978م.

ـ دبوز، محمد علي، **تاريخ المغرب الكبير**، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1963م.

ـ الدشراوي، فرحات، **الخلافة الفاطمية بالمغرب**، (296–365هـ/909–975م)، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1994م.

ـ ذنون، طه عبد الواحد، **الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال افريقية والأندلس** ، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1982.

ـ الزاوي، الطاهر أحمد، **تاريخ الفتح العربي في ليبيا** ، مطبعة المعارف، القاهرة، 1373هـ، ولاة طرابلس، دار صادر، بيروت، 1970م، **ولاة طرابلس**، دار صادر، بيروت، 1970م.

ـ زغلول، سعد عبد الحميد، **تاريخ المغرب العربي**، دار المعارف، القاهرة، 1959م.

ـ زكار، سهيل، **تاريخ العرب والإسلام (منذ ما قبل البعث وحتى سقوط بغداد)**، دار الفكر، بيروت، 1979م.

ـ سالم، السيد عبد العزيز، **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة**، دار المعارف، بيروت، 1962م. ـ...... **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**، (د.مط)، الإسكندرية، 1982م.

ـ سبيدلو.ل.ا، **تاريخ العرب العالم**، ترجمة عادل زعيتر، (د.مط)، القاهرة، 1962.

ـ سرور، جمال، **الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية** ، دار المعارف، القاهرة، 1960م.

ـ سليمان، أحمد سعيد، **معجم الأسر الإسلامية الحاكمة**، مكتبة لبنان، بيروت، 2004م.

ـ سيد، أيمن فؤاد، **الدولة الفاطمية**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1992م.

ـ السنوسي، محمد بن علي الإدريسي، **الدرر السنية في أخبار الدولة الإدريسية** ، منشورات وزارة الإعلام والثقافة، طرابلس، ليبيا، 1968م.

ـ صفر، أحمد، **مدنية المغرب العربي في التاريخ**، دار بو سلامة، مطبعة العمل، تونس، 1959م.

ـ الطالبي، محمد، **الدولة الأغلبية (التاريخ السياسي 184-296هـ/ 800-909م)**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995م.

ـ عاشور، عبد الفتاح سعيد، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى** ، دار صادر، بيروت، القاهرة، 1972.

ـ العبادي، أحمد مختار، **في التاريخ العباسي**، دار صادر، بيروت، 1971م. ـ .... **في تاريخ المغرب والأندلس**، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، (د.ت).

ـ عبد الوهاب، حسن حسني، **خلاصة تاريخ تونس** ، دار الكتب الشرقية، تونس، 1373هـ.ـ .... **ورقات من الحضارة العربية الإسلامية بافريقية التونسية** ، الدار التونسية، تونس، 1964م.

ـ العمايرة، محمد نايف، **مراحل سقوط الثغور الأندلسية بيد الإسبان**، المطابع العسكرية، عمان، 1999م.

ـ العربي، إسماعيل، **دولة الأدارسة**، (ملوك تلمسان وفاس وقرطبة)، ديوان المطبوعات، الجزائر، 1983م، مطبعة مكتبة الفلاح، الكويت، 1989م.

ـ غالب، مصطفى، **تاريخ الدعوة الإسماعيلية**، دار الأندلس، بيروت، ط3، 1979م.

ـ فهد، بدري محمد، **الخليفة المغني**، مكتبة المثنى، بغداد، 1967م.

ـ كاشف، سيده إسماعيل، **مصر في عهد الاخشيديين**، دار النهضة المصرية، القاهرة، 1970م.

ـ كحيلة، عبادة بن عبد الرحمن رضا، **المغرب في تاريخ المغرب والأندلس** ، المطبعة الإسلامية الحديثة، القاهرة، 1997م.

ـ الكعاك، عثمان، **سلسلة كتاب البعث**، الكتاب الخامس، ط1، (دزم)، 1956م.ـ .... **موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي** ، مطبعة العرب، تونس، 1925م.

ـ لقبال، موسى، **تاريخ المغرب الإسلامي**، دار هومة، الجزائر، 2001م.

ـ لوبون، غوستاف، **حضارة العرب**، ترجمة عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1965م.

ـ لومبار ـ لوريس، **الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى** ، ترجمة عبد الرحمن حميدة، دار الفكر، دمشق، 1979م.

ـ ماجد، عبد المنعم، **التاريخ السياسي للدولة العربية (عصر الخلفاء الأمويين)**، مكتبة الأنجلو المصرية، 1960م.

ـ المدني، أحمد توفيق، **المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا** ، (د.مط)، الجزائر، 1985م.

ـ مشرفة، عطية، **نظام الحكم في مصر في عهد الفاطميين** ، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ت).

ـ المطوي، محمد العروسي، **سيرة القيروان، (رسالتها الدينية والثقافية في المغرب الإسلامي ليبيا، تونس)**، تونس، 1981م.

ـ معمر، علي يحيى، **الأباضية في موكب التاريخ**، دار صادر، بيروت، 1966م.

ـ مؤنس، حسين، **تاريخ المغرب وحضارته (من قبيل الفتح العربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر من القرن السادس عشر القرن التاسع عشر الميلاديين)**، الدار السعودية، جدة، 1990م. ـ..... **فتح العرب للمغرب** ، مطبعة مصر، القاهرة، (د.ت).ـ..... **فجر الأندلس**، دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية، (711-756م)، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، 1959م.ـ..... **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، دار الرشاد، القاهرة، 1997م. فتح العرب للمغرب، مطبعة مصر، القاهرة، (د؟ت).

ـ نبيلة، محمد حسن، **محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس**، مكتبة كريدية إخوان، بيروت، 1982م.

ثالثاً: الدوريات:

ــ أبو دياك، صالح محمد فياض، المظاهر السياسية والحضارية للدولة الرستمية في المغرب، (144-296هـ/761-909م)، **مجلة دراسات تاريخية** ، السنة 17، ع 55-56، آذار-حزيران، ، جامعة دمشق، سوريا (1996م).

ــ إسماعيل، محمود، المالكية والشيعة بافريقية إبان قيام الدولة الفاطمية، **المجلة التاريخية المصرية**، القاهرة، مجلد 23،(1976م).

ــ حاجيات، عبد الحميد، تاريخ دولة الأدارسة من خلال كتاب (الدرر والعقيان)، لأبي عبدالله التنسي، (ت899هـ/1494م)، **مجلة التاريخ**، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، (1980م).

ــ زكار، سهيل، الدولة الرستمية في تاهرت، **مجلة دراسات تاريخية**، جامعة دمشق، دمشق، سوريا، شعبان 1403هـ/أيار(مايو)، (1983م).

ــ زيود، محمد،التجارة بين مصر والشام في العصر الفاطمي، **مجلة دراسات تاريخية**، السنة 17، ع 57-58، أيلول – كانون أول ، جامعة دمشق، سوريا (1996م).

ــ السامرائي، خليل إبراهيم، إمامة الدفاع الثانية عند خوارج المغرب العربي، **مجلة التربية والتعليم**، ع 4، بغداد، (1981م).

ــ السعداني، عبد اللطيف، إدريس الإمام منشئ وباعث دعوة، **مجلة كلية الآداب**، ع 4-5، ، جامعة محمد بن عبدالله، فاس، المملكة المغربية(1980-1981م).

ــ السعيدي، عمر، محاولات الفاطميين الاستيلاء على مصر (الأبعاد الدولية والاستراتيجية)، **مجلة دراسات تاريخية**، ع 7، ربيع أول 1402هـ/كانون الثاني ، جامعة دمشق، سوريا (1985م).

ــ السيد، رضوان، الأحزاب السياسية الدينية قبل الخوارج والشيعة في القرن الأول الهجري، **مجلة تاريخ العرب والعالم**، ع 58، أغسطس (آب)، ، بيروت، لبنان (1983م).

ــ شعيرة، م.ع، تقسيمات إقليمية في العصر العباسي الأول، **مجلة كلية الآداب** ، جامعة الإسكندرية، جمهورية مصر العربية ، 1944م. مقال حول لوبية ومراقية، مجلة كلية الآداب والتربية، بنغازي، الجماهيرية الليبية، المجلد الأول، (1958م).

ــ العبادي، أحمد مختار، سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس، **صحيفة معهد الدراسات**، مدريد، إسبانيا، المجلد الخامس، (1957م).

ــ العرباوي، محمد مختار، ظهور البربر في شمال افريقية، **مجلة دراسات تاريخية**، جامعة دمشق، ع 79، السنة22، 2002م. د. عبد الوهاب التازي، مجلة الوثائق، العدد 11، الرباط، المغرب، (د.ت).

ــ القاضي، وداد، الدعوة العبيدية الإسماعيلية في افريقية والمغرب (نموذج للحركة الثورية المسلحة)، **مجلة تاريخ العرب والعالم**، السنة الأولى، العدد 3 كانون الثاني (يناير)، 1979م.

ــ مكي، محمود علي، التشيع في الأندلس، **صحيفة المعهد المصري**، مدريد، اسبانيا، المجلد الثاني، (1954م).

ــ مبدأ الشورى في نظام الحكم في المغرب العربي خلال العصر الوسيط، **مجلة التاريخ** ، ع 12، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، (1982م).

ـــ اليماني، محمد، سيرة الحاجب جعفر بن علي وخروج المهدي من سلمية إلى سجلماسة وخروجه منها إلى رقادة، (تحقيق و. ايفانوف)، **مجلة كلية الآداب** ، الجامعة المصرية، القاهرة، (1936م).

رابعـــــاً: الموسوعات:

ـــ حسن، أحمد، **موسوعة تاريخ مصر**، دار الشعب، القاهرة، 1970م.

ـــ زبيب، نجيب، **الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس**، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، ط1، 1995م.

ـــ الروضان، عبد عون، **موسوعة تاريخ العرب**، الدار الأهلية، عمان، ط1، 2004م،

ـــ شاكر، محمود، **موسوعة الفتوحات الإسلامية**، دار إسامة، عمان، 2002م.

ـــ الغنيمي، عبد الفتاح مقلد، **موسوعة تاريخ المغرب العربي**، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1994م.

ـــ مارسيه، جورج، (مادة تاهرت)، **دائرة المعارف الإسلامية**، طبع في جيهان، طهران، الجمهورية الإيرانية، (د.ت). (مادة الزاب)، دائرة المعارف الإسلامية.

ـــ **الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي**،إعداد فريق من البحوث والدراسات الإسلامية، مكتبة علاء الدين، الإسكندرية، 1998م.

خامساً: وقائع المؤتمرات والندوات:

ـــ الجنحاني، الحبيب، محاضرة حول العلاقات السياسية الاقتصادية بين افريقية والمغرب الأوسط بين القرنين الثاني والخامس الهجريين، **ندوة الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي** ، محاضرة، رقم (46)، باتنة، الجزائر، دولة الجزائر، 1978م.

ـــ المدني، توفيق، محاضرة حول: (مدخل لدراسة الدولة الرستمية وإسهامها في التطور الفكري والحضاري)، **محاضرة ألقيت في ندوة الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي المنعقد في بوارجلان، الجزائر**، الجزائر، مطبوعات، ملتقى الفكر الإسلامي، الجزائر، 1977م.

سادساً: الرسائل الجامعية:

ـــ امبو سعيدي، عبدالله بن سعود بن حمد، **عُمان في عصر الإمامة الإباضية الثانية**، 177-280هـ/793-893م، رسالة ماجستير، إشراف أ.د محمد عيسى صالحية، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

ـــ بحاز، إبراهيم بكير، **الدولة الرستمية**، (دراسة الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية)، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، بغداد، الجمهورية العراقية، 1983م.

ـــ البطاينة، محمد، **العلاقات بين العلويين والعباسيين في العصر العباسي الأول** ، رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر- القاهرة، 1975م.

ـ التميمي، أيمن سليمان خالد، **السجون في العصر العباسي** ، 132-334هـ/750-945م، إشراف أ.د محمد عبد القادر خريسات، الجامعة الأردنية، عمان، 1997م.

ـ جهلان، عدوان، **الفكر السياسي عند الأباضية من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف اطفيش، 1236-1332هـ/1818-1914م**، رسالة ماجستير، إشراف أ.د أبو عمرو الشيخ، جامعة مسقط، عُمان.

ـ الحتاملة، عبد الكريم عبده الطالب، **خلافة المعتضد بالله 279-289هـ/ 892-902م**، أطروحة دكتوراه، إشراف الأستاذه الدكتوره نشأت الخطيب، جامعة القديس يوسف، بيروت، 1982م.

ـ العزي، محمد فياض محمد، **الخلاف بين الجيش والدولة في ظل العباسيين خلال الفترة 247-334هـ/861-945م**، رسالة ماجستير، إشراف أ.د محمد ضيف الله البطاينة، جامعة اليرموك، إربد، 2002م.

ـ محب، محمود قاسم، **الحياة الفكرية في عهد الأغالبة (184-296هـ/ 800-909م)**، رسالة ماجستير، إشراف أ.د عبد الواحد ذنون طه، جامعة الموصل، الموصل – العراق، 1989م.

ـ نحاس، وفيقة، **نشوء الدويلات في المغرب**، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف الأستاذ الدكتور عمر فروخ، كلية الآداب، الجامعة السورية، 1953-1954م.

سابعاً: المراجع الأجنبية:

أ. باللغة الإنجليزية:

- Lewis, Bernard., **The Origins of Ismailism**, Combridge University, British, 1940.
- Daftary.,F., **Ismailis their history And Doctoring**, Combridge-United Kingdome, 1990.
- Shaban. M. A**., Islamix History A. D 750-1055, (A.H 132-448) Anew Inter pretation**, Combridge University, U.k., 1976.
- Stem,S., Merodox, **Ismailism at The time of Al-Muizz**, Bosus XVII, 1955.

ب . باللغة الفرنسية:

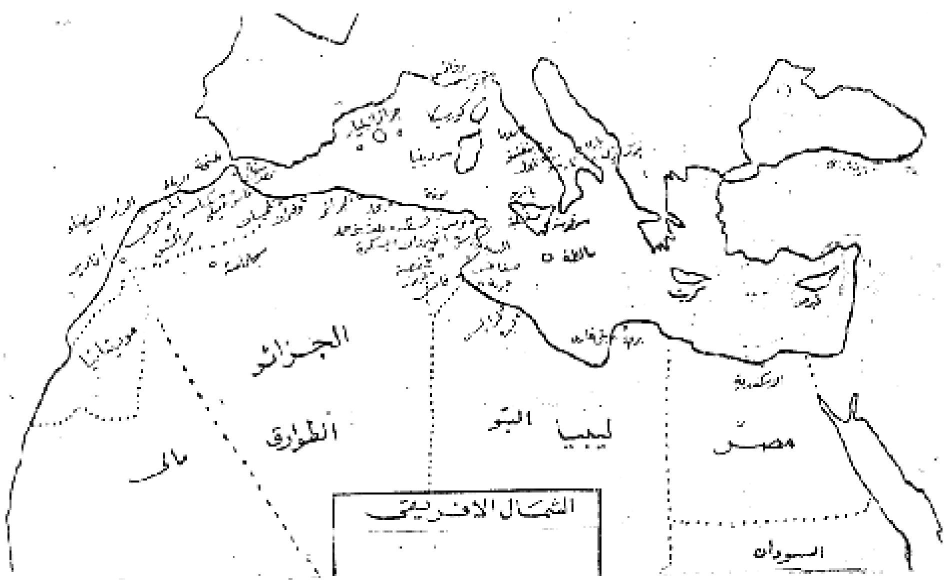
- Vonderhyden, L'Barberis **Orientale sous ladyastie des bonou**, l'Arab-800-900, Paris, 1937.

الخرائـــــط



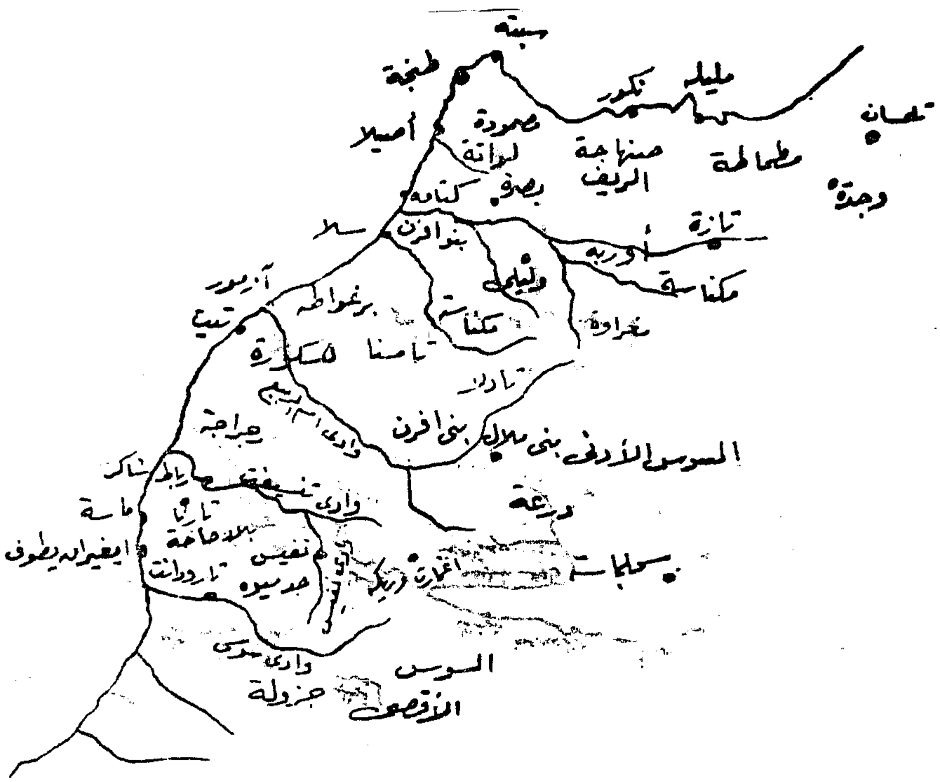
الخريطة رقم (): تبين مدن المـــغــرب الإســلامي.

المصدر: ماجد، عبد المنعم، الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي في العصور الوسطى().



الخريطة رقم( ): تبين مواضع قبائل البربر في المغرب الأقصى.

المصدر: ماجد، عبد المنعم، الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي في العصور الوسطى.



الخريطة رقم(١): حـــول افريقيـــــة.